الإنجيليون الأربعة
بين
التقليد والنقد الحديث

دكتور
عبد الرحمن جيرة
الأستاذ المساعد
كلية أصول الدين - القاهرة

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين.. وعلى آلهم وأتباعهم إلى يوم الدين .. أما بعد..

فلم يعد كافياً للاستدلال على صحة الكتاب المقدس ما يردده بعض رجال الدين من أنه أكثر الكتب مبيعاً في العالم، فكم من مشترٍ لهذا الكتاب لا يتمكن من قراءته، ولا يستطيع حصر أسفاره التي يختلف عددها بين كنيسة وأخرى، وطبعة وأخرى.

كم من قارئ لهذا الكتاب وهو لا يعرف مؤلف السفر الذي يقرؤه، ولا يدري متى ولا أين ولا كيف كُتِبَ هذا السفر أو ذاك، وحتى رجال الدين مع تبحرهم في دراسة اللاهوت لا يعرفون ما يجهله غيرهم، وإن كانوا يمتازون بمعرفة أو حفظ نصوص مختارة من هذا الكتاب لقداس الآحاد، وفي بعض الأحيان لوعظ الناس وترغيبهم في الإيمان بـ «الرب يسوع».

ولو قلنا إن «الكتاب المقدس» أكثر الكتب رواجاً في العالم، فإن هذا قد لا يعني أكثر من أن هناك مجالاً مناسباً لتربح تجار الكتب، أو تجار الترجمات المختلفة لهذا الكتاب، فليس مهماً كم نسخة بيعت من هذه الترجمة أو تلك، فهذه النسخ هي في الواقع ترجمات عن لغة لم ينطق بها المسيح ﷺ، ولا أحد يقطع بمعرفة مَنْ كتب أصل أسفار هذه النسخة أو تلك.

التقليديون وإن كانوا لا يمتلكون براهين قاطعة على نسبة «الأناجيل الأربعة» إلى مؤلفيها إلا أنهم يصرون على أنها صحيحة بنسبة ١٠٠ ٪، وأن انتساب كل إنجيل منها إلى مؤلفه ليست محل شك، وإن كان الكاتب الحقيقي لكل الأناجيل هو الروح القدس، الذي استخدم «متى» لكتابة الإنجيل الأول و«مرقص» لتدوين إنجيل ثانٍ، وأما «لوقا» فقد اجتباه من بين أمة الرومان واستخدمه لتحرير إنجيل ثالث، وأخر الكل انتدب «يوحنا» الرسول لجمع الحقائق العليا وتسجيلها في إنجيل رابع.

هذا هو موقف «التقليد الكنسي» من الإنجيليين الأربعة، وهو موقف الكنيسة الكاثوليكية على اتساع نفوذها في العالم، وموقف الكنيسة الأرثوذكسية داخل مصر وخارجها، فهذه الكنائس جميعها تسلم بمبدأ التقليد وتعتبره وتحافظ عليه.

وقد بدأ الاعتراض على هذا المبدأ في الغرب بظهور البروتستانت في القرن السادس عشر. وبظهورهم انقسمت أوربا إلى معسكرين، ولم يعد معظم مسيحيي أوربا الغربية تابعين للبابا. غير أن البروتستانت وإن كانوا لا يحترمون التقاليد الكاثوليكية ولا يخضعون لنفوذها إلا أنهم هم أنفسهم والكنيسة الأسقفية لهم تقاليدهم الخاصة. وكثيرون منهم لديهم اليوم ما يختلفون به عن زعمائهم في القرن السادس عشر، وبعضهم لا يسلم بنسبة الأناجيل الأربعة أو بعضها إلى مؤلفيها.

فهناك إذاً وجهات نظر متعددة، سوف نعرضها في هذا البحث، وسوف نلزم جانب الحياد في عرضها، والموضوعية في تحليلها، وإذا كنت أخي القارئ متمرساً في قراءة كتب الأديان ربما تكون قد سئمت الحديث عن الحياد وعن الموضوعية. لكننا نعدك بأن الأمر سوف يختلف هذه المرة، ولسوف يكون في مقدورك أن تتبين صدقنا إذا ما رغبت في قراءة فصول هذا الكتاب بروح الإخلاص والإنصاف، نعتقد أنك سوف لن تقف بعيداً عنا. ولك أن تقلب الأمور كيفما تشاء، لتأخذ ما تشاء، ولتدع ما تشاء.

اللهم لا تجعلني أخط عبارة بيميني تشهد أنني:

أضللت أحداً من خلقك..

أو تسببت في إخفاء حقيقة كانت ظاهرة..

أو إظهار باطل كان مخفياً..

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

الذين يسعون لمعرفة الحقيقة. فإذا استيقنوها:

اجتهدوا في تحريفها .. أو بالغوا في جحودها.. أو تعمدوا إخفاءها.

دكتور

عبد الرحمن جيرة



الفصل الأول
التقليد الكنسي بين الإقرار والإنكار!

إلى جانب ما يتردد على ألسنة القساوسة والوعاظ حظيت كلمة «تقليد» باهتمام اللغويين في معاجمهم، قال ابن فارس: «القاف واللام والدال أصلان صحيحان يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء وليِّه به، والآخر على حظ ونصيب. فالأول: تقليد البدنة وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدى، وأصل القَلْد الفتل، ويقال قلد فلان فلاناً قلادة سوء، إذ هجاه بما يبقى عليه وسْمُه. فإذا أكدوه قالوا: قلده طوق الحمامة، أي لا يفارقه كما لا يفارق الحمامة طوقها».[1]

والقلادة: ما يُجعل في العنق من حلي وأوسمة ونحوه.

وتقلَّد السيف: علقه في عنقه. وقلَّد معلمه، حاكاه واتبعه فيما يقول أو يفعل.

والتقاليد الشعبية العادات التي يقلد فيها الناس أسلافهم.

وتقليد الشيء «تزييفه» وسلعة مقلدة ليست أصلية.

والتقليد نقل قطعة فنية أو لوحة عن الأصل محاكاة ومضاهاة.

وتقليد الولاة الأعمال تثبيتهم في مناصبهم. ومنه التقليد العلماني، وهو تعيين الإمبراطور لرجال الدين في مناصبهم الدينية، وقد اعترض البابا جريجوري السابع في مجمع ديني سنة ١٠٧٥م على سياسة الإمبراطور الألماني في ذلك، وأعلن أنه ليس للحاكم السياسي أن يقلد رجال الكنيسة الوظائف الدينية، وكان ذلك أحد أسباب النزاع بين البابا والإمبراطور في العصور الوسطى.

والتقليد بصفة عامة هو مذهب يقرر المحافظة على الأوضاع السياسية والدينية التقليدية باعتبارها التعبير الشرعي عن الحاجات الحقيقية لمجتمع ما. ويستخدم كمصطلح ديني في اللاهوت المسيحي للتعبير عن النظم التي وضعها رسل المسيح.[2] أو آباء الكنيسة. فمعظم

---

١ – معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون جـ ٥ صـ ١٩ مادة «قلد» مصطفى الحلبي ثانية ١٩٧٢م

٢– الصحاح في اللغة والعلوم. نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي مادة «قلد» دار الحضارة العربية بيروت.

التقاليد لا ترجع إلى عصر الرسل، وإنما إلى الآباء الذين عاشوا من القرن الأول وحتى السادس تقريباً.[١] وهم المعروفون بـ «المسيحيين الأوائل» فالرسل لم يعش أحد منهم إلى نهاية القرن الأول، ويرجح انتهاء عصرهم بسبعينات القرن الأول. ومن هذا التاريخ يبدأ عصر الآباء بتلاميذ بولس، ولكن التقليديين يدخلون في عصر الرسل من ليس منهم، فيجمعون على أن «إثناسيوس» رسولي، وهو في الواقع من آباء القرن الرابع. والتقليد الكنسي، أي المنسوب إلى الكنيسة، والمقصود بالكنيسة جماعة المسيحيين، الرسل وغير الرسل، حيث تدل كلمة «كنيسة» كما يقول القس يوحنا سلامة على أمرين:

الأول: على جميع المؤمنين بالمسيح عموماً.

الثاني: على مكان الاجتماع نفسه، ودلالتها على الأول بالمعنى الحقيقي، وعلى الثاني بالمعنى المجازى من باب تسمية المحل باسم الحال فيه.[٢]

وهناك من يرفض[٣] أن يضع حداً أو تعريفاً للكنيسة، لأنها في نظره أكبر من أن تحد، فهي سر لا يمكن تعريفه ولا تفسيره، وهناك من يشير إلى الكنيسة ببعض الأسماء والرموز، فهي في عرف أريجانوس «جسم المسيح المنظور»[٤] وبعضهم يطلق عليها عروس المسيح، ورعية الله.. وتابوت نوح، والمدينة المقدسة، وأورشليم العلي، والجنة المغلقة والينبوع المختوم، والحمامة الوحيدة، والكرمة والسفينة.[٥] إلى غير ذلك من أسماء ورموز وأسرار تشير إلى خفايا مقدسة. وكلها معان لا تعنينا هنا.

ومن خلال المعنى الأول لكلمة «كنيسة» وما سبق وعرضناه لكلمة «تقليد» نقترب من الوصول إلى المقصود من مصطلح «التقليد الكنسي» فهو «التعاليم المنسوبة إلى المؤمنين بالمسيح[٦]، شفاهاً أو كتابة، من جيل إلى جيل». أو هو: «الترتيبات والنظم الدينية

١- حياة وفكر كنيسة الآباء. القس إثناسيوس فهمي جورج صـ ١٩ نشر دار الكتاب المقدس.
٢ - اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة / يوحنا سلامة صـ ٢٥ ، ٢٦ مطبعة عين شمس.
٣ - الآباء والكنيسة / توماس هالتون ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح صـ ١٧ ط / دار الثقافة
٤ - اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة صـ ٤٤
٥ - السابق صـ ٢٨ ، ٢٩
٦- المقصود النصارى

والكنسية المسلمة من جيل إلى جيل».

من الضروري أن تعلم أن هذه «الترتيبات والنظم» المتوارثة هي الأساس الذي تقوم عليه المذاهب التقليدية، فالتقليد هو «التسليم بما تركه الآباء» وباختصار هو «تركة الآباء» بما فيها من أناجيل ورسائل، فالأناجيل في كل الأحوال تقاليد صاغتها الكنيسة كما يرى بعض الباحثين، أو تسلمها الإنجيليون من الكنيسة، كما يعلن لوقا في مقدمة إنجيله «الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء، معاينين وخداماً للكلمة» وهذا يعني أن ما كان يكتبه لوقا إلى صاحب السعادة هو تقليد كنسي وليس وحياً نزل عليه من السماء. إذ ما يكتبه يقوم على شهادة الناس في عصره. ولم يكن في نيته أن يكتب وحياً تقدسه الكنيسة. بخلاف بولس الذي زعم تلقى أوامر مباشرة من المسيح، ورغم أن لم يؤلف إنجيلاً إلا أنه قسم التقليد إلى نوعين: [1]

الأول: حسب المسيح. وهو الذي ارتضاه وسماه بإنجيل الغرلة.

والثاني: حسب الناس وهذا أطلق عليه إنجيل الختان.

وهذا التقسيم قبل أن تعرف الأناجيل بأكثر من قرن، ومع ذلك يصر التقليديون على أن أناجيلهم خرجت من النوع الأول، وأن الأناجيل التي حرمتها الكنيسة خرجت من الثاني، وليس في أناجيلهم من يدعي أنه سمع مباشرة من المسيح، أو يقر بأنه كان شاهد عيان لمعجزة من معجزاته. وقد كان لوقا واضحاً وصريحاً في إبراز ذلك. كما كان واضحاً وصريحاً في الحديث عن ختان المسيح عليه السلام [2] ولا نعرف الآن إذا ما كانت الأناجيل التي حرمتها الكنيسة قد خلت من دعوى سماع مؤلفيها من المسيح أم لا.

وثمة تفصيلات مختلفة حول تقسيم التقليد، فمن جهة قسموه إلى رسولي وكنسي:

١. رسولي. خاص بالعقائد والأصول الإيمانية.

---

١ - يقول بولس «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقاليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح» كو ٢ :٨

٢- والغريب أن إنجيل لوقا وهو أحد أتباع بولس هو الذي يتحدث عن الختان (لو٢: ٢١) وعلى هذا فإما أن نقول إن تقسيم بولس خالف الواقع، أو أن الكنيسة خالفت تقسيم بولس بقبول إنجيل لوقا!

٢. كنسي. خاص بطقوس الكنيسة ونظمها الروحية.

ومن جهة أخرى اعتبروه كتابي وشفوي وعملي:

١. كتابي. أي مكتوب في الكتاب المقدس.

٢. شفوي. يتناقله المسيحيون، الخلف عن السلف وينقلونه لمن بعدهم.

٣. عملي. أي ما يؤمنون به ويسلكونه في حياتهم العملية.

فهل هذه الأنواع جميعها داخلة في التقليد حسب المسيح ؟

لا يشترط النصارى في تقاليدهم أن تكون منسوبة للمسيح، وإنما يكفي ليصبح أمراً ما حجة أن ينقل شفاهة، أو يقول أحد الآباء: إن هذا الأمر ثابت بالتقليد. والتقليد الكتابي يشمل ما في الكتاب المقدس، الذي هو تقليد تناقلته الكنيسة، وسلمه السلف للخلف، ومسألة مَنْ السلف ومَنْ الخلف، أو مَنْ سَلَّمَ مَنْ لا تهم رجال اللاهوت بقدر ما يعنيهم رمز هذا الكاتب أو ذاك. ويحرص الشراح على أن يوضحوا العلاقة بين الإنجيلي ورمزه أكثر من حرصهم على التحقق من صحة التقليد المتعلق بنسبة كل إنجيل إلى كاتبه، ويعزى هذا إلى فيكتورينوس «وهو أول شارح للأناجيل ولم يبق من كل كتاباته إلا شرح سفر الرؤيا» وفي شرحه لهذا السفر حين جاء على ذكر الشاروبيم (بالجمع) ذوي الأوجه الأربعة، النسر والأسد والعجل والإنسان[1] وزع هذه الرموز على الإنجيليين الأربعة، فأعطى الأسد للقديس مرقص، والعجل للقديس لوقا، والإنسان للقديس متى، والنسر للقديس يوحنا، وعلى هذا بدأ الآباء يعلقون على مدى مناسبة كل رمز لصاحبه.[2] وكل فكرة جديدة تخطر على بال الآباء تتحول إلى تقليد لدى الأبناء، وتتحول مجموعة التقاليد في النهاية إلى دين، من انحرف عنه دخل النار.

وفي كتابه «كتابنا المقدس» يفرق ويصا الإنطواني بين «التقليد» والمحاكاة. ومن ثم يبرهن على أهمية التقليد وعلى كونه حجة في إثبات الحقائق الكنسية، وفي نقل الأناجيل

---

١ - رؤيا ٤ : ٦، ٧

٢ - الإنجيل بحسب القديس مرقص دراسة وتفسير وشرح أول وأقدم الأناجيل الأب متى المسكين صـــ ٢٣ ، ٢٤ مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

واعتمادها، ويُنْظَر إليه على أنه أهم ما لدى المسيحيين من براهين تؤكد صحة معتقدهم في المسيح عليه السلام، وصحة كتابهم المقدس، فأهميته - عندهم - تظهر من خلال:

١. إثبات صدق الكتاب المقدس وسلامته من التحريف.

فالتقليد له شأن عظيم في إثبات ذلك. وهو يحفظ فهم المسيحيين للكتاب من الانحراف والتأويل الفاسد. فينقل لهم رأي الكنيسة وتعاليمها.

٢. معرفة الكتب الصحيحة من الموضوعة.

فقد ظهرت كتب كثيرة منسوبة للرسل كإنجيل برنابا وتوما وبرتلماوس والاثني عشر وأعمال بولس ورؤيا بطرس وغيرهم. فمن الذي أثبت لهم أنها مزورة وأن إنجيل متى مثلاً صحيح، وأنه موحى به إلا التقليد.

٣. معرفة أمور كثيرة لا تعرف بغير التقليد.

مثل معمودية الأطفال، وتقديس يوم الأحد بدل يوم السبت، والاعتراف بالأعياد وأيام الصوم وأوقات الصلاة هذه كلها عُرِفَت من التقليد.

٤. معرفة نسبة الأسفار إلى كاتبيها.

وهذا هو موضوع حديثنا في الفصول القادمة.

• الأدلة على حجية التقليد

١ - السند الكتابي.

حيث يسود الاعتقاد بأن هناك تعاليم كثيرة نطق بها المسيح عليه السلام في حياته ولم يدونها كتبة الأناجيل، فكاتب سفر الأعمال يقول عن المسيح إنه «ظهر لتلاميذه أربعين يوماً يتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله» [1] ولا ريب أنه تكلم كثيراً في هذه المدة عن أمور هامة. ولكن هذه الأمور لم تكتب في الأناجيل واقتصر تسليمها شفاهاً للرسل القديسين.

وقد وبخ المسيح الكتبة والفريسيين «لأنهم يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس» فقد تركوا وصية الله وتمسكوا بتقليد الناس، فقد رفضوا وصية الله ليحفظوا تقليدهم مبطلين كلام الله

---

١ - أعمال الرسل ١ : ٣

بتقليدهم. الذي تسلموه[1]. فقد سأله الكتبة والفريسيون: «لماذا يتعدى تلاميذك تقاليد الشيوخ؟ فأجابهم: وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟ قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس»[2].

٢ - أقوال الآباء

في مؤلفات آباء الكنيسة إشارات عديدة إلى حقيقة وجود التقليد ومحافظة الكنيسة عليه. قال إيرينيُوس: «إن الرسل قد جعلوا الكنيسة خزانة الحق الوافرة وكل ما هو مختص به سلموه إليه بجملته».

وقال أكليمندس: «إن مؤلفاتي تحتوي على ما سمعت من أناس حفظوا التقاليد الحقيقية كبطرس ويوحنا ويعقوب وبولس، أباً عن جد»

٣ - الإجماع العام

وهاك دليل آخر، وهو انتشار التقليد في سائر الكنائس بإجماع عام، فالكنيسة القبطية واليونانية والرومانية بكل فروعها ومع تباين أفكارها ومبادئها جميعها سلمت بالتقليد وحافظت عليه، واعتمدت على تعليمه والإقرار بسلطانه. ولو كان تسليم التقليد تعليماً مبتدعاً لرأينا ولو كنيسة واحدة من تلك الكنائس التي انشقت إحداها عن الأخرى تختلف عن الباقي في هذا التعليم وتنكره وتنفي عن سواها التمسك به. أما ولم يكن هناك شيء من هذا، بل إن تلك الكنائس بجملتها قد أجمعت على سلطان التقليد وأهميته. فإن في هذا الإجماع دليلاً على مركز التقليد في الكنيسة منذ نشأتها واعتبارها له.[3]

وهذا الإجماع على سلطان التقليد ناتج عن عمل الروح القدس في التلاميذ، فقد ظل يعمل فيهم ليصنع للكنيسة تاريخاً حياً يتكلم بلسان وحياة المسيح، وبلسان من يعملون لحسابه ولمجد اسمه من أجل تكميل تاريخ الكنيسة إلى أن يجيء هو ويكتب حينئذ «قد أُكمل»

---

١ - مرقص ٧ :٧-١٣

٢ - مت ١٥ : ١-٩ ولعلك تدرك أن هذا الدليل هو حجة على النصارى لا لهم، فلم يثبت عن إنجيلي واحد من الأناجيل الأربعة إقراره بالسماع من المسيح ﷺ.

٣ - «كتابنا المقدس» تأليف ويصا الإنطواني صـ ٣٦٠- ٣٧٠ نشر مكتبة مار جرجس

وتقول الكنيسة: «آمين. تعال أيها الرب يسوع» [١]

ومن هنا «يؤكد العلامة ترتليان أن الكنيسة هي البيت الوحيد والفريد للروح القدس والنبع الأوحد لذخيرة الاستعلان الرسولي بتعاليمها التي يضمنها ويؤمنها التسلسل الرسولي غير المنفصم.

وفيما بعد تطور فكر العلامة ترتليان فأكد على روحانية قلب الكنيسة وطبيعتها ونقاوتها وعدم غشها. وأنها جامعة فيها رجال روحانيون مؤكداً على التمايز بين الإكليروس والشعب كأعضاء في جسد المسيح الواحد» [٢]

وهكذا اتخذ الآباء «التقليد الكنسي» شعاراً حاولوا به ومن خلاله التصدي للهراطقة. وفي مراحل مختلفة لغير رجال الدين. فقد رأوا أن الكتاب المقدس لا يفهمه غيرهم. ثم تخرج التعاليم أو «التقاليد» من تحت أيديهم إلى العلمانيين، وبهذا ظلت الكنيسة متحكمة في الكتاب المقدس قراءةً وتفسيراً، تقديماً وتأخيراً. ولكنها اختلفت في القراءة وفي التفسير. وفي التقديم وفي التأخير، [٣] وهذا يدل ببساطة على أن المجموعات المسيحية الأولى لم تتلق الأناجيل وتتقبلها بروح واحدة. بل اختلفت في تفضيل بعضها على بعض. وهذا يدفعنا إلى سؤال هام وهو:

• كيف أصبحت الأناجيل الأربعة قانونية ؟

تختلف طرق التقليديين في الإجابة على هذا السؤال. فبعضهم يقسم الرحلة التي قطعتها الأناجيل حتى الإقرار بها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: من البداية إلى سنة ١٧٠ م

فمن مؤلفات الآباء من سنة ٧٠ إلى سنة ١٢٠ يرى أتباع التقليد أنهم كانوا يعرفون أكثر

---

١ - حياة وفكر كنيسة الآباء صـ ١٨

٢- السابق صـ ٦٩

٣ - فالترتيب الحالي للأناجيل لم يكن هو الترتيب في جميع الأحوال، وقد رأى أوريجانوس بعض المجلدات بالترتيب الآتي: يوحنا - متى - مرقص - لوقا». فقد كان تقليد الآباء يختلف حول مسألة الترتيب، وكان لكل كنيسة تقليدها الخاص بذلك. انظر / دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل مرقص)

كتب العهد الجديد القانونية[1] وقد سمي هذا القرن قرن المحتجين، وكان هؤلاء يحامون عن المسيحية باستشهادهم بحوادث حياة المسيح، وفي أثناء ذلك اتضح أن للبشائر الأربع الفضل على كل التواريخ سواها. فأخذت الكنيسة تعتبرها نبع الحق، وأصل التعاليم الدينية. وأكرمتها وقوت سلطتها المطلقة في أمور الدين. وفي أخر هذا القرن تألفت الكتب القانونية في المجموع المعروف بالمجموع الموراتوري، وفي تلك المدة ذاتها ترجم العهد الجديد إلى السريانية[2] وإلى الإيطالية.

المرحلة الثانية: من سنة ١٧٠ — ٣٠٣ م

قال وستكوت: إن الكنيسة كانت قد قبلت البشائر الأربعة وأعمال الرسل والرسالة الأولى لبطرس والأولى ليوحنا والرسائل الأربعة عشر لبولس الرسول وسفر الرؤيا. ولم يكن من تلك الأيام إلى أيامنا هذه من رفض هذا المجموع سوى سفر الرؤيا الذي شك فيه البعض.

أما الرسالة إلى العبرانيين فقبلها الشرقيون ولم يقبلها الغربيون. وفي تلك المدة لم تستعمل كثيراً رسائل يعقوب. ويهوذا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا وكذلك الرسالة الثانية لبطرس

المرحلة الثالثة: من سنة ٣٠٣ — ٣٩٧م

وعند نهاية هذه المدة أيد كرنج الثالث سنة ٣٩٧ م الأسفار السبعة والعشرين للعهد الجديد. ومن ثم لم تزل هذه الأسفار معتبرة قانونية إلى أيامنا هذه وذلك عند الكنائس الشرقية والغربية[3] «أما تاريخ ضم العهدين القديم والجديد معاً فقد كان في القرن الرابع، وذلك ثابت — لديهم- من النسخ القديمة المحفوظة في المتاحف» [4]

وهكذا نعلم أن التقليد الخاص بالاعتراف بأسفار العهد الجديد سار بالتدريج وببطء

---

١ – الواقع أن المسيحين لم يعرفوا الأناجيل الأربعة إلا عند نهاية القرن الثاني.

٢ – هكذا في المراجع المسيحية، مع أن المعروف أن السريانية هي إحدى لهجات اللغة الآرامية التي كان يتحدث بها المسيح ﷺ فكأن الإنجيل نزل على اليونان قبل أن يترجم إلى لغة المسيح.

٣ – كتابنا المقدس تأليف ويصا الإنطواني من صـ ٨٣ – ٨٤.

٤ – السابق صـ ٨٤

شديد. وأن تقليد الآباء المتعلق بالأناجيل لم يكن من عهد الرسل، بل في تاريخ متأخر وأماكن مختلفة. وأن الرسل لم يكونوا هم الذين أطلقوا اسم «العهد الجديد» ولا «القديم» على ما نعرفه اليوم بهذين الاسمين. ولك الحق في أن تسأل: لماذا تأخر التقليد في الاعتراف بأسفار العهد الجديد ؟ ولماذا يعتمد الكتاب المقدس على «تقليد الناس» وليس العكس؟؟

يمتعض العلماء الذين يسلمون بالتقليد من مثل تلك الأسئلة التي تضطرهم إلى الاعتراف بأن الآباء لم يتصلوا مباشرة برسل المسيح ﷺ، مع أن هذا واضح من حيث إن الرسل يهود، والآباء الذين نعرفهم يونانيون، ولا تجد حلقة تصل هذا بذاك، ولا سبباً لتأخر التقليد الخاص بالأناجيل إلى القرن الرابع الميلادي. وبينما يستغرب موريس بوكاي من موقف الذين «يقللون بشكل مبالغ فيه الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح وبين ظهور النصوص»[1] ينظر جوش ماكدويل في كتابه (كتاب.. وقرار) إلى تأخر الكنيسة في تقرير أي الكتب لها القداسة حتى القرن الرابع نظرة من لا يرى حكمة في غير ذلك، فالحكمة قد هيئت الأسباب بظهور أمور ثلاثة جعلت الكنيسة تقرر الأسفار القانونية على يد إثناسيوس عام ٣٦٧م:

١ – إن ماركيون الهرطوقي حوالي (١٤٠ م) كون أسفاراً قانونية من عنده وأخذ ينشرها، فكان لزاماً على الكنيسة أن توقف تأثيره المدمر بتحديد الأسفار القانونية الحقيقية لأسفار العهد الجديد.

٢ – بعض الكنائس استخدمت كتباً إضافية في العبادة، وهذا أيضاً استلزم تحديد الأسفار القانونية.

٣ – قرر دقلديانوس أن يدمر الكتب المقدسة للمسيحيين عام (٣٠٣م) فكان لزاماً على المسيحيين أن يعرفوا أي الكتب يستحق أن يستشهدوا في سبيلها باعتبارها وحي الله لا مجرد كتب تفسيرية أو تاريخية.[2]

ولكن إذا كان بإمكان ماركيون أو غيره أن يشكل أسفاراً من عنده، فمن الممكن أن ينهزم أو

---

١ – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي صـ ٦٦ ط/ دار المعارف

٢ – «كتاب. وقرار» جوش ماكدويل ترجمة دكتور منيس عبد النور صـ ٣٥ ، ٣٦ ط / أولى دار الثقافة

ينتصر ماركيون، والنتيجة أناجيل غير الأناجيل، وأفكار غير الأفكار، ولكن جوش ماكدويل يرى أن ظهور ماركيون ودقلديانوس كان لحكمة دفعت بالكنيسة إلى عزل الأسفار القانونية عن غير القانونية. فاستشهدوا في سبيل القانونية وتركوا غير القانونية تذهب هدراً. وهذه الحجة لا تثبت صحة الأناجيل التي استشهدوا في سبيلها، وإنما فقط تدل على شجاعة أو كثرة المنتصرين، ولو كانت الكثرة دليلاً على الحق لما بقي حاجة إلى العقل، ولا شك أنهم عادوا فيما بعد ليندموا على تفريطهم فيما أُعتبر يوماً ما غير قانوني، إذ أن ما بقي تحت أيديهم ليس أحسن حالاً مما ذهب. فلم يثبت أن أحد رسل المسيح كتب سفراً مما في أيديهم. ولا يجرؤ عالم على ظهر الأرض أن يجاهر بعكس تلك الحقيقة، أو يقول إن أحد الآباء قد عرف كاتب إنجيل كذا.. بل لا تستطيع الترجيح بين قائمة ماركيون التي ذهبت، وقائمة إثناسوس التي أتت، بل ربما كان ماركيون أو الهراطقة عموماً هم الدافع الذي حرك الكنيسة إلى عمل الرسائل ثم الأناجيل الأربعة، ومع ذلك لم تعترف الكنيسة بالعهد الجديد في يوم وليلة، بل ظلت تتردد بين قائمة ماركيون وقوائم أخرى متعددة جمعت منها الأسفار السبعة والعشرين الموجودة الآن، واستمرت مشكلة تحديد المعترف وغير المعترف به تترحل من جيل إلى أخر، ومن مجمع إلى آخر، والسفر الذي يختلف عليه مجمع قد يحصل على موافقة آخر، فأين أصالة التقليد وقد رأينا الخلاف على مدى القرون الأربعة الأولى من التاريخ المسيحي. ورأينا مسألة الإقرار بأسفار العهد الجديد تتدحرج من جيل إلى جيل، وتستمر عشرات السنين دون حسم، وفي النهاية يأتي الحسم من قبل إثناسيوس ومن بعده كرنج الثالث في القرن الرابع الميلادي.

• الاحتجاج على التقليد

ما إن استقر التقليد حتى ظهر الإسلام يكشف ما خفي عن الناس من دعوة المسيح عليه السلام، وقد لقت حديثه عن إنجيل المسيح نظر كثيرين من ذوي النزعة العقلية، فبدأت حركات الاحتجاج على التقليد تقوى يوماً بعد يوم، وفي عصر النهضة تسلحت هذه الحركات بالدراسات الإنسانية، وتم فحص العديد من الوثائق التي أدت إلى الشك في نزاهة الكنيسة وعصمتها، وتلقف زعماء الإصلاح الخيط، وراحوا يواصلون نقدهم للتقاليد. ويظن البعض أن

النقد بدأ من هنا. ولكن الحقيقة أنه كان أسبق من التقليد. وأن ماركيون سبق إثناسيوس بقرنين على الأقل. وربما كان النقد في يوم ما تقليداً. رأي مجمع مسكوني أو ملي التخلي عنه. وبصرف النظر عن اعتبار هذا الأمر تقليداً أم نقداً بدأت مجموعات مسيحية تجتهد في وضع الردود التي شكلت جزءاً من التقاليد فرضتها المجامع التي توالى انعقادها على مدى سبعة قرون بعد المسيح عليه السلام.

ولا تقودنا الدراسات التاريخية إلا إلى الكثير من الريبة في الدوافع التي كان على أساسها يتم اتخاذ القرارات العقائدية في هذه المجامع، ومع ذلك فلا بد أن يعتمد الباحث على كل ما تركه التاريخ، ورغم أن المؤرخين يمكن أن يكتشفوا مصادر جديدة إلا أنهم لا يمكن أن يبتدعوا معلومات جديدة. فعلى سبيل المثال يخبرنا التقليد أن متى كتب إنجيله بالعبرية. ولا تعرف الكنيسة إنجيل متى إلا في اليونانية. وهذا يشكل أمام الباحثين أكثر من صفحة فارغة، ولو أردنا أن نملأ ما تركه تاريخ المسيحية في مرحلتها الأولى من ثغرات لوجدناها أوسع بكثير مما يمكن لعقلنا أن يخترعه من افتراضات، إن دراسة الدين لا يمكن أن تكون توهانا مستمراً في صفحات التاريخ. وإنما هي في الأساس دراسة لفكر محدد يهدف إلى الرقي بالإنسان. وذلك بتحليل هذا الفكر وتقييمه ومعرفة مدى صلته بالله سبحانه.

ولكن ماذا نفعل إذا كنا لا نرى تاريخ القرن الأول المسيحي إلا من خلال ثقوب ضيقة قد لا تسمح لنا إلا برؤية باهتة لبعض الأحداث، وماذا نفعل إذا كنا لا نستطيع التحقق من أماكن نشاط أو وفاة الإنجيليين الأربعة، أو إذا كنا لا نقدر أن نعلم شيئاً يقيناً قالوه أو فعلوه.؟

ينبغي أن لا نلوم الباحثين على فشل محاولاتهم المتكررة لرسم خريطة لتاريخ المسيحية في المرحلة الأولى. فهدفهم هو مجرد تحقيق تصور مقبول في الذهن وليس نقل واقع يستطيع الباحث أن يقطع بحدوثه. وفي الغالب يخرج تاريخ المسيحية على صورة مراحل تختلف تفاصيلها وصورها. وتضيق كل مرحلة أو تتسع على حساب الأخرى. وفي كل الأحوال يرجع هذا إلى تقدير الباحث ومدى وعيه بتسلسل الأحداث وترابطها. وفي الإجمال يمر تاريخ المسيحية بثلاث مراحل:

- الأولى مرحلة التكوين، وتبدأ بالقديس بولس الذى تظهر رسائله انقطاع صلته بالمسيح

عليه السلام. وتنتهي بمجمع القسطنطينية ٣٨١م الذي أضاف ألوهية الروح القدس إلى قانون الإيمان. ويدخل في هذه المرحلة كتابة وتحديد الأسفار القانونية بمراحلها السابقة. ولك أن تسمي هذه المرحلة بمرحلة تكوين التقليد.

– الثانية مرحلة العصور الوسطى: وفيها وقعت المسيحية بين عصري التكوين والإصلاح. وهذه المرحلة تعتبر مرحلة ثبات في العقيدة والطقوس. ويسميها المؤرخون بالعصور الوسطى، ولك أن تسميها بعصر «التقليد الكنسي» لإجماع الكنائس على اعتبار التقليد فيها.

– الثالثة مرحلة الثورة على التقليد: وتبدأ بمحاولة زعماء الإصلاح الكنسي العودة بالمسيحية إلى مرحلتها الأولى، ولكنهم ما لبثوا أن انقسموا في تحديد المرحلة الأولى إلى حزبين:

١– الموحدون: وهؤلاء رأوا أن أصل المسيحية هو دعوة المسيح عليه السلام وتبشيره بوحدانية الله، والإصلاح في نظرهم يتوقف على معرفة الوضع الذي كانت عليه المسيحية في عصر المسيح عليه السلام وإرجاعها إليه. وهؤلاء قضت عليهم محاكم التفتيش والحروب الصليبية التي شنتها البابوية.

٢ – البروتستانت: وقد اعتبروا بولس رسولاً أرسله رب المسيحية (المسيح) وبالتالي فهو رأسها، ويجب الوقوف عند تعاليمه. وقد أخذ هؤلاء عن الكنيسة التقليدية أغلب التعاليم الرئيسية، لكنهم أعادوا تفسير بعضها من جديد. ولجئوا إلى الكتاب المقدس للاحتجاج به على البابا، فقادهم ذلك إلى الشك في كاتبي الأناجيل، وهنا نشأت مدارس نقدية كثيرة، بعضها بدأ يتمسك بأن رسل المسيح لم يؤلفوا الأناجيل الأربعة، ولم يعرفوا إنجيلاً منها. وانتهى البعض الآخر إلى أن أحداث الأناجيل أسطورة ألفها آباء القرن الثاني. وقد عجزت الكنائس التقليدية عن إثبات عكس ما يدعون، فما كان إلا أن اتكأت على عصمة المجامع. فعندما يجتمع مجمع الأساقفة فإنهم في مجموعهم معصومون من الخطأ، وعندما يتكلم البابا أسقف روما من على عرش الأسقفية فهو عضو الروح القدس والذي يعبر عن حكم الكنيسة المعصوم. وانطلاقا من هذا قررت الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثاني عشر حق امتلاك

الغفران، فأصبح في مستطاع القساوسة بما لهم من قدرات معجزة أن يقرروا إذا كان الفرد من الناس قد كتب عليه أن يقيم إلى الأبد في الجنة أو النار، فليس منتقدو المسيحية من هذه الزاوية أحراراً في اعتقادهم، ولا يحق لهم أن يؤسسوا إيمانهم على معارفهم العقلية، بل هم خاضعين لإرادة القساوسة والبابا.

وفي مطلع القرن السادس عشر أقلق هذا التقليد ضمير مارتن لوثر، فراح يكتب قضاياه الخمسة والتسعين باللغة اللاتينية، وفى يوم عيد جميع القديسين «٣١ أكتوبر ١٥١٧م» علق هذه القضايا على باب كنيسة وتنبرج. وقد جاء فيها: «أن البابا لا يستطيع أن يرفع دينونة..» وبهذا ضرب الدعامة الأساسية للتقليد في الصميم. ثم راح يعلن أن الكتاب المقدس هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد، وفى جميع المسائل المختلف عليها.

ورغم أن لوثر أنكر عصمة البابا والمجامع إلا أنه تمسك بمجمع نقيه ٣٢٥م وبأفكار القديس أوغسطين. وعندما ننظر إلى تاريخ الكتاب المقدس كمصدر للعقيدة نلحظ أنه حتى عصر الإصلاح الكنسي لم يكن معهوداً أن يفكر المسيحيون في الرجوع إليه في عقائدهم ولا في طقوسهم. وليس دقيقاً ما يتردد من أنه كان حِكْراً على رجال الدين، فإن رجال الدين ما كانوا ليرجعوا إليه إلا للكسب غير المشروع. وخلال العصور الوسطى قدموا عليه قانون الإيمان.

وعندما جاء القرن السادس عشر حاول المصلحون أن يعكسوا القضية، وأن يقدموا الكتاب المقدس على قرارات المجامع وعلى السلطة الكنسية، لأن المجامع يمكن أن تخطئ، والسلطة الكنسية غير معصومة، ولكن أزعجهم أن هذا قد يؤدي إلى التشكيك في عقيدة نقية، ولذلك نجد «آيك» ينبه «لوثر» في مجمع ورمز ١٥٢١م إلى خطورة الاحتجاج بالكتاب المقدس: «يا مارتن إن التمسك بسماع ما جاء في الكتاب المقدس، هو نفس ما كان يتذرع به الهراطقة» فهناك تناقض سافر بين ما جاء في هذا الكتاب من جانب، وبين ما جاء في المجامع من قرارات من جانب آخر، والنتيجة المترتبة على هذا التناقض هي أن التقليد الشفهي لا ينسجم مع الكتابي، وإذا قرر المصلحون الإيمان بالتقليد المكتوب فينبغي أن يتخلوا عن التقاليد الكنسية وقرارات المجامع المتعارضة معه.

وإزاء هذه المعادلة انقسم النصارى إلى اتجاهين مختلفين، اتجاه أصر على التمسك بالتقليد، واستمر يدافع عن البابوية بكل طاقته، وأخر رأي أن يقدم الكتاب المقدس على التقليد، وكان لا بد أن يبرهن هؤلاء على صحة هذا الكتاب بعيداً عن التقليد، مما اضطرهم إلى رفض بعض الأسفار مثل رسالة يعقوب التي وصفها لوثر بالقش. وقد فضل لوثر بعض الأسفار على بعض، مما منح أتباعه الفرصة للبحث والتفكير في الأسس التي يتم على أساسها التقديم والتأخير، فساهم ذلك في ظهور عدد من المدارس النقدية التي شككت بصورة واضحة في صحة الأناجيل. وفيما بعد أصبحت أكثر جرأة في حكمها، وقطعت الشك باليقين، ولا يعنينا هنا أقوال الإلحاديين الذين ادعوا أن الله ﷻ من صنع الإنسان. لأن هؤلاء مهما قالوا عن الدين والكتب المقدسة فلن يظهر لقولهم فائدة. ولا يعنينا كذلك تلك المدارس التي انطلقت من العلوم التجريبية، وذهبت تشكك في حديث الكتاب المقدس عن الكون وتاريخ الإنسان على الأرض. وإنما يعنينا المدارس التي رأت القصور في ما قدمته الكنيسة من أدلة على صحة الأسفار القانونية، لقد بدأ هؤلاء ينظرون بجدية في كل دليل تقدمه الكنيسة، فظهر لهم أنها أدلة تنفي ما يحاول التقليديون إثباته. ومن ثم انقسموا إلى قسمين: أصحاب النقد العالي وأصحاب النقد الأدنى. والمقصود بالنقد الأدنى هو امتحان المخطوطات القديمة لمعرفة مدى تطابقها، وأيضاً دراسة اللغات القديمة لتحديد معاني الكلمات وقوة العبارات بدقة، وهو علم يعتقد كثيرون أنه نافع ومفيد.[1] ولكن عندما تهيمن عليه الكنيسة فإن ما ينتج عنه يصبح من قبيل تحصيل الحاصل.

وإذا كانت البروتستانتية قد نجحت في إخراج الكتاب المقدس من حبسه إلا أن المدارس النقدية التي انبثقت عنها حاولت أن تمزق الكثير من صفحاته، وقد تبلور هذا في جماعة سموا أنفسهم بأصحاب النقد العالي، ومعظمهم من جامعات اللاهوت بألمانيا معقل البروتستانتية، ولمدرستهم رائدان أولهما :

جان استروك: وهو طبيب فرنسي أعلن في سنة ١٧٥٣م أن سفر التكوين مأخوذ من

---

١ – وحي الكتاب المقدس يوسف رياض صـ ١٢٨ ، ١٢٩ ط/ ثالثة مطبعة الأخوة بجزيرة بدران

وثيقتين مختلفتين لأنه ورد فيه اسمان لله تعالى هما «إيلوهيم» و «يهوه».

والثاني هو إيخهورن الأستاذ الألماني، وهو الذي بلور أفكار «جان استروك» إلى فكرة النقد العالي، فدعوه «أبو النقد» وقال إن التوراة مأخوذة من ٤ — ٦ نسخ مختلفة من أسفار موسى الخمسة.

أما تلاميذ ستروك وإيخهورن فقد انتشروا في العالم واقتحموا الكليات اللاهوتية ونشروا المؤلفات العديدة التي تطعن في الكتاب المقدس، ووصل الحد بالناقد الألماني «فيلهوش» أنه نسب أسفار موسى الخمسة إلى ٢٢ كاتباً، وقد صار لمدرسة النقد الكتابي هذه أربع مذاهب وهي:

١) المذهب الطبيعي (١٧٦١ — ١٨٥١ م) نسب أصحاب هذا المذهب المعجزات التي ذكرها الكتاب المقدس للطبيعة، فمثلاً أرجعوا شق البحر الأحمر إلى عوامل المد والجزر، أو إلى هبوب ريح شرقية شديدة في مكان منسوب المياه فيه كان ضحلاً، فجفت المياه. كما تغافلوا أن المياه عادت إلى وضعها الأول بعد أن عبر بنو إسرائيل، وأرجعوا قوة الشفاء التي كان ينالها أول مريض ينزل إلى بركة سلوام بعد تحريك الملاك للمياه بأن هذه المياه تشمل عناصر معدنية مترسبة، ومتى تحرك الماء فإنها تذوب وتمنح الشفاء.

٢) المذهب الأسطوري (١٨٠٨ — ١٨٣٤م) اعتقد أصحابه أن ما جاء في الكتاب المقدس هو من وحي الخيال، وأنها أساطير وليست حقائق، حتى أن دافيد شتراوس أستاذ اللاهوت الألماني وهو من أهم مؤسسي هذا المذهب قال في كتابه «حياة يسوع» إن أحداث الإنجيل أسطورة ألفها آباء الكنيسة في القرن الثاني.

٣) المذهب الاتجاهي (١٧٩٢ — ١٨٦٠م) مؤسسه أستاذ اللاهوت الألماني فرديناند كريستيان، الذي صور المسيحية على أنها متضادان، أحدهما يمثله بطرس رسول الختان. وهو صورة من اليهودية المتطورة، والآخر يمثله بولس رسول الأمم وهو يمثل الانفتاح على الأمم، ولكل اتجاه مبادئه المخالفة للآخر.

٤) المذهب النقدي: وقد اعتقد أصحاب هذا المذهب بأن الأحداث التي ذكرتها الأناجيل عن المسيح مبالغ فيها. وتبع هذا المذهب عدد كبير من النقاد، وأهم كتبهم «البحث عن

يسوع التاريخي» لصاحبه ألبرت سوايزر، وجراهام سكروجي اللذان أودعا في كتابهما هذا معظم الشكوك التي نادي بها هذا المذهب.[١]

ولم يتوقف الأمر عند حد ظهور هذه المدارس، أو إنكار يسوع التاريخي، بل انبثق عنها كثير من التلاميذ والأتباع في أنحاء العالم. وأصبحت بحوثهم المبنية على الحقائق النقدية موضوعات تدرس في الجامعات. وكان من نتيجة هذه الدراسات والأبحاث أن بدأ أساتذة اللاهوت يصرحون بأنه لا علم لديهم بمن كتب الأناجيل، ولم يجدوا من علة لذلك سوى أن يقولوا: إن الإنجيليين ما هم إلا وسائل استخدمها الله ﷻ في اختراع الأناجيل. ولا يعني الناس معرفة شيء من أمر هذه الوسيلة. بل الحكمة تكمن في إخفاء تلك الوسيلة ليبق الكتاب المقدس كتاب الله ﷻ

وبين هؤلاء وأولئك ظهر بروتستانت حُسِبُوا «معتدلين» وانضموا إلى التقليديين في محاولات مستميتة للبرهنة على صحة الأناجيل الأربعة. ورغم ما بذلوه من جهود في رد حجج النقديين إلا أن أبحاثهم غالباً ما تنتهي بالترجيح، وفي بداية أبحاثهم يؤكد كثيرون منهم على أنهم لا يقصدون الدفاع عن الكتاب المقدس، ورائدهم في ذلك واعظ إنجليزي، اسمه سبرجون طلب منه أحدهم أن يدافع عن الكتاب المقدس، فأجاب: أدافع أنا عن الكتاب المقدس. وهل يدافع أحد عن الأسد.؟

كثيراً ما ينقل كتاب المسيحية ومفكروها عبارة هذا الواعظ في مقدمة مؤلفاتهم التي يخصصونها للدفاع عن الكتاب المقدس، ولا يملكون بعدها إلا أن يدافعوا بكل ما أُتوا من قوة عن الأسد الكسلان داخل عرينه.

وعلى درب هذا الواعظ الإنجليزي تتابع الباحثون التقليديون، يقول ويصا الإنطواني: «لا يتوهم أحد أننا نكتب عن صحة الكتاب المقدس، لأننا لا نخاف عليه من الاعتراضات التي يوجهها ضده الذين أضلهم الشيطان وأصبحوا لا يميزون بين حرام وحلال، لأن الكتاب المقدس هو كتاب الله وهو قادر أن يبعد عن كتابه كل وصمة تعيبه وكل عار يلحق به. وقد

---

١ - كتابنا المقدس ويصا الإنطواني صـ ١٥٨ - ١٦٠ .

أرفق الرب رسالته المقدسة إلى العالم بعدة أدلة تشهد بصحتها».[1]

ورغم هذا الإيمان بقدرة الله على أن يبعد عن كتابه كل عار يلحق به، إلا أنه حاول رفع وصمة التحريف، ووضع العديد من علامات الاستفهام حول حجج من يزعمون تحريف الكتاب المقدس، وبروح المحبة والوداعة ذهب القس ويصا يعلن عدم إمكانية أن يحرف الكتاب المقدس. وبروح النظر والتأمل وجد نفسه أمام عدة تساؤلات، ولم يجد لها إجابات..

«إذا كان هناك اتهام بالتحريف فمن هو المحرف ؟

وفي أي عصر من العصور حدث التحريف وفي أي عهد - أي من الملوك — أو الأباطرة تم التحريف.؟

كيف أمكن جمع كل النسخ من جميع بلاد العالم ؟

هل تم تحريف النسخ جميعها وإعادتها إلى أصحابها ؟

أو هل تم إعدامها ونشر الجديد عوضا عنها ؟

ألم تنج نسخة واحدة من هذه المذبحة الرهيبة للكتاب ؟

هل صمت التاريخ عن ذكر هذه الحادثة ؟

هل خرص جميع المؤرخين وأمسكت أيديهم عن الكتابة ؟

هل غير ملايين المسيحيين معتقداتهم في لحظة وغمضة عين ؟

هل صمت المسيحيون واستسلموا للتغيير دون أدني مقاومة تذكر؟

أين الشجعان الذين تحدوا العذابات والوحوش والنار ؟

هل خافوا وارتعبوا واستسلموا للتحريف ؟

يا ترى من قام بتحريف النسخ التي تم اكتشافها في وادي قمران سنة ١٩٤٧م ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد ؟

من حرفها وهي في باطن الأرض ؟ هل حرفتها الشياطين ؟ [2]

وأعتقد أن كل باحث منصف يملك الإجابة على هذه الأسئلة، والمراحل التي مر بها

١- السابق صـ ١٤٢

٢ - السابق صـ ١٦١

العهد الجديد حتى الاعتراف به تجيبه على كل ذلك، فهو يسأل: من حرف، والأولى أن يسأل: من كتب؟ فلو عرف من كتب لعرف في الحال من حرف.

وهو يتحدث عن الكتاب المقدس بعدما ظهر ككتاب يقدسه النصارى، والأولى أن يسأل: كيف ظهر؟ ولماذا لم يكتب بلغة المسيح عليه السلام؟

وهو يسأل: عن عصر التحريف، والأولى أن يسأل: عن عصر الكتابة، وهل اعترفت الكنيسة بأسفار العهد الجديد في عصر المسيح أم بعده؟ ولماذا تأخرت أربعة قرون.

ثم هو يسأل: كيف أمكن جمع كل النسخ من جميع بلاد العالم وتحريفها ثم إعادتها إلى أصحابها، والأولى أن يسأل: لماذا أحرقت أناجيل وبقيت أخرى؟ فالتحريف لم يتم بجمع النسخ وتحريفها وإعادتها إلى أصحابها، بل بحرق نسخة ربما كانت صحيحة والتمسك بأخرى ظهر لنا بكل يقين أنها ليست بلغة المسيح، ولهذا لم تنج نسخة واحدة من هذه المذبحة. بسبب جدية الذين قاموا بتنفيذ مراسيم الحرمان التي كان يصدرها الباباوات بالتتابع، فكان يحكم بإعدام النسخة بمجرد أن ينعتها أحد الآباء بالتزوير.

وهو يسأل عن صمت التاريخ، وهنا نقول له: حسبك. إن التاريخ تكلم، ولا زال يتكلم بأعلى صوته عن التحريف، فرسالة بطرس الثانية، وسفر الرؤيا، ورسالتي يوحنا الأولى والثانية لا زال التاريخ يشهد بأنها ظلت مرفوضة حتى عهد يوسابيوس في القرن الرابع الميلادي، ولم يسكت يوسابيوس أشهر مؤرخ كنسي في التاريخ عن ذكر القانوني وغير القانوني في عهده، ولكن المسيحيين بعدما طال عليهم الأمد استراحوا لما بات تحت أيديهم من نسخ. فقد مر قرن بعد قرن قبل أن تتجمع أسفار العهد الجديد في كتاب واحد.

ثم هو يعطينا أمثلة بوثائق وادي قمران، ولا علاقة لها بالأناجيل، إلا إذا قلنا إنها دخلت في الأناجيل، ولم تؤخذ منها، كما أنه لا علاقة لبقاء أو تحريف كتب أرسطو ببقاء الأناجيل أو تحريفها، ومع ذلك فالتحريف أكثر من أن نعطيه أمثلة عليه، ففي كل صفحة لن يحرم من الحصول على تحريف إن لم يكن أكثر، يعرف هذا الباحثون الذين يقابلون المخطوطات القديمة بعضها ببعض، وكمثال نشير إلى قصة المرأة الزانية في الإصحاح الثامن من يوحنا، فالآباء يؤكدون أنها غير موجودة في النسخ القديمة. فمن الذي أضافها إلى النسخ

الحديثة. أو حذفها من القديمة ؟

ونفس الأمر قله على خاتمة مرقص، وإن شئت كذلك خاتمة يوحنا. وحسبك هذه الأمثلة القليلة من الإطالة. لذلك لو تأملنا النظر قليلاً فإننا نجد أنفسنا أمام قضية تحريف لدين المسيح، يشهد على ذلك الديانة السابقة التي جاء بها موسى عليه السلام واللاحقة التي جاء بها محمد ﷺ. ثم هذه الصعوبات التي جعلت علماء اللاهوت في أمريكا اللاتينية يضيقون ذرعا بدراسة اللاهوت، ويفرون إلى الاشتغال بكل شيء غير اللاهوت، «فخلال النصف الثاني من القرن العشرين بدأ بعض علماء اللاهوت في تبني منهج جديد تجاه دراسة اللاهوت. فحاولوا صرف علم اللاهوت عن موضوعاته الأساسية التي كان يهتم بمعالجتها، فأدخلوا ضمن نطاق دراسة اللاهوت قضية تحرير السود. وتحرير المرأة ومحاربة البؤس. وظهر ما يعرف بلاهوت التحرر. والذي يرتبط أساساً بالمشاكل الاجتماعية»[١]

فبعد أن سئم اللاهوتيون الجدل حول الصعوبات والمتاعب التي فضحها النقد الحديث، خلطوا علم الاجتماع بالدين، ولو كانت المسألة بالبساطة التي تحدث بها القس ويصا لما ترك هؤلاء مهنتهم واشتغلوا محررين للعبيد. ولما قامت مدارس النقد وملأت أوربا بأفكارها. ولما وجدت هذه الأفكار من يستمع إليها. ففي كل مرة يثار فيها السؤال حول مؤلف سفر من أسفار الكتاب المقدس ننتهي إلى الإجابة التقليدية. «الله وحده هو الذي يعلم من كتب هذا السفر أو ذاك».

فالذين اجتباهم لكتابة وحيه مجهولون، والأناجيل التي كتبوها بأيديهم لا تخبرنا أنها من عند الله تعالى ولا تتفضل علينا بمعلومة واحدة عن مؤلفيها، وحتى مرقص وهو أولهم لا تجد إشارة واحدة إليه لا في إنجيله ولا في غيره. فلو قلنا إنه تلميذ بطرس. فلماذا لم يشر إلى ذلك ليضمن لإنجيله القبول، ولو قلنا إن إنجيله هو من إملاء الروح القدس فلماذا سكت الإنجيل عن ذلك. أو لماذا لا نقول: إنه أملاه على المسيح عليه السلام فنجمع التقليد والنقد على كلمة سواء. ونريح الآباء ونريح أيضاً الأبناء.

---

١ - انظر لاهوت التحرر د/ صموئيل حبيب مطبعة سيوبرس الطبعة الثانية.

إن مثل هذه الأسئلة تصيب الباحثين في اللاهوت بالحيرة والإرباك، فأناس الله في العهد الجديد والقديم مجهولون، والمسيحي بمجرد أن يعي الحياة يجد بين يديه أربعة أناجيل، ومن أمامه ومن خلفه هذا السؤال المربك: لماذا أربعة أناجيل؟ إن عقله لا يستوعب المسألة، وحاسته الإيمانية تدفعه إلى الاعتقاد بأن هذه الأناجيل ما هي إلا بديل عن إنجيل واحد، وخاصة عندما يجد اليهودي يقول: «التوراة» ويسمع المسلم يقول: «القرآن الكريم» بينما لا يقدر مسيحي يجل العقل والنقل، ويحترم الواقع أن يقول: «الإنجيل» فهل كان هناك أكثر من مسيح ؟ لماذا لا يكون إنجيلاً واحداً ؟ إن الحس الإيماني يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذه الأناجيل هي في الأصل بديل عن الإنجيل الذي نزل من السماء، فمهمة الرسول تنحصر في إبلاغ إنجيل واحد وليس أناجيل متنافرة، والذي حدث مع أسفار العهد الجديد إنما شكل فوضى في التأليف، وفوضى في الاعتراف، ولولا هذه الفوضى لاستبعد إنجيل مرقص بقبول إنجيلي متى ولوقا، ولكان متى ولوقا كلاهما حجب نصف الآخر. إنها فوضى عامة لم يشهدها بطرس، ولا يمكن لعاقل أن يقول: إن هذا التداخل والتكرار قد تم بإرشاد الروح القدس، وهل تقدر أن تقول: إن من تتبع الأمور بتدقيق كان يكتب بإملاء الروح القدس».؟

هناك من أهل التقليد من خرج صراحة على التقليد عندما فكر في: أيهما أسبق وأيهما اقتبس من الآخر، متى أم مرقص ؟ فقد اكتشف هؤلاء أن إنجيل مرقص لم يأت بجديد، بل وبرهن بعضهم على أنه لو حذف بحذافيره ما خسرت الكنيسة سوى بضعة أعداد من نصوصها المقدسة، إذ أن مادته مسجلة بلغة أرقى وأسلوب أفصح في إنجيلي متى ولوقا. وقد أثرت هذه النظرة على قيمة الإنجيل في الكنيسة على مدى القرون الماضية. وما كان من خواص التقليديين إلا أن أعلنوا أنه لا يعنيهم معرفة اسم الكاتب، فليكن «مرقص» أو لا يكون، فالكاتب الحقيقي – لديهم – هو الله ﷻ، وليس من اختصاصنا أن نعرف الوسيلة التي استخدمها في الكتابة، ولا في نقل المكتوب إلينا، فكلمته تستمد قوتها منه، وليس من الإنسان الذي يستخدمه في الكتابة.

كتب يوسف رياض في كتابه «وحي الكتاب المقدس» صـ٢٧٤ : مجيباً على من يعترض على النصارى بعدم معرفتهم لأسماء كتاب الأناجيل قال: قال واحد «لأجل أن يكون الكتاب

الديني حجة يجب أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي.. من غير مظنة للانتحال»

وفي رده على هذا الاعتراض ذهب يقول: «سبق أن أوضحنا في الفصلين الأول والثالث أن الكتاب المقدس ليس كتاباً دينياً بل هو كتاب الله. وكاتبه الحقيقي هو الله. وهذا ما شهد به الكتاب المقدس عن نفسه، وهذا ما تأكد لدينا بالعديد من الأدلة والبراهين العقلانية. وعليه فليس مهماً أن نعرف الواسطة التي استخدمها الله إذا كان الله لم يشأ أن يطلعنا على اسم من استخدمه سيما وأن كلمة الله لا تستمد قوتها من الإنسان الذي استخدمه الله بل من الله ذاته»

وبناءً على جهالة من استخدمه الله جازف بالحكم على الكتاب المقدس بأنه كلام الله ﷻ. مع أن الكتاب المقدس لم يسجل عبارة تفيد ذلك، ولا عبرة بقول بولس: «كل الكتاب موحى به» لأنه قال ذلك قبل أن تكتب الأناجيل، وفي النهاية هي دعوى من خارج الأناجيل، وهي دعوى سبقت الأناجيل، والمقصود بها أسفار اليهود، ولو كان لما اختلف الآباء حول رسالتي بطرس، ورجحوا انتحال الثانية، ولا أنكر بعضهم رسالة يعقوب ولا اعترض آخرون على سفر الرؤيا وغيره من أسفار هي اليوم مقدسة.

وبعض علماء النصارى اهتدوا إلى الإسلام بسبب عجزهم عن وضع حل لمشكلة مؤلفي الأناجيل، وكثيرون لا يستطيعون كسر الحاجز النفسي والخروج على التقليد، وقد بدأنا نلحظ مصطلحات جديدة تظهر في الأبحاث الحديثة، فكلمة «صعوبة» أو «صعوبات» أصبحت لازمة تظهر عقب كل مشكلة تواجه رجال اللاهوت في أبحاثهم، وقد كثرت هذه الصعوبات حول الإنجيليين الأربعة، لدرجة أصبح معها الكثير من الشروح والتفاسير جملة من الصعوبات التي يحاول كل مفسر تسهيلها للقارئ، وبعضهم ممن تملؤهم الثقة قد يذكرون الصعوبة ثم يتبعونها بالجواب الذي لا يخلو من التكلف في عرض لون أو أكثر من ألوان الحكمة والأسرار، ومن المألوف أن تجد من يزعم أن اسم المؤلف قد وُضع هكذا خطأ من النساخ. ويقر القس إثناسيوس فهمي بأنه «**في العصور الوسطى نُسخ الكثير من المخطوطات** المسيحية الأولى. وحدث أن نسخ النساخ عن طريق الخطأ أحد الكتب تحت اسم كاتب آخر

مشهور غير الكاتب الأصلي»[1] ولكنه يرفض وكثيرون غيره الاعتراف بأن ذلك حدث في عصر الأناجيل.

وهكذا أسلم كثيرون أنفسهم للمعاناة النفسية بإصرارهم على صحة الأناجيل مع إيمانهم بأن رسائل الكنيسة كانت الأساس الفعال في صياغتها، فقبل كتابة الأناجيل وأثناء كتابتها لم تتوقف حركة كتابة الرسائل، وبعض هذه الرسائل بلغ مرتبة أسفار العهد القديم. وأصبح التوافق بين الرسائل المعتمدة والإنجيل الذي يراد اعتماده هو شرط قبول هذا الإنجيل أو ذاك، فمن خلال فكر بولس الموجود في الرسائل استطاعت مجموعات مسيحية أكثر نفوذاً استبعاد الكثير من الأناجيل والرسائل الأخرى عن دائرة الاعتراف. وفي كل الأحوال شكلت رواية الصلب القاسم المشترك الذي على أساسه قبلت الأناجيل الأربعة، فلا تظن أن هذا الإنجيل قدمه أحد الرسل، أو خرج علينا من مدينة مشهورة كما يخمن أساتذة اللاهوت التقليدي. فهذا الأساس المتمثل في لغة وفكر رسائل بولس هو الذي حكم عملية القبول والرفض، فتم قبول أفكار كانت مرفوضة، وبات الباحثون يؤرقهم البحث في حال الأناجيل، وقد لا يجد الدارس المسيحي مشكلة في محاولة فهم أو دراسة موضوع «التقليد الكنسي» بالطريقة التي عرضناها، ولكن المشكلة فيما لو حاول هذا الدارس فهم النصوص التي تؤكد صحة تقليد معين من التقاليد الكنسية، إنها تحدد نوعين من التقليد «تقليد الناس» و«تقليد الكنيسة» فكيف يفرق بين الأمرين؟ ومن يفصل بين الحالتين؟ فهؤلاء أناس وأولئك أناس، فعلى أي أساس يحكم هؤلاء على أولئك؟ وعلى أي أساس أُعتبر من نقل عنهم لوقا لا يمثلون تقليد الناس؟

قد يقول قائل: إن «تقليد الناس» يقصد به من هم خارج الكنيسة، وتقليد الكنيسة نعني به رجال الدين، لكننا في حاجة إلى ما يفصل بين الصحيح وغير الصحيح في تقاليد الكنيسة نفسها. وتقاليد الآباء إن لم نتحقق من اتصالها بالمسيح فلا فرق بينها وبين تقليد من هم خارج الكنيسة، ولهذا حاول كثيرون أن يضعوا الحدود الفاصلة بين الصحيح وغير الصحيح

١- حياة وفكر كنيسة الآباء صـ ٣٦

من التقاليد الكنسية فلم يفلحوا. والمحاولات المستمرة ترتكز على تحديد بعض صور التقليد، على أن ما هو خارج عما رسموه من تلك الصور ليس بتقليد صحيح. ولكن يأتي فيما هو صحيح ما يتشابه تماماً مع غير الصحيح كالتقليد الشفوي الذي لا يرجع إلى معيار ثابت تبدأ منه أو تنتهي إليه، والتقاليد المختلفة شفوية وكتابية تختزل في لون واحد يناصره أحد الآباء المشهورين. لكن ما الحكم لو عارضه آخر في درجته الكهنوتية.؟

ولهذا عندما ظهر البروتستانت توهموا أن الميزان الذي يمكن أن يفصل بين تقليد الكنيسة وتقليد الناس هو الكتاب المقدس، ولكن في النهاية توضح لهم أن الكتاب المقدس نفسه خاضع لتقليد الكنيسة. فصحة الكتاب خاضعة لإقرار رجال الدين، وليس الكتاب المقدس هو الذي يحكم على فكر رجال الدين. بل إن الحكم على صحة الأناجيل ظل قضية مطروحة أمام المجامع باستمرار. وليس ثمة ما يمنع مجمع مقدس من شطب سفر أو أكثر لا يتوافق مع قانون الإيمان الذي صاغه البشر. ولو أردت أن تحتج على أتباع «التقليد الكنسي» بأمر لا يوجد له أصل في التقليد الكتابي وقد وجد بعد عصر الآباء وجدتهم يرددون فكرة واحدة وهي: «إن كانت كتابات الآباء قد خلت من ذكر كذا.. فإنما لأنه كان يدخل ضمن التقليد الشفهي السري في الكنيسة والذي كان يُلقن بالفم والممارسة»

ومن هنا أصبحت المسألة مائعة الطول والعرض، وليست ثمة حدود فاصلها بين ما هو تقليد وما هو خارج عن التقليد. بل المسألة تتوقف على اجتهادات رجال الدين. ولهذا تختلف الكنائس، وتتعدد أفكارها وكلها تدعي أنها تتمسك بالتقليد، وإلا فبماذا نفسر الخلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس حول انبثاق الروح القدس وكلاهما يؤمن بالأناجيل الأربعة ويتمسك بالتقليد.؟

والمفروض أن الأناجيل هي التي تفصل بين الكنيستين، ولكن ما رأيناه هو أن رجال الدين هم الذين عزلوا الصحيح عن غير الصحيح من الأناجيل، ولا يمكن أن يكون مقياس الفصل بين القانوني وغير القانوني هو رفع الأيادي بالموافقة، أو خفضها إشارة إلى عدم الموافقة. فبهذه الطريقة خرج إنجيل بطرس ودخل إنجيل لوقا، وخرج إنجيل متى المزور ودخل متى غير المزور، وهكذا ظل يدخل القائمة القانونية سفر ليخرج آخر حتى اعتمدوا

إثناسيوس سنة ٣٦٧م، وأيده بد ٣٠ سنة كرنج الثالث

وبعض رجال اللاهوت يزعجه عرض الحقيقة على هذه الصورة. ويحاول ترتيب الأفكار والبحث عن وجوه للحكمة فيما يجمع العقلاء على أنه لا حكمة فيه، ومن ثم يضع قواعد يزعم أن الآباء كانوا يعتمدون عليها، وأن المسألة ليست مجرد موافقة أو عدم موافقة، وإنما الفحص الدقيق لمحتوى الكتاب قبل إقراره أو رفضه، وبعضهم يقول: «إن أي إنجيل لم يكن يحظى بالاعتراف الرسمي في الكنيسة إلا إذا كان مقدمه رسولاً أو تقدمه كنيسة مدينة كبرى كروما أو إنطاكية أو الإسكندرية»[1]

فهذا مقياس صحة الإنجيل التي اعتمد عليها التقليد:

- أن يكون مقدمه رسولاً.
- أو تقدمه كنيسة مدينة كبرى كروما أو إنطاكية أو الإسكندرية.

غير أننا وجدنا التقليد الكنسي يرفض إنجيلا منسوبا إلى بطرس، وهو من الرسل ويقبل إنجيل لوقا وهو ليس من الرسل، ولم يثبت أن إنجيلاً من الأربعة قدمه رسول من رسل المسيح الاثني عشر. ولا يعرف أحد على ظهر الأرض من أي كنيسة خرج إنجيل متى ولا مرقص. وكافة الآراء حول مكان وزمان تأليف هذه الأناجيل هي تخمينات نعرضها عليه في موضعها من الفصول القادمة. إن شاء الله تعالى.

---

١ - الإنجيل بحسب القديس متى دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين صـ ٣٤

الفصل الثاني
متى ..
بين التقليد والنقد الحديث !

عادة ما يفضل قراء الأناجيل المسيحيون إنجيلاً بعينه من بين الأناجيل الأربعة. يعتبر إنجيل «متى» من أحب الأناجيل إلى الكنيسة وأكثرها شعبية فيها. فمن بدء ظهوره إلى الآن وهو الأقرب دائماً، والأكثر استعمالاً فيها، ومن بدء ظهوره والسؤال: من كتب هذا الإنجيل ؟ يتردد باستمرار.

وقد تنوعت طرق الإجابة على هذا السؤال في تفسيرات وشروح الإنجيل. وتفرع عن الموضوع موضوعات. وتعددت الاجتهادات حول شخصية الكاتب في كل مسألة من المسائل الإجمالية والتفصيلية، واستمرت الشروح والتفاسير قروناً عديدة، تارة تحاول تحليل الأصول، وأخرى تحاول تجميع الفروع، وفي أوقات كثيرة بدت وكأنها تسير لا في اتجاه، وتبحث لا في موضوع، وبينما طالت مقدماتها وتشعبت مسائلها كلت همم الباحثين عن ملاحقة ما بين الترجمات من اختلاف، وعجزت عقولهم عن استيعاب ما بين المخطوطات والنسخ القديمة من تباين، والنتيجة لكل ذلك واحدة في كل الأحوال: «لا يعلم من كتب هذا الإنجيل إلا الله ﷻ» !

فشخصية الكاتب ولغته والمكان والزمان الذي كتب فيه الإنجيل، كل هذه افتراضات يثبت أحدها الآخر. فالمكان الذي كُتب فيه الإنجيل يمكن تحديده بالأماكن التي يفترض الآباء أن يكون «متى» قد زارها، والأماكن التي زارها «متى» يمكن تخمينها بالأماكن التي يحوم الشك حول خروج الإنجيل منها، وبدلاً من أن تقول الكنيسة: إن ظهور الإنجيل في لغة اليونان يدل على أن «متى» اليهودي لم يكتبه، افترض بعضهم أن متى كان يعرف اليونانية. وبهذه الطريقة ترسخ التقليد بأن «متى» هو كاتب الإنجيل الأول. وبهذا الرسوخ استطاع آباء الكنيسة إسكات ما بدا أنه تحرك في بعض الأوقات نحو البحث الجاد عن إجابة مقنعة للغز الكاتب، ورغم ما نلحظه من هدوء في الخلافات اللاهوتية في بعض العصور، إلا أن الكثير من الأسئلة حول صحة الأناجيل لا زالت تقض مضاجع الدارسين.

وتشوش على المبشرين تبشيرهم، فقد بدأت تكثر الافتراضات وتتعدد الأقوال والاجتهادات. وظهر تيار قوي داخل كليات اللاهوت يحاول البحث عن أسانيد الآباء في حكمهم على صحة الأناجيل، وعادت كافة المسائل لتبحث من جديد، بدءًا من اللغة التي ألف بها كل إنجيل، وانتهاء بمن كتب هذا الإنجيل أو ذاك.

• لغة إنجيل متى

مهما يكن من فروق بين اللغات واللهجات، الفصحى أو العامية، فإن الكتاب الذي نزل على عيسى عليه السلام لا بد وأن يكون بلغة قومه، فهذه قاعدة عامة، وسنة مطردة في الخلق. فلم يثبت أن رسولاً تحدث لغة ونزلت عليه «الرسالة» بلغة قوم آخرين، ولم يثبت أن قوماً تحدثوا لغة وجاء رسولهم يخاطبهم بألسنة الغابرين، وأي حكمة وراء مخاطبة الناس بغير لغتهم. أو بحديث لا تصل إليه عقولهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ (سورة إبراهيم)

هذا.. ولا خلاف على أن المسيح عليه السلام كان من بني إسرائيل، ولا خلاف على أنه ولد بين قوم يتحدثون الآرامية، **تلك اللغة التي انقرضت ولم يبق من المتحدثين بها سوى بضعة** قرى سورية صغيرة أهمها قرية «معلولا»[1] التي اتجه بعض أهلها وبدعم من الحكومة السورية مؤخراً إلى فتح معهد لتعليم تلك اللغة وتسجيل حروفها وما بقي متداولاً من كلماتها.

وأهل «معلولا» منهم نصارى، وإلى جانب لهجتهم الموروثة يتحدثون اليوم العربية، ورغم نزول الإنجيل بلغتهم إلا أنهم يترجمون ما يحتاجون إليه من فقرات الأناجيل الأربعة عن اليونانية، وكأنه كتب على المسيحي أن لا ينعم بمعرفة «الإنجيل» في لغته الأصلية، وأن لا يؤمن أهل «معلولا» الذين يتحدثون لغة المسيح إلى اليوم إلا بإنجيل أهل أثينا، وأن لا يعرفوا المسيح إلا من خلال عقلية فلاسفة أثينا، وأن لا يفهموا تعاليم المسيحية إلا من خلال ما تجود به عليهم مدارس أثينا من شروح وتحليلات. وقديماً رفض

---

[1] - بكسر الميم وتعني الفج بتلك اللغة

آباؤهم أسفار العهد الجديد اليونانية، كما رفضت المجموعات المسيحية في بلاد اليونان الاعتراف بالمذكرات الآرامية، لا لكونها هرطقة، بل لأنها في الأساس مكتوبة بلغة لا تفهمها، وبهذا رفض إنجيل «متى» الآرامي الذي أشار إليه بابياس، وقُبلَ متى اليوناني الذي لم يعرفه بابياس ولا أوريجانوس، وبهذا نشأت مسيحية يونانية، وبهذه النشأة السريعة اصطدمت المسيحية اليونانية بغريمتها الآرامية، وبدعم قسطنطين أجهزت عليها، وأحلت محل إنجيلها أربعة أناجيل. ولا يشك دارس في أن رسائل بولس قد كتبت قبل هذه الأناجيل، وأنها كانت الأساس الذي اعتمدته الكنيسة في تحديد المقبول وغير المقبول، بل وشكلت لغة الرسائل القاسم المشترك الذي على أساسه قبلت الأناجيل الأربعة، وبكل سهولة نسبتها الكنيسة إلى رسل المسيح ﷺ، ويخمن كثيرون أنها قد نقلت عن مصادر آرامية، ويرى بابياس أن إنجيل متى كتب في الآرامية،[1] وربما بدا للوقا أن كل من يتحدث الآرامية يمكن أن يكون معايناً للمسيح، أو على معرفة بمن عاينوا المسيح، أو هو على أقل تخمين أكثر معرفة بحياة المسيح من كثيرين لا يتحدثون لغة المسيح ﷺ.

• مكان كتابة الإنجيل

عندما يشرع باحث في محاولة تحديد مكان كتابة إنجيل من الأناجيل الأربعة فليس أمامه إلا أن يبدأ ببناء قاعدة من التخمينات، هذه القاعدة ليست ضرورية إلا لإقامة المزيد من التكهنات، وفي النهاية تستطيع أن تضع ما تشاء من أسماء البلاد دون أن تجد من يقطع بخطأ قولك، أو بصحة قوله. وهكذا يأتي التقليد ليضع بين أيدينا أكثر من احتمال:

فالقديس «متى» ذهب كارزاً إلى إثيوبيا، حيث كان هناك جالية لليهود كبيرة.

والقديس «متى» ذهب إلى مكدونية وكثير من بلاد أسيا الصغرى، على أن كرازته كانت بين اليهود وكان حاملاً بيده إنجيله الذي كتبه باللغة العبرية.[2]

ومخمن آخر يذهب بـ «متى» أو بإنجيله إلى الهند.

وآخر يؤكد أن إنطاكية هي التي قدمت الإنجيل.

---

١ - دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل متى)

٢ - الإنجيل بحسب القديس متى دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين صـ ٢٠ ، ٢١

ولا يطمح هؤلاء في أكثر من ترجيح اسم بلد على آخر. فتأخر ظهور الإنجيل ذهب بالبعض إلى الحبشة وآخرون اتجهوا إلى الهند، والسبب وراء ترجيح بعضهم لإنطاكية هو نظرتهم إلى قربها من فلسطين مما يضفي لوناً من المنطقية على فكرة أن «متى» الرسول هو كاتب الإنجيل. ومن هذا المنطق يمكن الإيحاء بأن الأمور كانت مهيأة لتحرير هذا الإنجيل قبل منتصف القرن الأول، وهو ما يحبذ التقليد أن يقول به، ولكن لا شيء داخل ولا خارج الإنجيل يدعم هذا الاتجاه.

وبهذه التنقلات والتفصيلات غير المهمة وبهذا الغموض ضاعت معلومات أساسية حول مكان وزمان كتابة الإنجيل. وحتى الوجود التاريخي لشخصية «متى». لا تقطع به هذه التكهنات على كثرتها، وهي بالنظر إلى طبيعة العالم آنذاك غير واقعية. فـ«متى» المذكور في الإنجيل قضى قسطاً كبيراً من عمره غير المحدد جابياً للضرائب، ومن المستبعد أن يكون قد تمكن بعد اعتزال الضرائب من إنجاز معرفته الدقيقة بالعهد القديم، كما أن التقاليد الخاصة برحلاته يلفها الغموض في زمانها ومكانها والآثار التي خلفها، إذ لا يستطع باحث أن يجزم بأين بدأت، ولا في أي مكان حط رحاله للمرة الأولى ولا الأخيرة، لم يترك لنا «متى» تقليداً في البلاد التي يظن الآباء أنه قد زارها على نحو ما ينسب إلى مرقص. الذي يقول التقليد المصري إنه أسس الكرازة المرقصية في الإسكندرية، وبطرس الذي يجلس على كرسيه بابا الكاثوليك في رومية.

لم يقل لنا التقليد متى ولا أين ولا كيف مات «متى» وهنا لا بد أن يجتهد الأحباب.

«يقول المؤرخ سقراط إنه تنيّح في إثيوبيا.

ولكن يرجح إيسذوروس أنه تنتّح في مكدونية.

ويقول هيراكليون إنه مات ميتة طبيعية.

ولكن يقرر نيسيفوروس أنه مات شهيداً». [1]

ووسط هذه الضبابية تحاول مصادر كنسية تحديد مكان كتابة الإنجيل، ولكن بما أن

---

١ - الإنجيل بحسب القديس متى دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين صـ ٢٠ ، ٢١

المعلومات حول المؤلف غير متفق عليها تتعدد الاحتمالات، وتتنوع الاجتهادات، ولو افترضنا صحة التقليد الذي يقول إن «متى» أحد رسل المسيح عليه السلام هو الذي كتب هذا الإنجيل، إن هذا يعني أن علينا تتبع رحلات هذا الـ «رسول» لنصل في النهاية إلى المزيد من الاحتمالات. والمزيد من التكهنات والترجيحات. وفي النهاية لا يسع الباحث إلا أن يتساءل ترى في أي بلد من بلاد الله الواسعة حط «متى» رحاله ليسطر هذا الإنجيل.؟

وقد تعجب لماذا يعمى الباحثون عن طرح اسم «أورشليم» كمكان مناسب لتسجيل أحداث الإنجيل، وما قيمة أية كنيسة بجوار كنيسة أورشليم التي دشنها المسيح بنفسه.؟ ولماذا يتبنى إصدار «الإنجيل» رسول واحد دون مشاركة من الرسل كافة؟ بل قل لماذا لا يجتمع الإنجيليون الأربعة على إنجيل واحد، يتفادى تكرار الأقوال والأفعال.؟

نقول: كان من الممكن ترجيح أورشليم:

- لو كان التقليد الخاص بـ «متى» عرف شيئاً عن إقامته في أورشليم.
- لو كان الآباء قد أمسكوا منذ فجر المسيحية عن التخمين في كل اتجاه.
- لو لم تكن كنيسة أورشليم في خلاف دائم مع المجموعات المسيحية المنتشرة في بلاد اليونان بسبب موضوعي الختان ودعوة الأمم.

فهذه الأسباب نأت بكنيسة أورشليم عن أن تأخذ بحظها من الاحتمالات. مع أن الكل يتمنى لو أن إنجيلاً كان قد خرج منها. إذاً لارتفعت هامات القوم، ولأغنتهم عن التخمينات، ولأراحتهم من الدفاع المتواصل عن أناجيلهم، مما أتعب عقولهم، وأحزن نفوسهم، دون أن يقطع الشك باليقين.

• تاريخ كتابة الإنجيل

قد لا يبدو لبحث هذه المسألة أهمية في نظر كثيرين، ولكن ربما يشدك إلى الانغماس فيها إصرار الآباء وغير الآباء في بعض العصور عليها بجدية، ذلك أنهم وجدوا أن لتحديد التاريخ علاقة كبيرة بتحديد شخصية كاتب الإنجيل، ومن المؤكد أنك سوف تُدهش لكثرة الاجتهادات، وكثرة الآراء التي تختلف من عصر إلى عصر، فالكل يقترح، وليس هناك ولا هنا من يضع حداً لهذه الاقتراحات، وإجمالاً يمكننا تقسيم هذه الاقتراحات إلى نوعين:

- فمنهم من يقترح وقتاً متقدماً.

- ومنهم من يرى أن الإنجيل كتب في وقت متأخر.

ويمكن وضع حدٍ يفصل بين المتقدم والمتأخر بالاستناد إلى ما طُرح من تواريخ، حيث يبدو أن العقد التاسع من القرن الأول الميلادي هو التاريخ المناسب للفصل بين الاتجاهين.

أما الاتجاه الأول فيعتمد على تقليد قديم يقول: إن «متى» كتب إنجيله قبل الآخرين، ويقولون إن موضعه من أسفار العهد الجديد يدعم هذا التقليد. «ويذكر أكليمندس الإسكندرى أن الشيوخ الذين تعاقبوا الواحد تلو الآخر منذ البداية، ذكروا أن الإنجيلين المشتملين على سلسلتي نسب المسيح «متى» و«لوقا» قد كتبا أولاً، وهذا ولا شك ضربة قاضية على النظرية الشائعة على أن إنجيل «متى» قد اعتمد على إنجيل مرقص، مما يدعو إلى رفضها.

وعلى أي حال من المؤكد أن هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم ٧٠م.[١] والتاريخ المرجح لكتابته في اليونانية هو العقد السابع من التاريخ الميلادي» [٢]

وإليك بعض النقاط التي يُعتقد أنها تدعم هذا الاتجاه:

- الزعم بأن القديس «متى» استخدم إنجيل مرقص في صورته النهائية لم يحز قبولاً جماعياً. بل إن اعتبار عام ٦٥ م تقريباً كتاريخ لكتابة إنجيل مرقص لم يؤخذ على أنه أمر مسلم به، ولقد اعتقد معظم الآباء أن القديس مرقص كتب إنجيله بعد موت القديس بطرس عام ٦٤ م ؟

- إن ثمة تقليد لآباء الكنيسة يبين أن إنجيل «متى» قد يسبق إنجيل مرقص، وهذا ما حدا بالقديس إيرينيُوس إلى التأكيد على أن تاريخ إنجيل «متى» يتزامن مع الفترة التي كان القديسان بطرس وبولس لا يزالان يبشران في روما، بيد أنه حتى بين سطور الإنجيل نفسه توجد بعض الإشارات إلى تاريخ مبكر» [٣]

---

١ - أنظر متى ٢٤: ١٥

٢ - دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل متى)

٣ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل متى) ر. ت . فرانس صـ ١٩، ٢١ ط/ دار نوبار للطباعة

وهناك من رأى أن إنجيل متى كتب أولاً في العبرانية ثم ترجم إلى اليونانية، ويقترح «زاهن» ميعاداً محدداً لظهور ترجمة إنجيل «متى» من العبرية إلى اليونانية هكذا: «إن ظهور الترجمة اليونانية لإنجيل القديس «متى» حدث قبل نهاية القرن الأول المسيحي، ذلك في إقليم أسيا الصغرى، ويؤكد الشهود أن ذلك كان قبل سنة ٩٠م» [١]

وهكذا ندخل في سلسلة لا متناهية من التخمينات والافتراضات حول الكاتب والمترجم والزمن الذي كتب والذي تُرجم فيه الإنجيل، ويتطلع الباحثون كل يوم إلى اكتشاف جديد يريح صدورهم، ويخفف من قلقهم النفسي تجاه المصير، ويشاء الله أن تظهر بردية تقر بها عين الأب متى المسكين، فبينما كان يطالع جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤ / ٣ / ١٩٩٦م إذا به يقرأ: «اكتشف مؤرخ ألماني متخصص في البرديات المصرية بجامعة أكسفورد البريطانية ورقة بردي مصرية تعود إلى القرن الأول للميلاد، وتعتبر أقدم وثيقة مسيحية في العالم. وأوضح المؤرخ كارستين بيتر تييد أن البردية جرى العثور عليها عام ١٩٠١م في إحدى كنائس الأقصر، لكنها لم تحظ بالانتباه إلى أهميتها، وظلت في الكلية المجدلية بأكسفورد إلى أن بدأ العالم الألماني قبل عامين التعرف عليها ودراستها، واكتشف تييد أن البردية تعود إلى عام ٦٠م مما يجعلها أقدم وثيقة مسيحية يتم اكتشافها حتى الآن، وتضم بعض أجزاء آيات من إنجيل «متى» وتستشهد بأشخاص عاشوا في الفترة التي عاش خلالها المسيح، ونشرت جريدة الديلي ميل البريطانية أمس مقتطفات من كتاب سيصدر غداً عن الموضوع الذي يؤرخ للأناجيل الأخرى وسبق كتابتها في فترة متأخرة نسبياً عن الزمن الذي عاشه المسيح، إلا أن هذه الوثيقة تثبت أن إنجيل «متى» يستمد معلوماته من أشخاص وصفهم أنهم كانوا شهود عيان للسيد المسيح، كانوا من بين تلاميذه، وتمكن المؤرخ الألماني من علاج بقايا البردية التي وجدها ممزقة إلى ثلاثة أجزاء صغيرة ومكتوبة باليونانية القديمة» انتهى [٢]

أما تعليق الأب «متى» المسكين على هذا الخبر فهو كالآتي:

---

١ - الإنجيل بحسب القديس متى دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين صـ ٣١ ، ٣٢.

٢ - السابق صـ ٣٢

«إن كانت قد كُتبت سنة ٦٠ م وهي بخط القديس «متى» نفسه. فهي على أقل الفروض يلزم أن يكون قد مر عليها ما لا يقل عن خمسة وعشرين سنة حتى تصل إلى الأقصر إذن فزمن كتابتها يتراوح بين سنة ٣٥ وسنة ٤٠م » [١]

ورغم أننا قد لا نتمتع بما يتمتع به الأب متى المسكين من عقل وفكر. ولا نملك دعم الروح القدس الذي يتمتع به إلا أننا نرى أن قداسته قد خلط بين تاريخ كتابة الوثيقة وتاريخ وصولها إلى الأقصر، فظن أن العلماء اكتشفوا أنها وصلت إلى الأقصر سنة ٦٠ م وراح يقدر مدة انتقالها من فلسطين إلى الأقصر بما لا يقل عن ٢٥ سنة. في حين أن النص الذي قرأه أولاً ونقله ثانياً يقول: «إن البردية تعود إلى عام ٦٠م» وأي مكان يقترح لكتابتها لن يغير هذا التاريخ. وهو تاريخ تقريبي على كل حال، وتقدير مدة انتقالها قد يستغرق عاماً أو أكثر، لكنه لن يطول حتى يصل إلى ٢٥ سنة، ومن الممكن كذلك أن تكون تلك الوثيقة قد دخلت الإنجيل اليوناني. ولم تستل منه، بمعنى أن مؤلف الإنجيل الحالي استعان بها أو بمصدر منقول عنها، أو اشترك معها في مصدرها الأصلي، وعلى كل الأحوال لا يجوز أن يكون الكاتب للوثيقة ولا الناسخ لها هو متى رسول المسيح لأنها مكتوبة باليونانية القديمة. وإنجيل متى الذي تحدث عنه بابياس مكتوب بالعبرية.

وأما الاتجاه الذي يفترض تاريخاً متأخراً، فيعطي فترة لكتابة الإنجيل تبدأ بنهاية القرن الأول. وعلى هذا الاتجاه معظم الدارسين المعاصرين، فقد جاءت بحوثهم لتؤكد على أن الإنجيل كتب خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن الأول، والأسباب الرئيسية التي جعلتهم يحددون التاريخ بأنه ليس قبل عام ٨٠ م تقريبا، هي:

١. إنجيل مرقص لم يكتب قبل عام ٦٥ م تقريباً كما هو مفترض بوجه عام وأن القديس «متى» اتخذ إنجيل مرقص كأحد مراجعه، فتاريخ إنجيل «متى» إذاً لا بد وأن يكون بعد عام ٦٥ م .

٢. يُعتقد أن خراب أورشليم سنة ٧٠ م قد أثر على لغة بعض الفقرات. مثل «متى ٢٢ : ٧،

---

١ - السابق صـ ٣٣

٢٣ : ٣٨» وأجزاء مختلفة من الإصحاح الرابع والعشرين.

٣. النبرة غير اليهودية تناسب الحقبة القريبة من عام ٨٥م حين أستبعد المسيحيون بالفعل من العبادة في المعبد نتيجة تضمين العبادة لعنة على الهراطقة، بدلاً من حقبة سابقة حيث كانت مكتوبة بطريقة أقل وضوحاً.

٤. ويقال إن الإنجيل يعكس وضعاً لاهوتياً وكنسياً متطوراً للغاية بالنسبة لفترة سابقة له. وهكذا تنقسم الآراء حول تاريخ كتابة الإنجيل الأول إلى اتجاهين: يرى أحدهما أن الإنجيل قد ألف قبل عام ٨٠م. ويرى الآخر أنه ألف بعد هذا التاريخ. ويظل الباحث يتردد بين هذين الاتجاهين، فما إن يقف في اتجاه حتى يخيل إليه أن الآخر أولى. وهكذا لا يجني أكثر من الإرباك والحيرة. غير أننا أردنا بعرضنا لهذين الاتجاهين أن تقف على جانب من التكهنات، على أنه لا شيء مما عرفت بقاطع الدلالة، فلا تستطيع أن تحكم أي إنجيل سبق الآخر، لا في الكتابة ولا في الاعتراف الكنسي. وهكذا لا يختلف أهل التقليد حول تحديد السنة التي كتب الإنجيل فيها فحسب، بل يتسع الخلاف ويتعمق ليشمل عشرات السنين، وعشرات الأقوال. ومهما سردنا لك من أسماء، ومهما ذكرنا من أقوال وتواريخ فسيبقى الباب مفتوحاً على احتمالات جديدة، لتزداد هذه الاحتمالات كثرة على كثرتها.

وأما أقرب الاحتمالات اليوم وقد يكون أبعدها غداً، فهو أن الإنجيل هو الوحيد الذي استخدم كلمة (إكليزيا) أي كنيسة.[1] واستخدام هذه الكلمة بالإضافة إلى كون الإنجيل كتب أصلاً باليونانية يعطي دلالة واضحة على أنه كتب في مرحلة متأخرة عما يظن البعض، فالكنيسة لم تُعرف في بلاد اليونان قبل مطلع القرن الثاني، ولم تنتشر كمبان منظمة ومخصصة لعبادة المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية قبل عصر قسطنطين. ولذا اضطر الدارسون إلى إرجاع الحديث عنها إلى جماعة المسيحيين، وليس المباني الملتحفة بالصلبان، والتي تعلوها الأجراس، وتملأ ساحتها الأرائك، وتحيط بجدرانها الأيقونات.

١- متى ١٦ : ١٨ و ١٨ : ١٧

• من كتب الإنجيل ؟

ننتقل الآن إلى الإجابة على هذا السؤال الكبير، من كتب الإنجيل الأول ؟

لقد سار علماء اللاهوت أمام هذا السؤال في اتجاهين:

الاتجاه الأول: وقد اقتنع أتباعه بعدم جدوى بحث هذه المسألة، سواء أقبلنا التقليد أم رفضناه، وسواء أقبلنا شهادة بابياس أم رفضناها. فهذه مسألة لا تبدو ذات أهمية. ولا يفيدنا أن يكون متى أو لا يكون هو كاتب الإنجيل. فموضوع الكاتب الحقيقي ليس الموضوع المهم بالنسبة لفهم (أتباع هذا الفريق) للإنجيل، فالسفر نفسه جاء خلواً من اسم كاتبه، ولا يتضمن أية إشارة على الإطلاق إلى من كتبه. وربما كان شخصاً مرتبطاً بـ «متى» الرسول، ولكن في أية مرحلة، أو بأية طريقة فهذا لم يمكن قوله تحديداً.[1]

ومن هنا يخرج علينا كثيرون من علماء اللاهوت يعلنون أنه لا جدوى من محاولة معرفة اسم الكاتب. ولا أهمية لهذه المعرفة. فليست مهمة بقدر ما في الإنجيل من بيان لصورة المسيح عليه السلام

الاتجاه الثاني: ويحسب أتباعه أن بإمكانهم معرفة كاتب الإنجيل، وأن عليهم مواصلة البحث والاجتهاد. ومن ثم تختلف آراؤهم في الموافقة والاعتراض، والاسم المطروح دوماً هو متى، والميزة التي يتمتع بها هذا الاسم أن المعترضين عليه ينتهون إليه، ففي حين يعجز التقليديون عن إثبات نسبة الإنجيل إلى متى، لا يتمكن النقديون من اقتراح اسماً ولا حتى حلاً آخر، وفي هذا الصدد يقدم لنا القس فهيم عزيز ثلاثة اتجاهات متباينة لمن يرون إمكانية الوصول إلى لغز الكاتب:

- فريق يتمسك بالتقليد الكنسي الطويل ويقول إن «متى» العشار تلميذ المسيح هو كاتب هذا الإنجيل.
- وفريق آخر ينكر أن تكون لـ «متى» رسول المسيح صلة بهذا الإنجيل.
- أما الفريق الأخير فيقف في الوسط بين الموقفين السابقين، فيعتقد أن مجموعة التعاليم

---

١ - يسوع والأناجيل الأربعة تأليف جون و. درين ترجمة نكلس نسيم سلامة صـ ٢٦٢ ط/ أولى عن دار الثقافة

الموجودة في الإنجيل حالياً، مثل الموعظة على الجبل والأمثال وغيرها، قد أخذها شخص مجهول وربطها بمجموع الحوادث الموجودة في إنجيل مرقص إلى جانب مصدر آخر أخذ منه بعض الحوادث كحوادث الميلاد. ربما كان هذا الشخص تلميذاً في مدرسة اسمها «مدرسة متى» وقد يكون شخصاً آخر.

هذا إجمال واليك التفصيل:

الاتجاه الأول: كاتب الإنجيل هو متى الرسول

يتفق تقليد الآباء على أن كاتب الإنجيل الأول هو «متى» أحد الرسل ألاثني عشر، ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أدلة، من داخل الإنجيل ومن خارجه.

أولاً: الأدلة الداخلية:

حيث يأتي إنجيل «متى» أو الإنجيل «بحسب رواية متى» أول الأناجيل القانونية طبقاً للترتيب التقليدي، وإن لم يكن في جميع الحالات، وينسب - حسب شهادة الكنيسة الأولى بالإجماع - إلى «متى» الرسول رغم أن عنوانه لا يدل بالضرورة على مصدره المباشر.[١]

ويقول التقليد: إن العنوان «بحسب متى» قديم جداً، حيث ظهر قبل نهاية القرن الثاني الميلادي. نعم إنه لم يكن ضمن النص الأصلي للإنجيل. ولكنه مع ذلك قديم جداً ظهر على الأقل سنة ١٢٥م

فإذا ما تركنا العنوان وجازفنا بالولوج في إصحاحات الإنجيل نجد أنفسنا أمام هذا النص: «وفيما يسوع مجتازاً من هناك، رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه «متى»، فقال له: «اتبعني. فقام وتبعه»[٢].

فهل «متى» هذا هو كاتب الإنجيل ؟

التقليد يعرفنا أن هذا الشخص هو نفسه «متى» كاتب الإنجيل، والاسم في العبرية معناه «عطية الله» فعندما دعاه المسيح أخذ اسم «متى».[٣]

---

١ - لأن العنوان هو «الإنجيل بحسب متى» وهذا ليس صريحاً في أن متى ألف هذا الإنجيل.

٢ - مت ٩: ٩

٣ - شرح إنجيل متى / الأب متى المسكين صـ ٢٠

ويذكر كل من مرقص ولوقا أن هذا العشار كان اسمه «لاوي».[١] ولكن في القوائم الثلاث بأسماء التلاميذ ألاثني عشر[٢] يذكر اسم «متي» وفي إنجيل متى يقول: «متى العشار» فهو يريد أن يشيد بنعمة الله التي دعته من هذا العمل البغيض عند الشعب، ليكون رسولاً ينادي بالخلاص للعالم.

وتذكر الأناجيل الثلاثة الأولي أنه كان بين التلاميذ ألاثني عشر، تلميذ آخر اسمه «يعقوب بن حلفي» [٣]، فهل كان «لاوي بن حلفي» أخاً ليعقوب بن حلفي؟

يرجح أتباع التقليد أنهما لم يكونا أخوين، إذ لا يذكر أحد من البشيرين ذلك صراحة. كما هو الحال في حالتي: بطرس واندراوس .. ويعقوب ويوحنا ابني زبدي.. لذلك يلزم أن يكون اسم «متى» واسم «لاوي» اسمان لشخص واحد رسول وإنجيلي بآن واحد .

ولقد قال البعض إن اسم (لاوي) ليس اسماً لشخص بقدر ما هو اسم لسبط أو جماعة موضحين أن «متى» كان في الواقع من اللاويين ومن ثم يرجح البعض أنه كان ملماً تمام الإلمام بالدقائق الدينية لتقليد الكتابة.

وفي نفس الوقت فإن اللاوي الذي يصبح عشاراً يتوقع أن يزدري به زملاؤه اللاويون، وبذا يتولد لديه الاستعداد أن يشدد كثيراً على تسجيل النزاعات التي كانت بين المسيح وغلاة المتشددين ليس دفاعاً عن نفسه فحسب، بل لإرشاد الآخرين.

لهذه الدلائل يرجح كثيرون أن يكون كاتب الإنجيل هو«متى» نفسه، ويضيف القديس يوحنا الذهبي الفم إلى ذلك عدداً من الأسباب، نذكر منها ما لا نضطر إلى تكراره عند حديثنا عن الأدلة الخارجية:

- يذكر لوقا أن لاوي «متى» صنع للسيد المسيح وليمة كبيرة، في أول عهده بالتلمذة [٤] أما

---

١ - مرقص ٢: ١٥، لو ٥: ٢٩

٢ - مت ١٠: ١- ٤، مرقص ٣: ١٦- ١٩، لو ٦: ١٤- ١٦ في متى يذكر اسم «متي» الثامن في قائمة الرسل، وأما مرقص ولوقا فيذكرانه السابع بين برثلماوس وتوما.

٣ - مت ١٠: ٣، مرقص ٣: ١٨، لو ٦: ١٥

٤ - لو ٥ : ٢٩ -٣٢

«متى» فيذكرها بكل اختصار تواضعاً [١]

- الشواهد والبينات الواضحة من نهج الكتابة بأن الكاتب يهودي متنصر.

- لا يعقل أن إنجيلاً خطيراً كهذا في مقدمة الأناجيل ينسب إلى شخص مجهول، وبالأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح عليه السلام.

- من المسلم به أن الجابي عادة يحتفظ بالسجلات لأن هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات، وكذلك فإن هذا الإنجيلي قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة» [٢]

هذه القرائن تتحول إلى براهين لدى البعض، وقد تصبح نقاطاً يحدد من خلالها التقليديون الملامح الرئيسية لمن يفترض أنه كاتب الإنجيل الأول.

ثانياً: الأدلة الخارجية

تنطلق الأسئلة التي تجمعت حول الإنجيلي الأول من العبارة التي ثار حولها الكثير من الجدل والمنازعات، وهي العبارة التي نقلها يوسابيوس عما كتبه بابياس بعنوان: «تفسير كلمات الرب». وبابياس هو أول من ذكر «متى» بالاسم على أنه كاتب هذا الإنجيل، وهذه هي كلماته:

«كتب متى اللوجيا (الأقوال)، باللغة العبرية (الآرامية) وفسرها كل واحد حسبما استطاع».

ويعتقد المتمسكون بالتقليد أن بابياس يقصد «متى» التلميذ الذي كان عشاراً ودعاه يسوع وجعله تلميذاً ورسولاً، ويقصد بكلمة (الأقوال) الإنجيل كله، وعلى هذا الأساس يقولون: إن كاتب هذا الإنجيل في شكله الحالي هو «متى» أو لاوي العشار.[٣] ولكن لا يمكن أن تكون إشارة بابياس هذه إلى سفر كتبه «متى» واقتصر فيه على أحاديث أو أقوال يسوع، دون أن يذكر فيه شيئاً - أو مع ذكر القليل - عن أعماله التي يزعم الكثيرون من النقاد أنه كانت توجد عنها وثائق هي أساس هذا الإنجيل الذي بين أيدينا، حيث إن بابياس نفسه

---

١ - مت ٩ : ١٠ - ١٣

٢ - شرح إنجيل متى للقديس يوحنا الذهبي الفم صـ ١٤ ط / أولى دار نوبار سنة ٢٠٠٠م

٣ - المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز صـ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ط/ دار الجيل

يستخدم تعبير «اللوجيا» في إشارة إلى القصة كلها كما يقول هو نفسه عند كلامه عن مرقص: «عن الأشياء التي قالها يسوع أو فعلها».

ثم يخبرنا يوسابيوس أيضا أن «متى» بعدما كرز بين مواطنيه من اليهود، ذهب إلى أمم أخرى، بعد أن ترك لليهود إنجيلاً مكتوباً بلغتهم كبديل لخدمته الشفهية.

ويؤكد إيرينْيُوس وأوريجانوس شهادة بابياس بأن «متى» هو كاتب الإنجيل الأول، ويمكن اعتبار أن هذه الشهادة كانت هي العقيدة الراسخة في القرن الثاني، وأن الإنجيل كتب أصلاً بالعبرية. ومن هنا ينشأ السؤال عن العلاقة بين الإنجيل اليوناني القانوني الذي عرفه الآباء، وبين ذلك الإنجيل الأصلي الذي كتبه «متى» بالعبرية.[1]

ولنتجه مباشرة إلى الأب «متى» المسكين وهو يصور لنا جانباً من تلك العلاقة في ضوء التقليد الخاص بـ «بابياس» فقد حاول إبراز الأصالة الرسولية للإنجيل، وجمع تحت يديه من الأدلة على هذا الموضوع ما لم أجده عند غيره من الباحثين النصارى، وقد رأى أن الإنجيل كتب أولاً بالعبرية، ولكن الأسباب التي حاقت بالنسخ الأولى للإنجيل العبري أفقدته رصانته وقانونيته ثم وجوده، ومما جعل الكنيسة تبتعد عنه وتتمسك بالإنجيل اليوناني الموجود بين أيدينا الآن حيازة الهراطقة لإنجيل القديس «متى» المحرف.

وهكذا يبدأ الأب متى المسكين حديثه برفض أن يكون متى هو كاتب الإنجيل الحالي، فقد «بدأ القديس «متى» بكتابة إنجيله ليس بشكله الحاضر باللغة اليونانية ولكن باللغة التي كان يسمعها من المسيح، أي باللغة الآرامية والعبرية، وهذه الحقيقة تقدِّم لها كل الشواهد بالتأكيد، وأول إشارة وصلتنا هي عن المؤرخ يوسابيوس نقلاً عن مخطوطة تحكي أن بابياس أسقف هيراكليا بآسيا الصغرى يقول: «متى» كان (جامعاً معاً) كل الأحاديث باللغة العبرية، وعنه أخذ كل واحد وشرح بقدر ما استطاع»

وهذه المعلومة ينقلها بابياس عن الرسل أنفسهم، ويقص القديس إيرينْيُوس قائلاً: «إن متى أيضاً كتب إنجيلاً بين العبرانيين بلغتهم الخاصة»

---

١ - دائرة المعارف الكتابية مادة إنجيل متى

ويأتي تأكيد لتقليد بابياس في مذكرات القديس إغناطيوس أسقف إنطاكية سنة ١١٥م – أي رسائله السبع القصيرة – حيث اقتبس ما يقرب من خمسة عشر استشهاداً واضحاً.. وكثيراً ما يذكر القديس إغناطيوس إنجيل «متى» باعتباره «الإنجيل» كاسم كتاب، فهو مثلاً يعترض على كلام بعض الهراطقة القائلين «ما لا نجده مذكوراً في الكتب العتيقة فإننا لا نؤمن به من «الإنجيل» وواضح هنا أن «الإنجيل» في عرفه هو كتاب مكتوب يمكن أن يقارن بأسفار العهد القديم، على أن القديس إغناطيوس لا يذكر اسم كاتب الإنجيل، وفي نفس الرسالة يذكر جنباً إلى جنب «الإنجيل» و«الرسل» و«الأنبياء» على اعتبار أنها أسماء أسفار مقدسة، وتمشياً مع التقليد لا يذكر اسم كاتب السفر، فهذا كان معمولاً به بالنسبة لأسفار العهد القديم.[1]

كما أن هناك شهادة أخرى ذات وزن عال. وهي شهادة المؤرخ يوسابيوس عن بنتينوس السكندري يقول فيها: «يقال عن بنتينوس إنه ذهب إلى الهند سنة ١٩٥م فوجد هناك إنجيل القديس «متى» بين مسيحي تلك الديار، الذين كانوا قد خدمهم برثلماوس أحد الرسل وترك بينهم إنجيل القديس «متى» باللغة العبرانية الذي كان معهم حتى ذلك الوقت».

ويؤيد هذا الخبر القديس جيروم، علماً بأن بنتينوس كان علامة ويُتقن العبرية ويستطيع أن يميز الإنجيل الذي رآه، ومعروف أن كل الكرازة في بلاد العالم كانت تتركز في البداية بين اليهود، وكان من الأمور الهامة جداً أن يكون بين أيديهم إنجيل بلغتهم، ومن هنا جاءت أهمية إنجيل «متى» باللغة العبرية.

وإليك أيضاً شهادة من أوريجانوس كما سجلها يوسابيوس «الإنجيل الذي بُدئ بكتابته بواسطة القديس «متى»، الذي كان سابقا عشاراً، وبعد ذلك رسولاً ليسوع المسيح، كتبه بالعبرية وسلمه المؤمنين من اليهود» ثم يكمل أوريجانوس قائلاً: «إن هذا هو التقليد الذي استلمه»

---

١ – الإنجيل بحسب القديس متى دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين صـــ ٣٥ ، ٣٦

وأوريجانوس لا يستهان بعلمه وتقاريره فكلها يأخذها جميع العلماء أخذ ثقة واحترام، ويقرر يوسابيوس «لأن القديس «متى» إذ كان قد كرز سابقاً لليهود بالعبرية، فحينما دُعي للخدمة إلى بلاد أخرى سلَّمهم الإنجيل بلغتهم، لكي يسد إنجيله عن وجوده بينهم»

وينقل لنا العالم ماير عن يوسابيوس أيضاً «لقد قُرئ (الإنجيل) في مساء السبت بواسطة مترجم لأن «متى» كتب إنجيله باللغة العبرية»

ويشهد القديس كيرلس الأورشليمي في عظاته التعليمية قائلاً: «إن القديس «متى» الذي كتب إنجيله بالعبرية هو الذي قال هذا»

ويشهد القديس إبيفانيوس قائلاً: «إن متى هو الوحيد بين كتّاب العهد الجديد الذي سجل الإنجيل وكرز به بين العبرانيين وبالحروف العبرية»

كذلك يشهد إبيفانيوس عن قصة رجل يهودي متنصر كيف اكتشف إنجيل القديس «متى» بالعبرية داخل خزانة مغلقة.

كما يشهد جيروم في مقدمة شرحه لإنجيل القديس «متى» «أن «متى» في اليهودية كتب إنجيله باللغة العبرية أساساً من أجل منفعة اليهود الذين يؤمنون بالمسيح، كما يشهد في كتابه «مشاهير الرجال» أنه وجد نسخة من إنجيل القديس «متى» بالعبرية في بيريه بسوريا وقام بنسخه حرفياً، ويكرر هذا الخبر عدة مرات في كتاباته الأخرى.

كذلك شهادة غريغوريوس النزينزي وذهبي الفم وأوغيسطينوس وبقية الآباء، وشهادات آباء الكنيسة السريانية التي قام بجمعها العالِم السمعاني.

كل هذه الشهادات مضافاً إليها التقليد الراسخ المسلَّم للآباء إنما توفر يقيناً ضد كل محاولات النقد الجزافي في الكتب الحديثة، فالمتيقن في الكنيسة منذ البدء أن القديس «متى» كتب إنجيله أولاً بالعبرية، ولكن الأسباب التي حاقت بالنسخ الأولى لهذا الإنجيل المكتوب باللغة العبرية فأفقدته رصانته وقانونيته ثم وجوده، هي حيازة هراطقة كثيرين لإنجيل القديس «متى» بالعبرية المحرفة، مما جعل الكنيسة تبتعد عنه، هذا بجوار أن استخدامه بين اليهود توقف، فتوقفت نساخته حتى ضاع الموجود منه.

وبالمقابل فإن وجود النسخة اليونانية من قديم الزمان، واعتماد الكنيسة عليها، جعل في

الظاهر أن إنجيل «متى» باللغة اليونانية هو الأصلي، ولكن الشواهد التي يقدمها العالم الألماني ماير بأسماء العلماء الذين يشهدون بوجود النسخة العبرية، ثم كيف انتقل الثقل إلى الإنجيل المترجم للغة اليونانية، ربما تملأ صفحة بأكملها، كذلك محاولة كثير من العلماء لجعل إنجيل «متى» بالعبرية ينتسب لإنجيل العبرانيين المنحول المكتوب بالعبرية أصلاً هو افتراء محض، ويشهد بذلك القديس جيروم الذي يثبت أنه يعرف كلا الإنجيلين، والفارق الكبير بينهما، على أن إنجيل العبرانيين الذي كان في يد الهراطقة محسوب أنه إنجيل مزيَّف منذ زمان طويل جداً.

والترجمة التي حدثت لإنجيل «متى» من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية جاء فيها: (الشواهد من السبعينية) ما يوحي أنها غير مترجمة من العبرية، بسبب أن معظم الاقتباسات التي من العهد القديم مأخوذة من النسخة السبعينية وهي اليونانية، ولكن يرد على ذلك العالِم ماير بقوله: إن الذي يترجم إلى اللغة اليونانية لا يأخذ الشواهد من الأصل العبري، بل من الأسهل له جداً أن يعتمد على السبعينية اليونانية، ولكن يذكر العالِم ماير أن هناك أيضاً عدة استشهادات من العهد القديم في الإنجيل اليوناني للقديس «متى» مأخوذة من التوراة العبرية.

ومن الثابت علمياً وتقليدياً أن النسخة اليونانية لإنجيل «متى» التي بين أيدينا اليوم هي نسخة مترجمة من الأصل العبري، ويؤكد هذا جميع الشواهد القديمة التي عثر عليها في شهادات الآباء القدامى، على أن النسخة اليونانية هي ترجمة طبق الأصل من العبري بحسب دراسات العلماء، والذي يثبت ذلك باليقين أن الكنيسة بدأت تستخدم النسخة اليونانية بنفس زمن قدم النسخة العبرية، فلو كان هناك أي اختلاف لكانت رفضته الكنيسة، وتهمنا جداً شهادة القديس جيروم في ذلك، لأنه كان يمتلك نسخة بالعبرية نسخها بيده من النسخة التي وجدها في سوريا، وكان يمتلك في نفس الوقت النسخة اليونانية، ولم يُشر إطلاقاً إلى أي اختلاف بينهما، وقد أشار القديس جيروم في شرحه لإنجيل «متى» إلى أن النسخة اليونانية هي ترجمة حرفية من النسخة العبرية.

وقد قدم يوسابيوس شهادته في ذلك مؤكداً صحة شهادة جيروم[1]، لذلك يشجب العالِم الألماني ماير كل محاولة لجعل الترجمة اليونانية لإنجيل «متى» بالعبرية ترجمة غير ملتزمة، أو بحُريَّة، أو ذات إضافات، ويستشهد على ذلك بعدة شخصيات علمية ألمانية.

ولكن الذي نقبله علمياً هو أن القديس «متى» لم يؤلف إنجيلاً بالمعني التحريري، ولكنه بحسب تقرير بابياس المنقول إلينا من خلال يوسابيوس «متى كتب (أو جمع معاً) كل الأحاديث التي تعني (جمع أو وضع الكلام معاً في ترتيب) ويلاحظ هنا أن القديس «متى» لم يقم بشرح الأقوال المنقولة، ولكنه قام فقط بتجميعها على هيئة مجموعة منسقة Collection.

وهكذا أمكن للعالم ماير أن ينتهي في بحثه بأن إنجيل «متى» بحسب بابياس هو عملية جمع وتنسيق لأقوال المسيح، وذلك باللسان العبري، ولكن لم يصل إلى المفهوم الكامل للترتيب التاريخي للإنجيل، غير أن ذلك لا يمنع أن يكون القديس «متى» قد أعطى مقدمات للأقوال تكون ذات مفهوم تاريخي، وهكذا يكون قد أعطى إنجيلاً بالعبرية يكفي أن يكون متكاملاً، الذي بمقتضاه أخذ «متى» لقب صاحب هذا الإنجيل الذي دُعيَ «الإنجيل بحسب القديس متى» بملء الصحة والالتزام ! !

غير أنه بترجمته إلى اللغة اليونانية يصح أن يكون العنصر التاريخي فيه قد ازداد وضوحاً، وبذلك قبلته الكنيسة حائزاً على قانونيته باعتباره التأليف الأصلي للقديس «متى» ذلك بحسب وجهة نظر كل من إيرينيُوس وأوريجانوس ويوسابيوس وإبيفانيوس وجيروم والآخرين.

كذلك فالذي نفهمه – والكلام لازال للأب متى المسكين – من عملية الترجمة من العبرية إلى اليونانية أن الإنجيل العبري قد جاز بالضرورة عملية تنسيق تنقيحي ليدخل إلى اللسان

---

[1] – لاحظ أن تاريخ ميلاد جيروم هو نفس تاريخ وفاة يوسابيوس تقريباً، منتصف القرن الرابع. ولم تتطابق شهادة الرجلين حول الإنجيل، فلم يحدد يوسابيوس العلاقة بين الإنجيل اليوناني والعبري، بينما أكد جيروم أن هذا هو ذاك.

اليوناني، ولكن لكي يدخل تحت تقديس كلمة رسولي، كان يتحتم أن يكون بنفس روح وفهم الأصل العبري الذي اضطلع به «متى» الرسول، الأمر الذي جاز به أن تؤخذ منه الشواهد والنصوص لدى الآباء باعتبار أنها على ذمة القديس «متى» الرسول، على أن آخر شاهد لوجود إنجيل «متى» الأصلي باللغة العبرية هو القديس جيروم، كما وجده في مكتبة بامفيليوس في قيصرية.

أما مترجم إنجيل القديس «متى» من العبرية إلى اليونانية، فبحسب الفحص العلمي الدقيق لواقع الإنجيل باللغة اليونانية، يتضح أن المترجم هو شخص واحد بمفرده بسبب الأسلوب، والنمط الواحد في التعبير الذي يسري في كل أجزاء الإنجيل، أما مَنْ هو هذا الشخص الذي قام بهذه الترجمة فيقرر جيروم أنه ليس لديه تحقيق مقنع لأن الآراء كثيرة للغاية، فمن قائل إنه القديس «متى» نفسه لأنه كان يعرف اللسان اليوناني، ومن قائل بل تلاميذه، أو أحد الرسل أو ربما القديس يوحنا الرسول، أو تحت عناية عدّة رسل، فهي تخمينات لا يؤيدها برهان» أ. هـ [١]

وهكذا ننتهي من عرض الأب متى المسكين إلى عددٍ من التخمينات فيما يرتبط بالعلاقة بين إنجيلي «متى» العبراني واليوناني، وكلها تخمينات لا يؤيدها برهان، فلا يمكن الجزم بمن كتب، ولا من ترجم، وهل الإنجيل العبري هو نفسه اليوناني؟ وهل «متى» المشار إليه في وثيقة بابياس هو نفسه المذكور في قائمة الرسل؟

كل هذه الأسئلة بقيت كما كانت بلا جواب، أو بالأحرى بلا برهان. ومع ذلك فقد اخترنا عرض الأب متى المسكين لوجهة النظر التقليدية لأننا وجدناه جامعاً لكافة الاجتهادات في الموضوع، فهو يسرد أسماء الآباء وتأييدهم للتقليد بمهارة، واضعاً في اعتباره الطعون والانتقادات، فضلاً عن كل ذلك فهو يقدم لنا نظريات حديثة في حل لغز الكاتب، مثل نظرية العالم ماير، الذي انتهي في بحثه إلى أن إنجيل «متى» بحسب بابياس هو عملية جمع وتنسيق لأقوال المسيح باللسان العبري. لكن ماير لم يقطع بأن متى هو الذي قام بهذا

---

١ – الإنجيل بحسب القديس متى دراسة وتفسير وشرح الأب متى المسكين صـ٢٥ – ٢٩

الجمع لا في العبري ولا في اليوناني، ومع كل هذا نستطيع القول: إن الأب متى طوف بنا التاريخ كله بحثاً في صفحاته عن أدلة تعزو هذا الإنجيل إلى متى الرسول.

ويأتي تعليق التفسير الحديث للكتاب المقدس على هذه القضية على النحو الآتي: «وعلى هذه الأسس الواهية قد يقال إن أوصاف كاتب هذا الإنجيل تنطبق على «متى» على الأقل أكثر من أي شخص آخر نعرفه، وحقيقة أن الإنجيل نسب بسرعة وبوجه عام إلى «متى» الرسول رغم أنه لم يكن يبز غيره من التلاميذ قد تدعم أيضاً هذا الاستنتاج، لأنه ما كان سيقع عليه الاختيار لو كان الموضوع ببساطة مجرد تخمين».

ثم يضيف: «ومع ذلك فلا شيء مما سقناه يرقى إلى مرتبة الدليل القاطع على حقيقة الكاتب، ونستطيع القول بارتياح إن التقليد المتفق عليه للكنيسة الأولى مهما كان مصدره مشكوكاً فيه، يقدم لنا اسماً مرشحاً، يبدو من ضمن أسباب أخرى، أنه الشخص الذي تشير إليه خصائص وسمات الإنجيل» [١]

وهذا التعليق غير القاطع يدخلنا في كثير من الشك، الذي يسلمنا بدوره إلى الاتجاه الثاني الذي يقطع الشك باليقين. وينفي نفياً قاطعاً أن تكون لمتى الرسول أية صلة بهذا الإنجيل.

الاتجاه الثاني: كاتب الإنجيل ليس هو متى الرسول.

وأتباع هذا الاتجاه لا يعترفون بأية صلة تربط «متى» رسول المسيح بهذا الإنجيل ولا يعتقدون أن قول بابياس ينطبق على الإنجيل الحالي، ولهم في ذلك عدة أسباب:

السبب الأول: يذكر بابياس أن «متى» كتب بالعبرية، ولكن العارفين باللغات يقولون إن إنجيل «متى» الحالي كتب أصلاً باللغة اليونانية، ومن السهل بمكان أن نميز كتاباً مترجماً من لغة إلى أخرى عن آخر كتب في لغة أصلية، وليس مترجماً.

وأقدم مثال باقٍ لدينا لهذا التقليد نجده في العبارة المنسوبة لـ (بابياس) أسقف هيرابوليس (ويرجع تاريخها في العادة إلى عام ١٤٠م) والتي اقتبسها يوسابيوس ومفادها «جمع إنجيل «متى» التعاليم باللهجة العبرية، وترجمها كل واحد على قدر

١- التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل متى) ر. ت. فرانس صـ ٢٤

استطاعته» وكل كلمة من كلمات هذا النص يمكن ترجمتها بطرق مختلفة تؤثر بشكل جوهري على المعنى، فكلمة «جمع» قد تعنى ألف أو رتب، وكلمة «العبرية» قد يقصد بها الآرامية، واللهجة تعني عادة اللغة إلا أنها فسرت بمعنى أسلوب، وكلمة «ترجمها» قد تعني «فسرها».

وإلى هنا يتضح لنا أن بابياس باستخدامه كلمة (جَمَعَ) ربما كان يشير إلى «متى» بصفته (محرراً) لمادة كانت موجودة بالفعل، أو إلى عملية «جمع» قام بها مؤلف، وأنه بينما توحي كلماته بأن هذا كان بإحدى اللغات السامية، فأنه لا يشير إلى عمل كتب باللغة اليونانية.

وأكثر الكلمات غموضاً هي كلمة logia والمترجمة (تعاليم) فهي تعني في العادة «أقوال» أو «تصريحات» ويرجح بعضهم أنها تشير إلى مجموعة من شهادات العهد القديم عن يسوع، وثمة سؤال يتردد كثيراً مفاده: هل كان بابياس يشير بهذا التعبير إلى سفر مثل «إنجيل متى» المعروف لنا. أم أنه كان يتحدث عن مجموعة من أقوال يسوع ربما تضمنها إنجيل «متى»؟

إذا فالدليل الذي ذكره بابياس لا يقدم إلا أساساً واهياً لاعتقاد الآراء أن الإنجيل الأول كتبه «متى». بل وما تحسن الحال برأي يوسابيوس القائل بأن بابياس كان رجلاً محدود الذكاء، وهذا أمر واضح من كتبه» [١]

أما السبب الثاني: فهو أن «متى» في تكوينه قد اعتمد كثيراً جداً على إنجيل مرقص، فلقد استنتج العلماء بعد الدراسة أن إنجيل مرقص كان في متناول يد البشيرين الآخرين «متى» و «لوقا» وإنهما قد استخدماه أساساً لكتابيهما، ولقد كان البشير «متى» بالذات أكثر الاثنين استخداماً لهذا الكتاب في ترتيب الحوادث. وفي اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه، وهذه حقيقة أضحت معروفة لدى جميع الدارسين. ولا ينكر عالم أن لغة إنجيل مرقص وأسلوبه في الكتابة يظهر أنه كتب قبل الإنجيلين الآخرين.

وهنا يتساءل هذا الفريق: لو قيل إن لوقا اقتبس من مرقص لما كان هناك من حرج، لأن

---

١ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (انجيل متى) ر. ت. فرانس صـــ ٢٢

مرقص بحكم شهادة التقليد الكنسي كان أقرب إلى الأصول من لوقا، لأنه أخذ كثيراً من مادته من الرسول بطرس نفسه، ولوقا نفسه يقول إنه جمع مادته من مصادر متنوعة. لكن كيف يكون الحال مع «متى» لو كان حقيقة تلميذ المسيح المعروف ؟ ألا يعتبر ذلك أمراً غير محتمل ؟

هل يعتمد التلميذ على مصدر لم يكن له نفس القرب الذي له؟

كيف يعتمد «متى» التلميذ على مرقص تلميذ التلميذ؟

وهناك سبب ثالث يبني على الثاني، وهو أن من يقرأ الإنجيلين يرى اختلافاً في حيوية الكتابة، فإنجيل مرقص يؤكد أن المادة التي فيه قد خرجت من شاهد عيان والتفاصيل الدقيقة مثل «كان في المؤخرة على وسادة نائماً، وجلسوا على العشب الأخضر»[1]. أما «متى» فإنه يختلف عنه. ولكنه اختلاف الشخص الذي أخذ المادة منه وأجرى فيها بعض «التلميع» إن جاز هذا التعبير. وهذا يدل على أن مرقص كتب أولاً. مستقياً مادته من شخص قريب من المسيح بخلاف «متى» الذي أخذ من مصدر وسيط، ولم يكن شاهد عيان ويدل أسلوبه على ذلك، إنه أسلوب الشخص الذي جلس يفكر ويصلح وليس الشخص الذي شاهد بعينيه ثم ذكر ما رأى وعرف.

لهذه الأسباب الثلاثة ينكر هذا الفريق كتابة الرسول «متى» لهذا الإنجيل، ويفسرون كلمات بابياس تفسيرات مختلفة أهمها أنه كان يذكر إنجيلاً آخر هو «إنجيل العبرانيين» أو كان يقصد مجموع التعاليم التي أخذ عنها «متى» ولوقا والتي يسميها العلماء (Q)[2] وهكذا نقترب من طرح ثالث، ينسب العمل برمته إلى أكثر من شخص. بل إلى مدرسة بكاملها، ولكن اسمها «مدرسة متى»

الاتجاه الثالث: مدرسة متى

وإذا كان «كثيرون من المفكرين (النصارى) لا يجدون الآن صعوبة في قبول التقاليد المسيحية القديمة التي تعرف مرقص ولوقا على أنهما قاما بكتابة الإنجيلين المنسوبين

---

[1] - مرقص ٦ : ٣٩

٢ - المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز ٢٤٣ ، ٢٤٤.

إليهما، لكن الوضع مختلف إلى حد ما بالنسبة لإنجيل «متى». لأن «متى» الذي ربط آباء الكنيسة اسمه بهذا الإنجيل كان تلميذاً ليسوع، وعلى ذلك كان شاهد عيان بالنسبة للأحداث التي وصفها، وليس من السهل معرفة السبب الذي يجعل واحداً من ألاثني عشر معتمداً بدرجة كبيرة جداً على إنجيل مرقص، الذي كتبه شخص لم يكن شاهد عيان للأحداث المتعلقة بحياة يسوع.(١)

وهنا يأتي الفريق الثالث ليتخذ موقفاً وسطاً بين الموقفين السابقين، إذ أنه لا يريد أن يقلل من قيمة التقليد الذي بدأه بابياس وأخذ عنه كثير من الآباء أمثال ترتليان وأوريجانوس وغيرهما، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يذهب إلى آخر المدى مع هذا التقليد. هذا الفريق يربط «متى» الرسول بالكتاب، ويعتقد أن «التعاليم» التي يذكرها بابياس من مجموعة التعاليم الموجودة في «متى» حالياً، مثل الموعظة على الجبل والأمثال وغيرها، وقد أخذها واحد آخر وربطها بمجموع الحوادث الموجودة في إنجيل مرقص إلى جانب مصدر آخر أخذ منه بعض الحوادث كحوادث الميلاد، ربما كان هذا الرجل تلميذاً في مدرسة اسمها «مدرسة متى» وقد يكون شخصاً آخر. وقد تكون مجموعة التعاليم هذه هي نفسها المصدر (Q) وقد كتبت أصلاً باللغة الآرامية.

قد يكون كل ذلك، إنما الأمر المهم هو أن «متى» كان مشتركاً في كتابة هذا الإنجيل بوضعه نواته الأولية وجاء شخص من بعده أو عدد من الأشخاص وأكملوا هذا الإنجيل على صورته الحالية.

---

١ - يسوع والأناجيل الأربعة صـ ٢٦٢

نحو أي اتجاه نسير؟

بعد أن عرضنا اتجاهات علماء اللاهوت حول كاتب الإنجيل الأول تستطيع أن تقرر نحو أي اتجاه منها تسير، فالإجماع كاد أن ينعقد على أن متى لم يكتب الإنجيل الحالي، والخلاف الدائر إنما هو حول إنجيل آخر باللغة العبرانية، ولكن هناك تقليداً راسخاً لمئات السنين يحول دون الجهر بهذه الحقيقة، ومعظم تفاسير الأناجيل تبدأ بمقدمات تعجز عن إثبات ما يصر التقليديون على التمسك به، وقد لا نجد أنفسنا في حاجة إلى محاولة نفي ما عجزوا عن إثباته. ولولا الذرائع التقليدية، ما اضطررنا إلى عرض وتحليل هذه الآراء، ومهما كابدنا في بحثنا، ومهما قاسينا في جمع الأدلة التي تنفي ما لم يتمكن التقليد من إثباته فلن يكون ذلك أجلى مما أقامه الله من براهين قاطعة، فقد أقام الله ﷻ حجته على عباده بما أنعم عليهم من عقل، إذ غرس فيهم العقل ليميزوا بين الضلال والهدى. ولا يتوقف هذا على قوة ذكاء العقل وفطنته، وإن كان ما يمكن أن يصل إليه إنسان في فترة قصيرة يمكن لآخر أن ينجزه في فترة أقصر، لكن في كل الأحوال لن يعجز مكلف عن معرفة رسالة ربه إليه ما دام مدفوعاً بإرادة حقيقية، ورغبة صادقة، وإصرار واضح على التمييز بين الظلمات والنور. وهذا في الأديان أيسر منه في العلوم التجريبية، ولكن الغرب الذي نجح في فك رموز الكثير من المعضلات العلمية، وعرف العديد من حقائق الكون وأسراره، يقف اليوم عاجزاً عن معرفة من كتب أناجيله الأربعة.

ورغم أهمية هذه المعرفة إلا أن استمرار الجدل لن يثمر أكثر من تعميق روح العداء، فلا يزال كل فريق حريصاً على التشبث برأيه، ولهذا لا يحبذ القرآن الكريم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وفقط دعانا إلى أن نقول: ﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٦)

فها نحن آمنا بالإنجيل، فهو في اعتقادنا كتاب الله ﷻ نزل على عيسى كما نزلت التوراة على موسى، والقرآن الكريم على محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام. ولكن علينا أن نقف متأملين أمام هذه الأناجيل، إذ لا يدعي كاتبوها أنها أناجيل، ولا وحي الله ﷻ ولا حتى تقرير لشاهد عيان، فلا يلزمنا أن نؤمن بما لم يدعوه، والمسيحي الذي يؤمن بأن إنجيل لوقا

هو كلام الله ﷻ تقام عليه الحجة بمقدمة إنجيل لوقا، وحال الأناجيل يشهد بأنها تقوم على شواهد ومعلومات مما يكون عادة في متناول مؤرخ دون آخر، وعلى من يدعي أنه صاحب أولى الشواهد لكونه شاهد عيان أن يحرص بنوع خاص على إبراز نفسه، وإظهار الصلة التي تربطه بالمسيح عليه السلام، وبما أن الإنجيلي الأول لم يزعم لنفسه ولا لإنجيله شيئاً من هذا، فيبقى ما كتبه مجرد كتاب يؤرخ لقصةٍ بطلها المسيح عليه السلام.

وكم نتمنى أن يتعاون علماء الأديان في سبيل إظهار الحقيقة وتعرية الباطل، حتى تتحقق النجاة للأسرة الإنسانية بكاملها، ﴿ .. لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

نتمنى أن يكون هدف كل باحث هو الانتصار للحق بصرف النظر عن كونه هنا أم هناك. لكن علماء اللاهوت اعتادوا عدم الجدية في تناول الموضوعات الجادة، فرغم أهمية معرفة كاتبي الأناجيل اعتادوا الحديث عنها بسطحية، ومما ذكرناه يظهر عدم اتفاقهم على كاتب الإنجيل الأول، فبينما يقر بعضهم بالعجز عن معرفة اسمه، يصر آخرون على أنه «متى» رسول المسيح عليه السلام. وآخرون ينفون أن تكون لـ «متى» أية صلة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الإنجيل، غير أن ما يثير الغرابة أن ثمرة هذا الخلاف لا تتجاوز الدراسات والأبحاث. وفي كل الأحوال لا ينال تأثيرها من اعتقاد عوام الناس شيئاً، فالكل مؤمن بما في الإنجيل، حتى وإن لم يعرف أحد له كاتباً.

وأما من يرون أن مؤلف هذا الإنجيل هو متى رسول المسيح فإنهم لا يبالون بنتائج الدراسات والأبحاث النقدية المعاصرة، وهم مرتاحون لإيمانهم باستحالة أن يكون المؤلف شخصاً آخر غير متى، فإنجيل في مكانة «إنجيل متى» يتصدر العهد الجديد يستحيل — في نظرهم – أن يكون منسوباً إلى كاتب مجهول، وهذا يعني قيام احتمالية إضافته إلى مجهول لو تأخر ترتيبه بين أسفار العهد الجديد!

والحق أن ترتيب السفر لا علاقة له بكونه منحولاً أو غير منحول، لأن الترتيب ليس مطلقاً، وليس بالاتفاق، وإنما حوله خلاف طويل، ليس هنا محل عرضه.

وتتلخص حجج التقليديين فيما يسمونه بأدلة خارجية وأخرى داخلية. وقد عرضنا عليك

هذين اللونين من الأدلة. والآن جاء دور التأمل والتحليل، في ضوء ما وصل إلينا من معلومات ذكرها آباء الكنيسة التقليدية وغير التقليدية.

• مناقشة الأدلة الداخلية

ربما دفعت الشواهد غير المقنعة في عبارة بابياس ببعض الآباء إلى البحث في الإنجيل علهم يجدون إجابة ولو غير مباشرة عن علامات الاستفهام الكثيرة حول الكاتب، لكن رغبتهم في أن تسلك هذه الإجابة طريقاً واحداً، جعلتهم لا يبرحون مكانهم. فقد انطلقوا من عبارة بابياس وانتهوا إلى عبارة بابياس، وبين البداية والنهاية وقعوا على نصين في إنجيل متى ظنوا أنهما يؤيدان ما ذكره بابياس عن كاتب الإنجيل.

- الأول في الإصحاح التاسع «وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالسا عند مكان **الجباية اسمه متى. فقال له اتبعني. فقام وتبعه».**

- والثاني في الإصحاح العاشر من الإنجيل حيث ورد اسم «متى» ضمن قائمة ألاثني عشر.

وبهذين النصين يصر آباء الكنيسة على أن «متى» هذا هو المشار إليه في عبارة بابياس، وبالتالي فهو كاتب الإنجيل، وهو رسول المسيح عليه السلام. غير أن النصين لا يحتملان هذا التأويل. فالكاتب يصف شخصاً غيره، ولو كان يصف نفسه ما عاقه مانع أن يكتب «فقمت وتبعته» وإضافة إلى ذلك تأتي القصة في إنجيل مرقص مناقضة لهذا التقليد. فيذكر في الإصحاح الثاني أن الشخص الذي كان جالساً عند مكان الجباية اسمه «لاوى بن حلفي» وليس متى !

وهنا يحتدم الجدل ويشتد النقاش، وتكثر أقوال المفسرين وغير المفسرين، ولا تكاد تتصفح مرجعاً إلا وتجده يختلف عن الآخر في تحديد العلاقة بين لاوي ويعقوب ابني حلفي، وبين متى وهو مجهول الأب في الأناجيل الثلاثة. ويأتي التقليد ليحسم الجدل فيخمن أن متى هو نفسه لاوي. وكان أول من سار نحو هذا التفسير هو أوريجانوس، فقد جاء بعد أكثر من قرن ليكمل ما بدأه بابياس، فحدد «متى» بأنه «الذي كان عشاراً» ولكنه لم يقل إنه هو نفسه لاوي بن حلفي. فكان هذا سبباً في استمرار المشكلة، وفي النهاية لم يجد الآباء من بدائل سوى أن يقولوا إن متى هو نفسه لاوي بن حلفي، وبهذا تجاهلوا

الدلائل والإشارات التي تنفي أن يكون «العشار» في الإنجيل الأول هو نفسه «لاوي» في الثاني، فلو كان هو نفسه لقال مرقص «لاوي ابن حلفى العشار»، ليوضح أنه هو نفس الشخص الذي أصبح رسولاً للمسيح عليه السلام.

وإذا قلنا إن كاتب إنجيل متى استعمل إنجيل مرقص، فإن هذا يطرح فكرة وقوع الخلط في نقل اسم جابي الضرائب، ولكن حينئذ كان مرقص سيذكر اسم «لاوي بن حلفي» ضمن قائمة الرسل بدلاً من متى. هذه المشكلة تخلص منها التقليد بافتراض أن متى هو نفسه لاوي ابن حلفى، وهذا يتنافى مع قائمة الرسل ألاثني عشر، حيث يرد فيها اسم «متى» ولو كان هو نفسه لاوي لقال في إنجيل متى: «متى بن حلفى» أو في إنجيل مرقص: «لاوي العشار». فالتمايز بين الشخصين ظهر في إنجيلي متى ومرقص معاً.

وقائمة الرسل في متى ومرقص ورغم أنها يرد فيها اسما «متى» و«يعقوب بن حلفي» إلا أنها لا تكشف عن العلاقة بينهما، ولا يعطينا إنجيل مرقص فرصة لنفترض أن متى هو نفسه لاوي بن حلفي أخو يعقوب، بل يذكر اسم «متى» مع يعقوب بن حلفي[1] ولم ينعت «متى» بالعشار. ولم يدخل «لاوي» العشار في قائمة الرسل. والملاحظة التي تبدو لأول وهلة على قائمة الرسل هي أن إنجيل متى سرد اسم «متى» كبقية الأسماء، والشيء نفسه صنعه مرقص، وكذلك لوقا، فلماذا أكد أوريجانوس أنه هو دون غيره كاتب الإنجيل.؟

إن هذا لا يعدو أن يكون اجتهاداً انتهى إليه أوريجانوس انطلاقاً من فرضية بابياس، ولغير أوريجانوس أن يجتهد، ولكن لا جدوى من ذلك لأن التقليد حسم القضية، وما الدراسات في تحديد اسم الكاتب من خلال الإنجيل إلا اجتهادات اتجهت إلى تأكيد هذا التقليد، ولا تشكل أساساً لبناء التقليد، وهي محاولة يائسة للتوفيق بين أخبار متضاربة. ولهذا جاءت التفاسير لا تستوعب النصوص الماثلة، وبعيدةً عن تحكم قواعد اللغة والحساب فيها، ثم هي تستبعد من الاحتمالات ما لا يدعم التقليد، فلا تفترض تعدد الحادثة، ولا تفكر في جعل قصة لاوي مستقلة عن قصة متى، فالتقليد يتخبط في كل اتجاه.

---

١ - مرقص ٣ : ١٨

ولا يقوم على النص ولا على تفسيره. وإنما على تطويعه تارة وتأويله أخرى ليتناسب في النهاية ووثيقة بابياس.

وتأتي إجابة القديس يوحنا الذهبي الفم تعتمد على تخمينات غير دقيقة، منها أن «متى» كان جابي ضرائب ومن عادة الجابي أن يحتفظ بالسجلات، مما سهل عليه مهمة حفظ أقوال المسيح بكل دقة. ولكن لا يعتبر هذا دليلاً على أن العشار الذي في إنجيل متى أو مرقص هو كاتب الإنجيل، فلو كان أمين السجلات هو نفسه محرر الإنجيل لحرص على تسجيل اسمه بدقة على غلافه، إذ بحسب عادة هذه الفئة من الموظفين تسجيل الأسماء بعناية، والحرص على تذييل كل وثيقة تخرج من تحت أيديهم بتوقيع يعجز المارون عن تقليده، ومن هنا يسمح لحامل وثائقهم بالمرور من نقاط أخرى لتحصيل الضرائب. وليس ثمة وثيقة أولى بالتوقيع عليها من إنجيل تتعرف من خلاله الكنيسة على خالقها، ولكن هذا الموظف يفرغ من كتابة إنجيله دون أن يضيف كلمة واحدة تفصح للقارئ عن شخصيته، ودون أن يشرح سبب خلافه مع مرقص في أسماء الرسل، وخاصة في ضوء الدراسات المتوالية التي تؤكد استعماله لإنجيل مرقص.

ويذكر لوقا أن لاوي صنع في أول عهده بالتلمذة للسيد المسيح وليمة كبيرة، أما «متى» فيذكرها بكل اختصار.[1] وبدلاً من اتخاذ هذا الصنيع دليلاً على كرم «متى» إذ بالقديس يوحنا الذهبي الفم يتخذه دليلاً على اسم كاتب الإنجيل، لأنه يذكر القصة باختصار تواضعاً. ولو كان قد ذكرها بتفصيل أكثر لجعلها دليلاً وحجة على أنه هو الكاتب أيضاً، لأنه أدرى وأعرف بوليمته، لذلك استطاع أن يفصل فيها أكثر. ولذلك لو قال لهم قائل: إن ذكر الوليمة باختصار دليل على أن الكاتب ليس متى فلن يكون هناك فرق بينه وبينهم في الاستدلال.

ومن هذه التخمينات يعتمد التقليد على ما يذكره الإنجيل عن «متى» من أنه كان جامع ضرائب، وجامع الضرائب كان عليه أن يتحدث اليونانية بطلاقة، وأن يكون مثقفاً مدرباً

---

١ - لوقا ٥ : ٢٧ - ٣٢ ومتى ٩ : ٩ - ١٣

على أعمال السجلات وحفظها.

ولكنك ما إن تشرع في قراءة الإنجيل حتى تجد نفسك مضطراً للرجوع عن هذه الفكرة، فلو قلنا إن أي فرد يمكن أن يعمل في جباية الضرائب، فلا يصح أن نقول إن فرداً يتمتع بمؤهلات جابي الضرائب يمكن أن يسجل هذا الإنجيل، فالكاتب على دراية واسعة بأسفار العهد القديم، دراية لا يصل إليها إلا من هو على معرفة دقيقة بنبوءات العهد القديم. فهو يستشهد به بمهارة تظهر تفوقه على أهل عصره من الربيين والأحبار. فلا يمكن أن يكون أقل من حبر من أحبار اليهود، وبما أن الإنجيل كتب أصلاً باليونانية كما يؤكد إجماع الدارسين، فإن جامع الضرائب لا ترقى يونانيته لترجمة كلمات المسيح بما تحمله من بلاغة لغوية ومصطلحات دينية تدخل ربما للمرة الأولى في لغة اليونان، وإذا لا بد أن يكون هذا الكاتب يهودياً، ولا بد أن يكون كذلك من يهود الشتات الذين يجيدون اليونانية كلغة أصلية لهم، ولا مانع من أن يكون اسمه «متى» ولكنه في هذه الحالة لن يكون هو نفسه رسول المسيح، وقد يكون معروفاً في الكنيسة التي أسسها بولس وقد لا يكون، لكنه لا بد أن يكون متصفاً بصفتين:

- يعرف اليونانية كأهلها.
- يعرف الترجمة السبعينية التي رجع إليه.

هذا هو أقصى ما يمكن أن نستنتجه مما تحت أيدينا من معطيات إلى حد الآن، وأما أن يفترض أوريجانوس أن الكاتب هو أحد تلاميذ المسيح، فإن الدلائل لا تسمح بقبول ذلك الفرض. ولا ترقي إلا لإثبات عكسه، ولقد عمل الأقدمون على إثبات أن متى هو كاتب الإنجيل الأول. وكان الفشل حليف كل محاولة على مدى ما يقرب من ألفي عام. ولا يزال تكرار الفشل يدفعهم إلى التهرب من كل فرض لا يفضي إلى اعتبار متى هو كاتب الإنجيل، وتبقى حجتهم في كل الأحوال فروضاً متداخلة، تبدأ بعبارة بابياس كفرض، وتنتهي بها كنتيجة. دون أن تحدد لا في البداية ولا في النهاية العلاقة بين الإنجيل العبراني الذي ذكره بابياس واليوناني الذي اعتمدته الكنيسة.

ولا تزال أبحاث علماء اللاهوت تضع فروضاً وتغير أوصافاً، وترتب الفروض والأوصاف

بعناية لتنطبق في النهاية على من يظنون أنه متى رسول المسيح. وبين «ربما..» و «لعل..» تتردد عبارات الباحثين من أهل التقليد، ويأتي عنوان الإنجيل «بحسب رواية متى» كدليل قاطع ضدهم وليس كما حسبوه لهم، فلماذا «بحسب رواية..» ؟ لماذا لم يقل الأقدمون: «الإنجيل الذي ألفه متى» ؟ ذلك أنه لم يكن يجرؤ أحد أن يقول يومها: إن مؤلف هذا الإنجيل هو رسول المسيح، فلم يكن الناس على قناعة بكلام بابياس، ولغموضه نعته يوسابيوس بالغباء، وكان بإمكانه أن يريح يوسابيوس وغيره من العلماء لو أتقن صياغة عبارته، ولكنه حير الأولين والآخرين، فارتأى التقليديون أن يحملوا عبارته «إن متى جمع» على وجهٍ واحد من عدة وجوه محتملة.

• مناقشة الأدلة الخارجية.

هناك اتجاهات متعددة، وآراء متباينة تخرج علينا من هنا وهناك حول كاتب الإنجيل الأول، ويقف أبناء الكنيسة العلماء منهم وغير العلماء في خندق واحد، فلا أحداً بعارف أفضل من الآخر، وكل الآراء تقف أمام عبارة بابياس، وسوف نقابل بابياس عند حديثنا عن مرقص ويوحنا، فمن هو بابياس؟

المصدر الوحيد الذي يعرفنا بهذا الرجل هو تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري، وقد ألفه في القرن الرابع الميلادي، ولا نعرف شيئاً عن بابياس قبل هذا التاريخ، ولا نعرف متى ولد ولا أين عاش، وتنحصر معرفتنا به على «تاريخ الكنيسة» الذي جمع فيه يوسابيوس كل من كان قبله، ورجع إليه كل من جاء بعده، وهو يقر بأنه كان لا يزال بين يديه خمسة كتب لـ «بابياس»، وعنوانها: «تفسير أقوال الرب» وينقل عن إيرينيُوس أنها هي الوحيدة التي كتبها بابياس، فيقول: «هذه الأمور يشهد لها بابياس وهو أحد الأقدمين، استمع ليوحنا وكان زميلاً لبوليكاربوس، في كتابه الرابع، لأنه كتب خمسة كتب».

ولقد سجل يوسابيوس هذا وهو بصدد محاولة التعريف بالإنجيليين الأربعة، ولم يجد في عصره ما يمنعه من وضع فروض قد تتعارض مع أخرى سبق أن فرضها هو أو فرضها غيره، فهو يعرف من إيرينيُوس أن بابياس كان أحد الأقدمين، وأنه استمع ليوحنا وكان زميلاً

لبوليكاربوس. ثم يعقب على ذلك بقوله: «أما بابياس نفسه فإنه في مقدمة أبحاثه لا يصرح بأي حال من الأحوال بأنه كان مستمعاً أو معايناً للرسل المباركين، ولكنه يبين في كلماته أنه قد تلقى تعليم الإيمان من أصدقائهم» فقوله: «ولكنه يبين.. الخ.» استدراك يكشف عن رغبة يوسابيوس في تطويع كلام بابياس كي يلتقي مع إيرينيُوس، فبابياس لم يقل عن نفسه إنه كان مستمعاً للرسل المباركين، وفي هذا ما يكفي لإسقاط شهادته، ولكن لا حرج على أهل التقليد إن اعتمدوا كلام إيرينيُوس كي لا تسقط شهادة بابياس. وتأولوا عبارة بابياس كي لا تسقط فكرته عن متى. وحتى لو أقر بسماع الرسل يبقى السؤال من المقصود بالرسل؟ رسل المسيح أم بولس ؟

كل هذه الملاحظات السريعة لنصل بك إلى قول بابياس في متى. لقد كتب عبارة قصيرة ولكنها حيرت الأولين والأخرين، تقول العبارة: «وهكذا كتب متى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية وفسرها كل واحد على قدر استطاعته»

هذا هو النص الأساسي في موضوعنا والذي يختلف المترجمون وعلماء اللاهوت حول كل كلمة من كلماته، وسوف نصر على تكراره خلال بحثنا بترجماته المتنوعة ومن مصادره المختلفة، والنص بصورته السابقة منقول من صـ ١٧٨ من الترجمة العربية لـ «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصري، ترجمه القمص مرقص داود، مكتبة المحبة. فالترجمة بالنظر إلى انتماء المترجم قد تكون داعمة للتقليد. ولكن النص وبصرف النظر عن ترجماته المتعددة يعتمد عليه التقليد في إثبات نسبة الإنجيل إلى متى حواري المسيح. ويعتمد عليه كذلك أتباع المدارس النقدية في تأكيد نفيهم لما يتمسك به التقليديون، وينبني هذا الاختلاف في الاستدلال على أمرين:

الأول: الخلاف حول معاني الكلمات الأساسية في النص.

الثاني: الفرق بين الإنجيل العبري الذي أشار إليه بابياس، واليوناني الذي اعترفت به الكنيسة.

ونجد أن الأسئلة التي تجمعت حول هذين الأمرين لها علاقة كبيرة بجهود التقليد المتكررة لتطبيق عبارة بابياس على الإنجيل الحالي، فما إن بدأت الكنيسة تتجه نحو ذلك

حتى ثار الجدل، واحتدم النزاع بسبب أن بابياس هو الأوحد الذي ذكر «متى» بالاسم على أنه كاتب الإنجيل في هذا الوقت المبكر. وهنا بدأ الشقاق حول معنى عبارته. وعندما يختلف المترجمون حول ترجمة نص أو عبارة قد لا يكون لذلك أهمية، ولكن تظهر الأهمية فيما يترتب على هذا الخلاف، إذ هو نص واحد. لكنه يثبت الحكم وينفيه في وقت واحد. والسبب هو اختلاف الترجمة، فالكلمة التي ترجمت بـ «كتب..» ترجمت بمعنى «جمع معاً» «ألف» وقد رأى كثيرون أن بابياس كان يقصد باللغة «العبرانية» الآرامية التي كان يتحدث بها المسيح عليه السلام. ثم كلمة «فسرها» يمكن أن تكون بمعنى ترجمها.

ونلحظ إضافة كلمة «الإلهية» في النص الذي نقلناه، وهي غير موجودة في المصادر التي ترجع إلى يوسابيوس مباشرة، على أن معظم الإنجيل الحالي أحداث وليس أقوال. وهو ليس أقوال الله بحال من الأحوال، إنها قصة قصيرة ترصد جانباً من أقوال وأحوال المسيح عليه السلام مع اليهود.

وأما قوله «على قدر استطاعته» فإنه لا يشير إلى الإنجيل الحالي، وإنما يؤكد على أن كل واحد فسر هذه الأقوال على قدر فهمه لها، وهذا يعني أن كل واحد ترجم هذه الأقوال كاملة، وبالتالي تعددت المفاهيم، وصار لدى الكنيسة الناشئة تفاسير أو قل أناجيل بعدد المستطيعين للقراءة والتفسير. ومذكرات بابياس نفسها المعروفة بـ «تفسير كلمات الرب» هي إحدى المحاولات التي جرت لتفسير الأقوال التي سجلها متى على قدر استطاعة بابياس، وربما جاء الإنجيل الحالي نتيجة لمرحلة طويلة من محاولات تخللها العديد من التفسيرات بحسب استطاعة كل مفسر، حتى ظهر في الكنيسة من جمع هذه الأقوال وصاغها في أناجيل، وأصبحت الأناجيل اليونانية تجمع مفاهيم مختلفة وبعيدة عن الأصل الآرامي، ومن هنا اجتبت الكنيسة مجموعة متشابهة منها، أضافت إليها بعد ذلك إنجيل يوحنا.

هذه النتيجة ينتهي إليها بعض باحثي النصرانية وإن كانوا لا يبنون رأيهم على ما ذكرناه من تفاصيل. ولكون نص عبارة بابياس وترجماته المتعددة يحتمل أكثر من وجه فقد رأي كثيرون التقليل من قيمة التقليد الذي يعتمد هذه العبارة. ولكنهم لا زالوا يتوجسون

خِيفة أن يُقذفوا بالهرطقة، ويودون لو احتفظوا بشيء من العقلانية، فما عليهم لو اخترعوا سيناريوهات تنتهي بنسبة الإنجيل إلى ما أسموه بـ «مدرسة متى» فما مقصدهم بمدرسة متى ؟

هنا تتعدد التصورات. وتختلف الاجتهادات، فمنهم من يفسر «مدرسة متى» بطريقة أو أخرى تلتقي مع تقليد بابياس، فيرى أن «متى» لم يؤلف إنجيلاً بالمعنى التحريري، ولكنه بحسب تقرير بابياس: «متى كتب (أو جمع معاً) كل الأحاديث التي تعني: جمع أو وضع الكلام معاً في ترتيب..» وهذه الصيغة المتشعبة الهدف منها تمييع العبارة أكثر مما هي، بحيث لا تنفي بصورة قاطعة نسبة الإنجيل إلى متى، ولكنها بكل أسف لن تثبت أيضاً صحة الإنجيل بصورة قاطعة.

وهكذا أمكن للعالم ماير أن ينتهي في بحثه بأن إنجيل «متى» بحسب بابياس هو عملية جمع وتنسيق لأقوال المسيح، وذلك باللسان العبري، ولكن لم يصل إلى المفهوم الكامل للترتيب التاريخي للإنجيل. فالقديس «متى» لم يقم بشرح الأقوال المنقولة، ولكنه قام فقط بتجميعها على هيئة مجموعة منسقة Collection.

ومنهم من يعطي القديس «متى» دوراً أكبر، فيرى أنه أعطى مقدمات للأقوال ذات مفهوم تاريخي، وهكذا يكون قد أعطى إنجيلاً بالعبرية يكفي أن يكون متكاملاً، الذي بمقتضاه أخذ «متى» لقب صاحب هذا الإنجيل الذي دُعيَ (الإنجيل بحسب القديس «متى») بملء الصحة والالتزام ! !

والحق أننا في هذا الباب لا ينبغي أن نضع حلولاً تقريبية، ينبغي أن نضع حدوداً فاصلة بين متى وغير متى، وأن ندور مع الدليل حيث سار، وهذا ما حدا بكثيرين إلى رفض الإقرار بأن «متى» هو الذي ألف بأي معنى من معاني التأليف هذا الإنجيل، ومع ذلك فقد وقفوا عند هذه الخطوة، وما استطاعوا أن يبنوا اعتقادهم على معارفهم. بل فصلوا الإيمان عن العقل. والتقليد عن البرهان.

ولو تأملنا دعوى بابياس لألفيناها مناقضة للتقليد من وجوه:

- لم يكن بابياس صريحاً في قوله.

- الإنجيل الذي تحدث عنه مؤلف بالعبرية. والموجود الآن باليونانية.
- يظهر من كلامه أنه كان يحترم الإنجيل العبراني.

ثم إن شهادته:

- غير موصولة إلى الرسل.
- مجروحة بوصف يوسابيوس بأنه كان محدود الفهم [1].
- لم تدعم بشهادة تنتمي إلى عصره. ولم تدعمها قائمة الموراتوري.

كل هذا دفع بالآباء إلى مراجعة هذه الشهادة، وجعلها قرينة تارة، وحجةً تارة أخرى، وفرضاً تارة، ونتيجة أخرى، وأحياناً تكون الفروض صحيحة. ولكن تخرج نتائجها خاطئة. فمن المعلوم أن الكرازة كانت تتركز في البداية بين اليهود، وكان من الأمور الهامة أن يكون بين أيديهم إنجيل بلغتهم، وهنا تأتي النتيجة لتؤكد أهمية إشارة بابياس إلى الإنجيل الذي ألف بالعبرية. ويمسي علماء اللاهوت مهووسين بفكرة أن كاتب الإنجيل الأول كان يهودياً، وأنه يتميز بأنه:

- كان متأكداً من أن يسوع قد أكمل كل انتظارات اليهود..
- كان شخصاً ذا عقلية مرتبة واعية. [2]

ولكن أسلوب الكتابة ومعرفة الكاتب لانتظارات اليهود – كما يقولون- لا يضطرنا إلى حصره في شخص بعينه هو «متى» فكافة الذين تنصروا في فلسطين هم من اليهود، وهناك من تنصر خارج فلسطين وأكثرهم يهود أيضاً، ولا يجوز أن نقلل من معرفة هؤلاء اليهود المشتتين باللغة اليونانية، ولا من دراستهم لأسفار اليهود، لا شك أن فيهم من كان له العقلية التي تمكنه من استخراج نصوص العهد القديم، وتطبيقها على المسيح في صورة نبوءات إلهية سابقة تقنع أهل تلك العصور، ولا مناص من القول بأن هؤلاء اليهود المشتتين هم الذين أخرجوا إلينا قصة المسيح، والتي تحولت إلى روايات استعان بها كاتبو الإنجيل

١- يقول يوسابيوس «إذ يبدو أنه كان محدود الإدراك جداً كما يتبين من أبحاثه»تاريخ الكنيسة ك: ٣ ف: ٣٩ فقرة ١٢ ، ١٣

٢ - المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز صـ ٢٤٥، ٢٤٦.

الأول والثاني والرابع، واعتمد عليها لوقا في إخراج إنجيله، فقد رأي نفسه أهلاً لمنافسة مفسري كلمات الرب، وخاصة بعد أن وجد في كتاباتهم ما هو مقنع وما هو غير مقنع. فشمر عن ساعده لينجز عمله، وليضعه بين يدي العزيز ثاوفيلس، وبهذا انضم إلى الفئة التي فسرت كلمات الرب، والتي أشار إليها بابياس بقوله: «وفسرها كل واحد حسب استطاعته»

لم يقل لوقا إن كثيرين من الذين ألفوا قبله كانوا عبرانيين، وهنا يثار سؤال آخر: هل متى الذي أشار إليه بابياس هو نفسه متى أحد رسل المسيح ؟

فحتى عبارة «رسل المسيح» توقف بابياس عن ذكرها، ولكن جاء بعده أوريجانوس بأكثر من قرن ليعلن أن متى هذا هو الذي كان من قبل عشاراً. وبذلك ازداد التقليد وضوحاً. وازدادت الأدلة غموضاً وتعقيداً، كل هذا بسبب محاولة ربط متى الرسول بمتى الذي ذكره بابياس. وفي سبيل البرهنة على ذلك تشتت آراء الباحثين. وأعيتهم الحيل طوال القرون الماضية. فبابياس لم يوضح المقصود بـ «بمتى» ولم يقدم معلومات عنه يمكن أن تلتقي بالإنجيل. والإنجيل نفسه لا يقدم معلومات حول «متى» أكثر من أي رسول آخر، ورحلات «متى» أو من يمكن أن نفترض أنه كاتب الإنجيل مستبعدة تماماً من أية نصوص إنجيلية أو غير إنجيلية كسفر الأعمال والرسائل، وتقتصر المعلومات التي يقدمها الإنجيل على عمله، ومركزه بعد أن أصبح مؤمناً بالمسيح، فهو يعمل في جباية الضرائب عند كفر ناحوم، وبإيمانه بالمسيح عليه السلام يصبح أحد الرسل ألاثني عشر، وبما أن دعوة المسيح عليه السلام كانت بالأصل إلى بني إسرائيل فإن هذا يعني أن «متى» الموظف في جباية الضرائب كان يهودياً فلسطينياً. هذا هو كل ما لدينا من معلومات عن «متى» بحسب الإنجيل. وبحسب التقليد أيضًا، أما السؤال هل متى الذي ذكره بابياس هو نفسه الذي ذكره الإنجيل فيبقى بلا جواب.

وعلى فرض أن هذا هو ذاك، فسنعود إلى السؤال مرة ثانية: هل ما كتبه متى الرسول أو غير الرسول هو الإنجيل الحالي أم إنجيل آخر؟

مرة أخرى تعجز جهود علماء اللاهوت والتاريخ الكنسي عن إثبات فرضية أن هذا هو ذاك حتى الآن، ولم يكن يوسابيوس أكثر من مجرد كاتب تاريخ، تحدد المعلومات التي

تحت يديه الاتجاه الذي يسير فيه، ولكن غلب عليه التأثر بنشوة انتصار المسيحية في عصره. هذه النشوة صرفته عن محاولة وضع النقاط على الحروف في موضوعات مهمة، فلم يقل رأيه صراحة في العلاقة بين الإنجيل العبراني واليوناني، مع أنه لخص كتب بابياس الخمسة. وإن كان قد اجتهد للبرهنة على أن متى هو الرسول، ولكنه لم يحاول البرهنة على كون الإنجيل الذي كتبه هو الحالي، ومن ثم لم يحدد كيف أمكن تحويل الإنجيل من العبرانية إلى اليونانية، ويبدو أن الكنيسة لم تكن قد فكرت بعد في حل لهذه المعضلة. وكان على الآباء أن يجيبوا وبكل وضوح عن هذا السؤال:

هل الإنجيل العبراني الذي ذكره بابياس هو نفسه اليوناني الذي اعترفت به الكنيسة؟

تجاهل يوسابيوس السؤال، فيما أكد جيروم أنه هو، وهو تأكيد لم يقنع أحداً من الباحثين، إذ يتضح من عبارات يوسابيوس أنه لم يعرف الإنجيل الذي أشار إليها بابياس. وحتى بابياس نفسه لا يذكر أنه عرفه أو اطلع عليه. وبما أن بابياس لم يعط تفاصيل لشكل هذا الإنجيل ولا لحجمه ومحتواه، فإن يوسابيوس مات دون أن يعرف مقصده من هذه الإشارة، تاركاً مهمة تحديد المقصود من عبارة بابياس للقديس جيروم[1]، الذي شرع يحقق أحلام أسلافه في المعرفة. فعرف ما خفي عنهم اسماً وصفة، ويمتدح الأب متى المسكين جيروم وعلمه، إذ هو قد خبر العبرانية ويستطيع الحكم على تطابق النسختين. ولكن لنا عدداً من الملاحظات على حكم جيروم، حيث ادعى رؤية النسخة العبرانية في قيصرية التي كان يوسابيوس على رأس أسقفيتها. ومن ثم حكم بتطابق الإنجيل الذي أشار إليه بابياس مع الإنجيل اليوناني. ولكن لم نعرف أين ذهبت هذه النسخة بعد ذلك.؟ ولا ندري هل هي نفسها التي كانت أمام بابياس قبل ثلاثة قرون أم غيرها؟ .

هذه الملاحظات تثير الشكوك حول رؤية القديس جيروم للإنجيل العبراني، وخاصة إذا علمنا أن جيروم كان قد قال: إن هناك اختلافات في الترجمات بقدر ما هناك من

---

[1] - القديس جيروم (٣٤٢ - ٤٢٠م) ولد في نفس التاريخ الذي مات فيه يوسابيوس

مخطوطات، أي أن كل مخطوطة تختلف عن الأخرى في الترجمة»[١]

ويبدو أن يوسابيوس قد أثار العديد من المناقشات والمجادلات بفحصه لكتب بابياس الخمسة، فثارت ردود فعل واسعة في الجيل الذي تلاه، نتج عنها محاولة بعض تلاميذ جيروم تأكيد أنه لا فرق بين الإنجيلين اليوناني والعبراني، فما كان منهم إلا أن زعموا أن أستاذهم اطلع على النسخ العبرانية وحكم بتطابقها مع اليونانية. وبعد أن أضاع استمرار التحليل والجدل حول عبارة بابياس جزئيات المشكلة، ودوخ الباحثين النصارى في حلقة مفرغة قروناً عديدة، لجأ كثيرون منهم إلى خبر جيروم، بينما بات آخرون لا يحبذون تعيين اسم الكاتب عن طريق وثيقة بابياس، وإنما عن طريق النبرة اليهودية في الإنجيل. وهؤلاء يتناسون أن الإنجيل كُتب أصلاً باليونانية، ولو كان كاتبه عبراني لفضل أن يسجله باللغة التي سمعها من المسيح عليه السلام. كما أن بابياس لم يتحدث عن الإنجيل اليوناني الذي تعترف به الكنيسة اليوم، ولم يشر في مذكراته إلى أنه عرف محتوي الإنجيل العبراني. فما يدرينا إن كان الإنجيل العبراني هو نفسه الذي ترجم إلى اليونانية؟ ولماذا لم يحتفظ الآباء بالأصل العبراني ليكون حجة لهم أوعليهم ؟ وهل حيازة الهراطقة لهذا الأصل أو أي إنجيل عبراني مزور تمنعهم من ذلك ؟

على كل حال انتهت الهرطقات. واستقر التقليد في القرن الخامس، ووقع الإنجيل مرة ثانية في يد الكنيسة، فماذا فعلت ؟

لقد ترجمه جيروم، وأكد التطابق بينه وبين اليوناني، ثم .. لا ندري أين اختفى ثانية. هل أحرق ؟ هل سرق من حوزة الكنيسة ؟ أين ضاع وفي أي مكان اختفى؟ لا أحد يعرف.

ولكم نتساءل: لماذا لا تكون النسخة العبرية التي عرفها جيروم هي نسخة مترجمة عن الإنجيل اليوناني بهدف إقناع العبرانيين بالمسيحية الجديدة ؟ ألا يؤيد هذا وصف جيروم لها بأنها طبق الأصل.؟

هذه الملاحظات تضيع أمام عبارات الأب متى المسكين التي تشيد بعقلية جيروم. فقد كان

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد صـ ١٣٨

يمتلك النسخة العبرية واليونانية معاً، ولم يُشر إطلاقا إلى أي اختلاف بينهما. في حين أن تاريخ البحث في المخطوطات لم يكشف حتى الساعة عن تطابق نسختين في لغة واحدة. وجيروم يقر بهذا، فما بالك لو اختلفت اللغة.؟

لقد أشار جيروم في شرحه لإنجيل «متى» إلى أن النسخة اليونانية هي ترجمة حرفية من النسخة العبرية. فلماذا لا يكون العكس كما سبق أن ذكرنا.؟ وخاصة أن النسخة اليونانية التي بين أيدينا اليوم هي نسخة أصلية وغير مترجمة. وهذا يصب في صالح ترجمتها إلى العبرية وليس العكس كما حسب أنصار جيروم، وهنا يثار السؤال: أي الإنجيلين أولى بالقبول، ما كتب باللغة التي تحدث بها المسيح، أم ما كُتب بلغة أخرى ؟

ويتخلص الأب متى المسكين من هذا المطب بمهارة. فيزعم أن سبب ترك الإنجيل العبراني هو حيازة الهراطقة له، والحق إن إقامة الدليل على أمر غير صحيح لا يشفع له مكانة الباحث ولا وزنه الروحي، فالأب متى رغم أنه قطع حياته راهباً متعبداً بدراسة الأناجيل، يقف وهو على أعتاب نهايتها عاجزاً عن أن يبرهن على صحة إنجيل منها، ولو كان الأمر بالسهولة التي يظنها صغار الباحثين لأمكن لهذا الحبر العظيم أن يحسم المسألة في عبارة واحدة، عبارة قصيرة وصريحة، ولكنها ستكون أفضل من مائة كتاب لا تسكت المعترضين، إن إقرار الكاتب بنسبة الإنجيل إليه، كان سيقطع الجدل ويحسم النزاع، لو أمكن الإتيان به، ولكن وبينما الكتاب الذي بين أيدينا «دون أصلاً باليونانية يتحدث بابياس عن آخر مؤلف بالعبرانية، فبأي منطق نطبق عبارة بابياس على الإنجيل الحالي ؟ وليس من المفهوم لحد الآن لدى النصارى لماذا اختلفت لغة أناجيلهم عن لغة المسيح. ولا لم لم تظهر في وطن المسيح. ويحتدم النزاع حول العلاقة بين متى اليوناني ومتى العبراني، ويطرح بعضهم فكرة أن وجود الإنجيل اليوناني من قديم الزمان، واعتماد الكنيسة عليه. جعل في الظاهر إنجيل «متى» باللغة اليونانية هو الأصل. ولم يَرُق مثل هذا للعالم ماير الذي أكد على أنه إنجيل واحد. وقد أعجبت فكرة ماير الأب متى المسكين، فأراد أن ينسق من خلالها بين الاجتهادات القديمة والحديثة ليخرج بعرض منسق للقضية، فالإنجيل ترجم إلى اليونانية، وانتقل الثقل إلى الإنجيل المترجم، غير أن هذا الأمر ليس استثناءً لإنجيل

متى، فكافة أسفار العهد القديم لم تعرف إلا في اليونانية، وهي بالمناسبة أصلية في لغتها وليست مترجمة، فالأناجيل الأربعة كتبت بغير لغة المسيح. وفي بلاد بعيدة عن موطن المسيح. وهذا يحتم على الدارسين التفكير بطريقة عامة، ولكن التقليد يفتت المشكلة، ثم يعتبر البرهان على القضية الجزئية برهاناً على الكلية، فالترجمة التي حدثت لإنجيل «متى» من اللغة العبرية إلى اليونانية جاء فيها الشواهد من «السبعينية» فقد رأى بعضهم أن في هذا ما يوحي أنها غير مترجمة من العبرية،ولكن يرد على ذلك العالِم ماير بقوله: إن الذي يترجم إلى اللغة اليونانية لا يأخذ الشواهد من الأصل العبري، بل من الأسهل له أن يعتمد على اليونانية، وفاته أن الدقة تقتضى أن لا ينقل ترجمة من ترجمة. وإنما يرجع إلى الأصل ما دام متاحاً له ذلك، ولو حدث ذلك ربما تجنب الكثير من الأخطاء في النبوءات.

ويعتقد الأب متى المسكين أن سبب ترك الإنجيل العبراني والاعتماد على الإنجيل اليوناني هو حيازة الهراطقة للإنجيل العبراني المحرف، ولم يحدد لنا حجم التحريف ولا الموضوعات التي دخلها التحريف في هذا الإنجيل، وهذا يؤكد على أن سبل البرهنة على الباطل قد ضاقت أو سُدت أمام القوم، فحيازة الهراطقة لهذا الإنجيل توجب أن تتمسك به الكنيسة أكثر من أن تتخلى عنه، فهي تحتاج إليه لتقيم الحجة عليهم من جانب، ولتبرهن على التحريف الذي أدخلوه من جانب آخر. ولكنها لم تفعل ذلك. بل راحت تطالب الهراطقة بالرجوع إلى الإنجيل اليوناني، فأي الفريقين ينتمي إلى الهرطقة، أليس ما فعلته الكنيسة دليلُ على أنها هي التي تهرطقت.؟

فالكنيسة هي التي فقدت الصواب، وفقدت السند الذي تحكم من خلاله على هذه الجماعة أو تلك، فعلى أي أساس حكمت على من يحملون إنجيل متى العبراني بالهرطقة.؟

وواضح مما نقله الأب متى المسكين عن إغناطيوس أن الهراطقة كانوا يعترضون على الكنيسة بحجج قوية، مثل قولهم: «ما لا نجده مذكوراً في الكتب العتيقة، فإننا لا نؤمن به من الإنجيل» ولو فُرض أن الإنجيل الذي كان في أيديهم ساعتها هو الذي أشار إليه بابياس، فإن هذا يؤكد أن الكنيسة كانت تعيش مرحلة تردد، أنكرت خلالها ما عادت إلى الإيمان به، وقد فحص جيروم ما أنكرته الكنيسة أخيراً وتبين له أنه لا يختلف عن ما

آمنت به. ولكن هذه المعلومات والافتراضات لم تكن في ذهن بابياس، فلم يكن لديه وهو الأكثر خبرة بما كان في عصره معلومات عن ترك الكنيسة لإنجيل متى العبراني نكاية في الهراطقة، وهذه المعلومة لم يسجلها يوسابيوس ولو وجدها في كتابات بابياس ما تردد في الكشف عنها، فلم يكن هذا التعليل مطروحاً في العصور المتقدمة، فنحن نخترع معلومات ما كان لعقل الآباء أن يقبل بها، كل هذا لأجل ربط اليوناني بالعبراني..

وتأتي شهادات آباء الكنيسة قبل يوسابيوس لتكرر كلام بابياس، فيوسابيوس في عبارة واحدة: جمع شهادة كل من سبقه، ورجع إليه كل من جاء بعده. حتى جاء الكتاب المعاصرون يرجعون إليه كما رجع السابقون، ولكنهم لم يضيفوا جديداً إلى ملاحظاته سوى عبارات من نحو: أن فلاناً لا ياستهان بعلمه ولا بتقريراته. مثلما وصف الأب متى المسكين بنتينوس: بأنه «كان علامة ويُتقن العبرية ويستطيع أن يميز الإنجيل الذي رآه» مع غرابة خبر ذهابه إلى الهند سنة ١٩٥م وعثوره على إنجيل متى باللغة العبرانية هناك.. فهذا الخبر أعجوبة من عجائب الدهور، إذ أين ذهبت هذه النسخة ؟ وأين اختفى هؤلاء المسيحيون ؟

فهذا «متى» يتحول من محصل ضرائب إلى كاتب أناجيل بعدد من اللغات اليونانية والعبرانية والهندية الخ..

فتأمل كيف تنسج الأساطير، وكيف يتبع الحكم على الشخص الحكم على ما نخترعه له من أدوار ومواقف، فمن أين علمنا قدرة بنتينوس على تمييز الإنجيل الذي رآه ؟

ومن أين علمنا أن ما رآه هو ما تحدث عنه بابياس ؟

وإذا جاز أن نقول إن متى ترك إنجيله العبراني لليهود، فما فائدة أن يترك إنجيلاً بنفس اللغة لأهل الهند ؟

وهل وصلت قرارات الحرمان لإنجيل الهند، أم أنه ضاع من تلقاء نفسه ؟

لسنا معنيين باتهام الكنيسة بالتقصير، ولا يعنينا في الإجابة على هذه الأسئلة كثرة الأسماء التي يرتبها علماء اللاهوت، فكل هؤلاء يعتمدون على عبارة بابياس، دون أن يجدوا تأكيداً لكلامه من أحد في درجته. وكلما ظهرت ثغرة وضعوا لها ما يناسبها من

فروض، حتى يعلن التقليد أن الإنجيل العبراني وقع في يد جيروم، وشهد بتطابقه مع النسخة اليونانية.

وإذ يجد الدارسون النصارى في كتابات إغناطيوس أسقف إنطاكية ما يقرب من خمسة عشر استشهاداً من الإنجيل، فإنهم يفسرون ذلك على أن إغناطيوس قد عرف إنجيل متى، مع أن الإنجيل لم يكن قد ظهر بعد، واغناطيوس لم يذكر متى بالاسم. فلا فائدة من شهادته ولا من نصوصه، لأنه يحتمل أن تكون قد دخلت في الإنجيل ولم تنقل عنه.

ويكاد يوسابيوس أن يخصص الكتاب السادس من كتبه العشرة التي احتواها تاريخ الكنيسة لأوريجانوس الذي عاش ما بين (١٨٥ — ٢٥٤م) في الإسكندرية وذلك لأنه ذكر متى بالاسم، أو بالأحرى حدد عبارة بابياس الفضفاضة، ففي الفصل السادس عشر من الكتاب المذكور تحدث المؤلف عن أوريجانوس، فذكر أنه تعلم العبرانية، وعثر على العديد من الترجمات، وقد ترك لنا ما يعرف بالهكسابلا وهي سداسية تجمع عدداً من الترجمات[١]

وتأتي شهادة أوريجانوس فيما نقله يوسابيوس: «عرفت من التقليد أن أولها كتبه متى، الذي كان عشاراً ونشر باللغة العبرانية» [٢]

ويعلق الأب متى المسكين على ذلك بقوله: «وأوريجانوس لا ياستهان بعلمه وتقاريره فكلها يأخذها جميع العلماء أخذ ثقة واحترام»

فهذه معلومات متناقضة، فالإنجيل الذي يتحدث عنه أوريجانوس بالعبرية، والذي تعترف به الكنيسة باليونانية، ثم هو لا يقدم أدلة على نسبة الإنجيل إلى متى أكثر من التقليد، فهو يحتج على منكري التقليد بالتقليد، فقد صار عالماً باليونانية والعبرية وتمكن من إخراج الكثير من الأسفار إلى النور بعد أن كانت مخفية، وأظنك تتفق معي في أنه لو وجد شيئاً تحت يده يدعم التقليد ما تردد في إظهاره، ومهما فتشت كتب الآباء، فلن تجد

---

[١] - تاريخ الكنيسة /يوسابيوس صـ ٣٠٥ ، ٣٠٦

[٢] - تاريخ الكنيسة صـ ٣١٧

من يذكر متى بالاسم قبل بابياس. ويظل بابياس محتفظاً بهذه الأسبقية حتى يأتي الآباء الواحد تلو الآخر، وكلهم ينقلون كلامه: «هذا هو التقليد الذي استلمته»، وهكذا صارت عبارة بابياس تقليداً يحتج به القوم دون أن يمتلكوا أدلة أو براهين تكشف لهم عما إذا ما كان هذا التقليد هو الصواب.

وواضح أن «الإنجيل» لدى الهراطقة كان كتاباً يمكن أن يقارن بأسفار العهد القديم، فالهراطقة كانوا يحتجون بالعهد القديم وبإنجيل متى العبراني، فما هو العيب في ذلك ؟ وهل يمكن لمن يحمل نسخة مترجمة من كتاب أن يحتج على من يحمل أصل هذا الكتاب.؟

وهل كانت الكنيسة تترك الإنجيل اليوناني لو حصل عليه الهراطقة ؟

ثم كيف خرج هذا الإنجيل من قبضة الكنيسة ووقع في يد الهراطقة ؟

وكيف أمكن لليونانيين الحكم على تحريفه وهو بغير لغتهم ؟

هل تركت الكنيسة إنجيل متى العبراني بعد أن كان في يدها أم أنه لم يقع في يدها أصلاً. وبالتالي فالكنيسة نشأت بعيدة عن رسل المسيح عليه السلام ؟

قد يجادل البعض في أن معرفة النصوص المترجمة يمكن أن يوصلنا إلى معرفة دقيقة لما قاله المسيح، يجوز أن يكون هذا صحيحاً في ترجمة الأحاديث العادية. ولكن عرض المصطلحات الدينية ذات الدلائل الدقيقة. لا يمكن أن يتم على وجه صحيح إلا بتحديد المراد منها. وخلق التراكيب اللغوية التي تناسبها. فالمصطلحات الدينية هي غالباً مثار جدل حتى بين رجال الدين، فما بالك بالترجمة؟ إنها في حاجة دائمة إلى إسهام رجال الدين ورجال اللغة من أجل ضبط المصطلحات الدينية وشرحها وتبسيطها للعوام وأحياناً للمترجمين؟ وقد ينشأ بفعل هذا النشاط الكثير من العلوم وتقام مدارس ويتخرج أناس لهم مواهب مختلفة في الفهم والتطبيق. ومع ذلك لا ينقطع الجدل حول تلك المفاهيم. إننا دائماً نعجز عن فهمها الفهم الدقيق. وبالتالي نحتاج إلى من يفسرها لنا، ثم نتجادل حول هذا التفسير. فما بالك لو جاء إنسان وترجم هذه النصوص وكل مؤهلاته خبرة متراكمة بجباية الضرائب.

في الكثير من الأحيان نرى مترجمين مشهوداً لهم بالمهارة في الترجمة العامة يعجزون

عن ترجمة بعض قصائد الشعر. وأحياناً يشير القدماء إلى نصوص في الأناجيل لا نعثر عليها الآن، فنضطر إلى اختيار بعض الكلمات الأصلية في النص للبحث عنها، كل هذا من أجل أن نحكم على أن هذا النص في الأصل أو الفرع هو ذاك. ولكن جيروم بنظرة عابرة حكم على أن الإنجيل العبراني هو نفسه اليوناني. فلماذا لم يحكم بابياس هذا الحكم ؟ ولماذا لم يشر يوسابيوس إلى تطابق الإنجيلين ؟ ولماذا أضاعت الكنيسة الإنجيل العبراني؟ هل أضاعته حتى لا يتسنى لأحد التأكد من حكم جيروم ؟

فإذا ما انتهينا من هذه الأسئلة نقف عند نقطة أخيرة، حيث لا أحد يقطع بأن الإنجيل العبراني الذي أشار إليه بابياس وذكره جيروم هو نفسه الإنجيل الذي جاء به المسيح عليه السلام فالإنجيل الذي جاء به المسيح هو في أعلى درجات الإحكام والبلاغة. لقد كان فصولاً من الحكم والأمثال والشرائع والعقائد، وكل جملة فيه تشعرك أن المتحدث إليك إنما هو الله سبحانه وتعالى. فهو كتاب لا يسجل وصف بشر عادي لما يدور حوله، إنه كتاب الله سبحانه وتعالى، والمتحدث إليك من خلاله إنما هو الله سبحانه وتعالى، وتأمل كم مرة يؤكد القرآن الكريم على تنزيل التوراة والإنجيل والقرآن من عند الله العليم الحكيم، فكثيراً ما يرد الفعل «أنزل» بتصريفاته ومشتقاته للدلالة على أن هذه الكتب من عند الله سبحانه وتعالى، ولا يوجد مقابل لذلك في الأناجيل بأية صيغة. ولو افترضنا أن الله عز وجل أنزل الإنجيل على متى لا على المسيح عليه السلام فلماذا لم يذكر متى ذلك ؟ لا تقل: هضماً لنفسه، فالحقيقة أهم من كل ذلك، ولو قلنا إنه هضم نفسه، فلماذا لم يذكر المترجم اسمه، وهل هناك شرف أكثر من أن يسجل له هذا الدور في خدمة إنجيل الله.

على أن الهراطقة الذين احتفظوا بالإنجيل العبراني هم بالأساس عبرانيون، وبما أن الكنيسة يونانية فإنها لن تقبل إلا ما كتب بلغتها، والإنجيل الآرامي هو مجرد نقوش لا تعني شيئاً للآباء اليونانيين. وقد حدث شقاق بين العبراني واليوناني، وبانتصار الإنجيل اليوناني ضاع الإنجيل العبراني، فكيف تهرطق العبرانيون، واستقام الآباء اليونانيون.؟

ويبدو أن طريقة الكنيسة في الاعتراف بالأناجيل كانت تختلف من إنجيل لآخر، وليس الأمر كما يظن البعض من أنها كانت تشترط تقديم الإنجيل بيد أحد الرسل، إذ نلاحظ أن

الكنيسة لم تقبل سفراً من يد رسول، ولم تقبل سفراً إلا إذا كان مكتوباً باليونانية، فمسألة اللغة هي التي حددت ما تقبله وما ترفضه، فما كانت لتقبل كتاباً بالآرامية وأتباعها يونانيون، وعلى هذا فإن إنجيل متى اليوناني قد يكون نتيجة لترجمات بقدر الاستطاعة عن الإنجيل الذي ذكره بابياس، وحتى لوقا هو في أفضل الأحوال مترجم بنفسه أو بغيره لعدد من المذكرات والوثائق الآرامية، وبحسب رأيه فإن هذه الوثائق كانت في أيدي ناقلين عدهم من شهود العيان. نقلت بعد ذلك إلى يونانيين هم بكل يقين من الدائرة التي أشار إليها بابياس بقوله: «وفسرها كل واحد على قدر استطاعته»

ونعتقد أن ثمة فروضاً متعددة تجاهلها التقليد، إذ ربما لجأت بعض المجموعات المسيحية في سبيل الصراع مع بعضها البعض إلى عدد من الحيل، فبعد أن ظلت فترة تعتمد على الرسائل رغبت في امتلاك قصة شارحة لحياة المسيح عليه السلام، وعندما تحولت القصة إلى إنجيل احتاج الأمر إلى تعيين اسم يتناسب ومكانة الإنجيل، فأشاع بابياس أن متى ألف الإنجيل الذي تؤمن به جماعة كذا، وحتى يبدو الأمر مقبولاً زعم أنه ألفه بالعبرية، وذلك لأمرين:

- لأنه لم يكن يجرؤ أن يتحدث عن عبراني يكتب بلغة اليونان.
- لأنه كان في أهل اليونان من سيكشف عن هوية الكاتب الحقيقي.

ثم ابتدأ التقليد بعد أكثر من قرنين ليعلن لرعايا المسيحية من اليونانيين أن الإنجيل اليوناني ألفه أحد رسل المسيح عليه السلام. وربما لم يسمع بابياس عن الإنجيل اليوناني، ولم يكتب في عهده، وإنما شاع بين أهل اليونان إنجيلاً باللغة العبرية راح كل واحد يفسره يعني يترجمه حسبما استطاع، ومن هذا الإنجيل صيغت أناجيل كثيرة منها الأناجيل الأولى المتشابهة، وأحد هذه الأناجيل أطلقوا عليه اسم متى لاعتقادهم أنه قريب من الأصل العبراني. وبمرور الأيام اعتقد أوريجانوس أن مؤلفه هو متى رسول المسيح عليه السلام .

وربما فسر بابياس بعض الأقوال العبرية في كتبه الخمسة، ثم أضاف أحد الآباء ما يفيد أنها منقولة عن أحد الرسل، فاستوحت الكنيسة هذه الفكرة، ثم طبقتها على الأناجيل التي في حوزتها.

وخلاصة القول أن الآباء الذين يتمسك التقليد بشهادتهم على نوعين:

- منهم من يردد عبارة بابياس السابقة، مثل أوريجانوس والقديس جيروم، والقائمة طويلة وليس أخرها الآن رعاة الكنائس التقليدية في كل مكان من العالم. فالجميع يسرد الأسماء بمهارة تصرف العقل عن التفكير في العلاقة بين اليوناني والعبراني.

- ومنهم من وردت في كتاباته عبارات مثل الموجودة في إنجيل متى، ومع أنهم لم يذكروا متى بالاسم إلا أن أتباع التقليد يحتجون بهم على أساس أنهم عرفوا الإنجيل ونقلوا منه، والصواب هو أن كاتب الإنجيل قد يكون هو الذي عرف هذه الكتابات، أو رجع إلى مصدر رجع إليه هؤلاء الكتاب، فالتشابه لا يدل بالضرورة على أنهم اقتبسوا من إنجيل متّى، فكما لا يستطيع الآباء معرفة من أخذ مِن مَنْ ؟ لوقا أخذ من متى. أم متى أخذ من لوقا ؟ وهل أخذ الاثنان من مرقص أم أخذ منهما مرقص ؟ كذلك رسائل الآباء التي كتبت قريباً من هذا العصر تدخل دائرة هذا التشابه، فالآباء الذين وردت في كتاباتهم بعض العبارات من الإنجيل، لا يصح اتخاذها دليلاً على إقرار أصحاب هذه الرسائل ومعرفتهم لإنجيل متى، إذ لم تحسم مسألة اقتباس الإنجيليين بعضهم من بعض إلى هذا اليوم، وبحسب الأبحاث العلمية يُحتمل أن يكون الآباء وكاتب إنجيل متّى اقتبسوا جميعاً من مصادر مشتركة. ويحتمل أن تكون منقولة من إنجيل متى الحالي.

ويحتملِ أن تكون منقولة من إنجيل «متى» غير متى الحالي.

ويحتمل أن يكون كاتب إنجيل متى نقلها في إنجيله ولم تنقل عنه.

وربما كانت عبارات رائجة في عدد من المصادر، استعان بها الإنجيليون والآباء الواحد تلو الآخر.

وكما نعلم فإن الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال يسقط من الاستدلال. وعلى كل الأحوال، تطرق أم لم يتطرق الاحتمال فإن وجود عبارات في رسالة منسوبة إلى أحد الآباء بشكل تشبه في مضمونها ما جاء في إنجيل متّى لا تعني أن متّى هو كاتب الإنجيل، فهذا يتطلب عزو النصوص إلى إنجيل متى، وربما لو ذهبت تبحث عن نسبة هذه الرسائل التي وردت فيها عبارات مشابهة لما جاء في الإنجيل جابهت مشكلة أصعب من تلك التي حاولت الخروج

منها. فهل هذه الرسائل صحيحة النسبة إلى مؤلفيها أم لا ؟ وإذا كانت صحيحة فلماذا أقصيت عن العهد الجديد ؟

مرة أخرى تكثر الاحتمالات، وتتعدد الأقوال، وكلها لا تستند على دليل، ولهذا سوف نضطر إلى تكرار كلامنا، وسنعود إلى المربع الذي حسبنا أنفسنا قد انتهينا منه عندما نبدأ مع إنجيل مرقص في الفصل القادم.

الفصل الثالث
مرقص ..
بين التقليد والنقد الحديث

سوف نسجل في هذا الفصل ما حصلنا عليه من معلومات حول كاتب الإنجيل المعروف لدى الكنائس بـ «الإنجيل بحسب القديس مَرْقُص» وسوف نعمل على تحليل وفحص هذه المعلومات لنخرج في النهاية بنتيجة نأمل أن تكون فاصلة بين وجهات النظر المختلفة حول الكاتب.

ولك أخي القارئ أن تتدبر الرأي ونقيضه.

ولك أن تمارس الشك المنهجي في سبيل الوصول إلى الرأي الصحيح من بين الرأي ونقيضه.

نقدم إليك أولاً نظرة التقليد الكنسي، ثم نعقب عليها مستأنسين بموقف النقد الحديث، ثم نمضي في تحليل المواقف والأقوال القديمة والحديثة لنصل في النهاية إلى ما تستريح إليه صدورنا.

وما نطمئن أن نلقى عليه ربنا سبحانه وتعالى.

وما نأمل أن تشاركنا بشأنه الرأي.

وإن تلاشت أمانينا في الاتفاق، فعشمنا أن لا يبددنا شقاق.

• كاتب الإنجيل الثاني في التقليد الكنسي

إذا كان لكل رسول رسالة يتلقاها من ربه ليبلغها قومه، فإن المسيح هو أحد رسل الله تعالى وقد تلقي وبلغ قومه ما تلقاه. ولكن هذه السنة تنقلب رأساً على عقب في التقليد المسيحي، فالمسيح بلا كتاب وبلا رسالة. بينما الأناجيل تتنازعها الادعاءات ومع الجهالة الكاملة بكاتبيها لم تقم الكنيسة بإلحاق إي منها إلى المسيح عليه السلام.

وتأتي معرفة الجو العام الذي ألف فيه هذا الإنجيل أو ذاك كخطوة يخطوها الباحث في سبيل تحديد هوية أحد هؤلاء المجهولين، لكن كثيراً ما تتعثر محاولات التعرف على ظروف وكيفية كتابة الإنجيل، ومدى صلته أو بعده عن رسالة المسيح عليه السلام، وهنا يقف التقليد ليقدم للمتعثرين معلومات غزيرة ومتباينة أكثر الأحيان حول لغة ومكان وزمان كتابة الإنجيل.

لغة إنجيل مرقص

سبق أن عرفنا أن لغة المسيح عليه السلام كانت الآرامية، ولكن ها نحن ننتهي من إنجيل ونشرع في آخر، دون أن نجد فيما تركناه ولا فيما استقبلناه ما هو مسجل بلغة المسيح عليه السلام يأتي الإنجيل الثاني مثل الأول بلغة اليونان، وسيأتي الثالث والرابع كذلك، والنتيجة لكل ذلك لا تحتاج إلى حساب أو تفكير. فهي تؤكد بوضوح أن هذه الأناجيل كتبت بعيداً عن أتباع المسيح عليه السلام فالانقطاع اللغوي هو الدليل الأبرز على الانقطاع بين تلك الأناجيل ورسالة المسيح عليه السلام.

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل وحتى العامي غير المتمرس بدأ يدخل عالم المنافسة الأدبية حول قصة المسيح، وأمامنا الآن واحدة من تلك التجارب القصصية التي أصبحت سمة من سمات القرن الثاني الميلادي، إنجيل يكرر كاتبه حرف العطف كثيراً، كما يتجنب العبارات البليغة. ويستخدم اليونانية الدارجة، ومفرداته خالية من الكلمات الفنية التي يستخدمها عادة العلماء، كما أنها خالية من الكلمات السوقية. وقد لاحظ العلماء في دراستهم أن لغة إنجيل مرقص «اليونانية مختلفة جداً عن لغة الأناجيل الأخرى، سواء في

أدبياتها أو أسلوبها أو لهجتها أو نحوها، وقد وصفوها بأنها عامية»[١] ولهذا اعتبروه ضمن التجارب الأولى التي جرت لتسجيل أعمال المسيح عليه السلام

وخلاصة ما يستجمعه محررو دائرة المعارف الكتابية من أقوال الآباء أن الإنجيل كتب أصلا في اليونانية، وترجماته تمت نقلاً عن هذه اللغة لا إليها، ولقد ظن بعضهم أنه كتب أصلاً في اللاتينية، وليس من سند لذلك سوى إشارات لم نطلع عليها في القليل من المخطوطات، وفي الهرقلية والبشيطة السريانية.

ويدافع «بلاس» عن كتابة الإنجيل بالآرامية معتقداً أن لوقا- في الجزء الأول من سفر الأعمال- قد استقى من مصدر أرامي، وأن هذا المصدر هو ما سجله كاتب الإنجيل الثاني.[٢] وإذا أخذنا بهذا الرأي فسوف نكرر ما سبق وقلناه في العلاقة بين متى العبراني واليوناني. وسوف ننتهي إلى نفس النتيجة. غير أن المتفق عليه هو أن الإنجيل مسجل باليونانية، وإن كان الكاتب على دراية بالآرامية، ويبدو ذلك في استخدامه بعض الكلمات الآرامية، مثل:

- «وقال لها: طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية قومي» إصحاح ٥ عدد: ٤١
- «ورفع نظره إلى السماء وأنَّ وقال له إفَّثا أيُّ انفتح» إصحاح ٨ عدد ٣٤
- وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد» إصحاح ٣ عدد ١٧

فالكاتب هنا يبقى الكلمة الآرامية بحالها، ثم يضع بجوارها مرادفها اليوناني، وهذا يعطي إشارة على وقوفه على القصة في الآرامية. ويعطي كذلك انطباعاً بأن الكلمة في الأصل لها أكثر من مرادف، وفيما بعد رأى الإنجيليون التخلص من هذه الطريقة في الكتابة، والتقليل من استخدام الكلمات الآرامية. إذ أن عدم استخدام كلمات أجنبية في لغة الكاتب يشير إلى تمكنه من لغته هو، وقدرته على تعيين المرادف بسلاسة، وبالتالي يكون أسلوبه أبين، وعبارته أوضح.

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص دراسة وتفسير وشرح أول وأقدم الأناجيل الأب متى المسكين صـ ٢٤ط / دار القديس أنبا مقار

٢ - دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل مرقص) وإنجيل مرقص يخلو مما جاء في هذا الإصحاح من لوقا من نحـو قصة زكريا عليه السلام. وكذلك سفر الأعمال يعالج موضوعات مختلفة عن الإنجيل.

مكان كتابة الإنجيل

عندما ظهر اسم إنجيل مَرْقُص لأول مرة، كان ذلك في قائمة موراتوري، ولكن لا أحد اليوم يعرف أين كتب إنجيل مَرْقُص، ولا غيره من الأناجيل، بل لا نعرف أين ظهرت قائمة الموراتوري نفسها، وسوف ندخل كالمعتاد في التخمينات، حيث هناك العديد من الاجتهادات، وأبرزها ثلاث أماكن مقترحة لكتابة الإنجيل:

الأول: مصر وهذا قاله كيسستم[1]. وناقضه أكليمندس الإسكندري وأوريجانوس

الثاني: إنطاكية، فيوحنا الشيخ الذي يقتبس بابياس شهادته كان يسكن في الشرق، ثم إن ظهور بعض الكلمات الآرامية في الإنجيل يؤيد ذلك.

الثالث: روما، وهذا عليه غالبية علماء النصارى، وشهادة إيرينِيُوس وإكليمندس الإسكندري تؤيد ذلك.[2]

وهذا الرأي الأخير وإن كان عليه غالبية اللاهوتيين، إلا أنه كالأول مجرد تخمين، وكل ما يستطيعه الآباء هو التسليم بأن الإنجيل قد كُتب، أين ؟ لا أحد يعرف، وعلى من يرغب في المعرفة أن يضرب في الأرض شرقاً وغرباً. مخمناً تارة، ومنجماً أخرى، ليصل في النهاية إلى النتيجة المعهودة: «لا يعلم أين كتب هذا الإنجيل سوى واحد، وهو الله ﷻ»

تاريخ كتابة الإنجيل

لا يرجع تعدد الأقوال بشأن تاريخ كتابة الإنجيل إلى أبحاث متأخرة، فهناك انقسام شديد منذ عصر الآباء الأول، ولا نجد دليلاً واحداً يؤيد رأياً دون آخر، فكلها تخمينات لا تستند سوى على قرائن، أحياناً نحسبها تؤيد تاريخاً من التواريخ، فإذا بها تؤيد أكثر من تاريخ، وأكثر من مكان للكتابة، بل وأكثر من كاتب. ونتيجة لذلك يختلف العلماء في كل شيء يتعلق بالإنجيل، فالتاريخ لا يعطينا زمناً محدداً لكتابة الإنجيل، سواء في الإنجيل أو في أعمال الرسل، لذلك تكاثرت التخمينات، وتعددت الاجتهادات:

---

١ – يوحنا فم الذهب

٢ – المدخل إلى العهد الجديد د. فهيم عزيز صـ ٢٢٠ ، ٢٢١

فالذين يتمسكون بالتقليد المصري يؤكدون أنه كتب في منتصف الأربعينات.

ويذكر س. س. توري Torry أنه كتب فيما بين سنة ٣٩، ٤٠ م بانياً رأيه على العبارة «فمتى نظرتم رجسة الخراب قائمة ..» ورجسة الخراب – في نظره – هي صورة كاليجولا التي وضعت في الهيكل آنذاك.

وقال هارينك أنه كتب في الخمسينات.

ومعظم العلماء يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ – ٧٠م ويبنون عقيدتهم على قول إيرينئيوس: إن مَرْقُص كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس.[١]

ويأتي يوسي أوكالاجان ١٩٧٢م وهو راهب يسوعي وعالم برديات من معهد دراسات الكتاب المقدس بروما بنظرية يحدث بها ضجة في محيط الأبحاث المتعلقة بالأناجيل. فقد عثر في الكهف رقم ٧ بوادي قمران على قصاصتين من إنجيل مَرْقُص (٦ : ٥٢ – ٥٣ و ٤ : ٢٨) وأهم نقطة في الموضوع أنه جرت الأبحاث الضوئية الدقيقة على الرقعتين فتحدد زمانهما مبدئياً بسنة ٥٠ م .[٢]

غير أن هذه الأبحاث الضوئية وما أثارته من ضجة لا تقدم ولا تؤخر، فحتى لو اعتقدنا أن إنجيل مَرْقُص هو أول الأناجيل الأربعة، فهذا يعني أنه قد أوجد نوعاً من الآداب لم يكن معروفاً من قبل. هذا النوع فتح انمجال لظهور العشرات من القصص التي أطلق عليها فيما بعد أناجيل. ونظراً لكثرة هذه الأناجيل لا نعلم هل الرقعتان المذكورتان أخذتا من الإنجيل أم دخلتا فيه.؟ وربما كانتا في إنجيل آخر، استعمل نفس المصدر الذي استخدمه متى ومَرْقُص. ولم تكن هاتان القصاصتان لتحدثا تلك الضجة لو لم يكن القوم في أشد

---

١ – المدخل إلى العهد الجديد د. فهيم عزيز صـ ٢١٩ ، ٢٢٠ الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٢٠ ، ٣٠

٢ – الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ١١٤ والقصاصتان لا تشكلان أكثر من ثلاثة أعداد، عددٌ في قصاصة وعددان في الأخرى، ففي الأولى «لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر، أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل» وفي الثانية: «لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة ، فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت وأرسوا» والعدد الأخير موجود في متى ١٤ : ٣٤

الحاجة إلى المعلومات المفيدة وغير المفيدة، وربما ظهر إنجيل مرقص بالفعل عام ٥٠ م ولكنه استمر فترة غير معلومة لا يشار إليه، أو ينظر إليه كقصة لأن بولس لم يشر إليه ولا حتى لوقا في سفر الأعمال مع أنهم تحدثوا عن يوحنا مرقص كثيراً.

خاتمة الإنجيل

وهناك اتجاهات ترى أن الإنجيل كتب على يد أكثر من كاتب، وعلى أكثر من مرحلة. ولم يعلق عليها الآباء، وقد أعطى ماركسين في أبحاثه «منتصف القرن الماضي» ردوداً حاسمة على النقد الذي يقول بتلك النظرية».(1) وقد تعودنا أن لا شيء مطلق، فما يمكن إثباته في منتصف هذا القرن يمكن نسفه في مطلع القرن القادم، وهناك مشكلة بخصوص الأعداد من ٩ -٢٠ من الإصحاح الأخير وتتلخص في السؤال:

هل هذه الأعداد أصيلة في الإنجيل أم هي مضافة ؟

لقد ظهر هذا السؤال نتيجة لعاملين مهمين جداً :

الأول: أن أهم مخطوطتين قديمتين وهما الفاتيكانية والسينائية لا توجد بهما هذه الأعداد، وكذلك مخطوطات أخرى أقل أهمية منهما إلى جانب ذلك عدد كبير من الترجمات القديمة المعتمدة مثل السريانية والآرامية.

ومن يدقق الدراسة فإنه يدهش لما يبديه (ع٩) بخصوص مريم المجدلية كأنها ذكرت للمرة الأولى في الإصحاح لأنه يحاول التعريف بها في نفس الوقت الذي يذكرها في العدد الأول على أنها شخصية معروفة ولا تقل في ذلك عن مريم أم يعقوب وسلومة.

الثاني: أن العدد ٨ الذي يعتقد العلماء أنه نهاية الإنجيل لا يصلح أن يكون نهاية، فالترجمة الحرفية له تنتهي بكلمة (لأنه) ولا يعقل أن ينتهي كتاب هكذا، وليس ذلك فقط، بل كيف يمكن لمَرْقُص وهو الإنجيلي الذي يظهر رسالة الإنجيل في أول كتابه، وأن ملكوت قد جاء، ينهي هذا الكتاب نفسه بوصف حالة النساء بأنهن كن خائفات.؟

وعلى هذا الأساس ينتهي الدارسون إلى النتيجة المنطقية بأن الكاتب لم يترك إنجيله

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ١١٠

هكذا، لا بد وأنه كتب له نهاية ولكنها فقدت لسبب ما. إن كل شيء جائز إلا أن ينتهي الإنجيل بنهاية العدد الثامن.[١] والنهاية الموجودة بعد هذا العدد ليست في أقدم النسخ وأصحها، كل ما هناك هو أنها وجدت مؤخراً في نسخ أقل قيمة ومتأخرة في ترتيبها الزمني، كما أن أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل حتى إنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل. ولهذا فأمامنا أحد احتمالين:

إما أن يكون الكاتب قد مات قبل أن يتم كتابة إنجيله.

وإما أن تكون النسخة الأصلية للإنجيل قد بلى جزؤها الأخير.[٢]

ويقدم باركلي في نهاية شرحه للإنجيل احتمالاً ثالثاً، مبني على السابقين وهو أن يكون أحدهم قد لخص عمل الكنيسة وحياتها ووضع هذا الملخص ليكون بديلاً عن تلك الفقرة المبتورة، وكاتبها يعلم أن للكنيسة عملاً مهماً يجب أنْ يقوم به.

وهكذا نصل من كل هذه الإشارات إلى المزيد من الافتراضات والأوهام. فالأناجيل الثلاثة متى ومَرْقُص ويوحنا تعاني من مشاكل في خاتمتها، فمنها ما ضاعت نهايته، مثل مَرْقُص ومتى اللذان وضعت لهما نهاية غير النهاية الأصلية، أو إضافة نهاية بعد النهاية كما في يوحنا. فبأي حال يشغل رجال اللاهوت أنفسهم بخاتمة مَرْقُص، ألا يغني إنجيلي متى ولوقا عن هذا الإنجيل برمته؟ أم لا بد من إنجيل تحت اسم مرقص يكون منفذاً لمعرفة آراء ومواقف بطرس؟ وهكذا يدخل القوم في البحث عن الكاتب وفي أعينهم الوصول إلى بطرس رئيس الحواريين !

كاتب الإنجيل في التقليد القبطي

يكاد التقليد في الغرب والشرق يجمع على أن مَرْقُص هو مؤلف الإنجيل الثاني. ومع ذلك يدور الخلاف حول من هو مَرْقُص، وهناك الكثير من المعلومات التي تسردها المؤلفات الحديثة دون أن نعرف مصدرها الذي انطلقت منه، وتتعلق هذه المعلومات باسم مَرْقُص وزيارته لمصر ووجوده ضمن التلاميذ السبعين، وعلاقته ببطرس، فيؤكد التقليد أن له

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز صـ ٢٣٠ ، ٢٣١.

٢ - باركلي في مقدمة شرحه لإنجيل مرقص.

اسمين، يهودي ولاتيني.

فاسمه اليهودي الأول هو «يوحنا» ومعناه «الله تحنن» وأخذ اسم «مَرْقُص» اللاتيني بحكم البيئة والتعليم. إذ تربى في مدرسة كريني (القيروان) ودرس في مدارسها اليونانية. والاسم في اللاتينية يعني (المطرقة الثقيلة) وتدعى (المرزبة) وقد كان هذا الاسم بما يحمله من معنى سبباً في تحريك خيال أهل التقليد، فبدا لبعضهم أن سبب هذه التسمية يرجع إلى أن مَرْقُص قد مارس الشدة على الوثنيين في الإسكندرية. فقد انقض عليهم في عظاته بطرقات عنيفة مما أثار حفيظتهم وأربك علماءهم وألب عليه الشعب الوثني فلم يحتملوا طرقاته الهاوية على أصول ديانتهم الواهية.[1]

وإذ يعتقد التقليد القبطي بهذه القصة يتمسك البطاركة المصريون بحقهم في خلافتهم لمرقص. ويعتبر يوسابيوس أول مصدر يشير إلى علاقة مَرْقُص بكنيسة الإسكندرية، ولكنه يحكي هذا القول كالشائعة على هذا النحو: «ويقولون إن مَرْقُص هذا كان أول من أرسل إلى مصر، وإنه نادى بالإنجيل الذي كتبه وأسس الكنائس في الإسكندرية أولاً»

وإذ يتفق التقليد المصري على أن مجيء مرقص الإسكندرية حقيقة لا شائعة يختلف المؤرخون لهذا التقليد حول تاريخ هذا المجيء، فقد نسب أحد رهبان الكنيسة القبطية إلى يوسيفوس[2] القول بأنه جاء في السنة الثالثة لحكم كلوديوس، أي في سنة ٤٣ م.

ويشير يوسابيوس فيما بعد إلى إقامة إنيانوس أول أسقف لكنيسة الإسكندرية بعد القديس مَرْقُص الرسول سنة ٦٢ م فيقول: «وفي السنة الثامنة من ملك نيرون سلمت إلى أنيانوس إدارة أبرشية الإسكندرية خلفاً لمَرْقُص الإنجيلي»[3]

وأما مسز بوتشر فيحدد التاريخ بسنة ٤٥ م

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص /الأب متى المسكين ٢٣

٢ - واضح أن حشر اسم «يوسيفوس» هنا في غير محله، والعبارة منقولة من كتاب ألفه أحد الرهبان، ولو كانت صحيحة لغطت على كلام بابياس. ونحن نسجل الرأي كما نجده لا كما نعتقده!

٣ - فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية الكتابات اليونانية صـ ٣٤ تأليف إثناسيوس راهب من الكنيسة القبطية. الطبعة الأولى مطبعة دار نوبار شبرا

والبطريرك مكسيموس مظلوم سنة ٤٩م «وهو يقول إن القديس بطرس هو الذي أرسل مَرْقُص لمصر» ويتفق منسي يوحنا وفرنسيس العتر وابن كبر علي أنه جاء سنة ٥٥م والأب شينو سنة ٦٠ م

ويتفق أبو شاكر الراهب والأنبا إيسيذروس وحبيب جرجس وكامل صالح نخلة وإيريس حبيب المصري على أنه جاء سنة ٦١م»[١]

وكل هذه الآراء هي من قبيل التخمينات والرجم بالغيب. لأنها تقوم على احتمال مجيء مرقص إلى الإسكندرية، ولكن يشكك في هذا المجيء تجاهل أوريجانوس وأكليمندس وهما من آباء الإسكندرية الكبار.

ويضع التقليد القبطي مَرْقُص بين التلاميذ السبعين، ويستند في ذلك إلى ما ذكره «ساويرس بن المقفع (القرن العاشر) وقد تقبلت الكنيسة المصرية هذا التقليد ووضعت اسمه مع قائمة السبعين رسولاً باللغة القبطية عن الأصل اليوناني عن ابن كبر، كما يذكر العالم الكاثوليكي ابن الصليبي في تفسره لإنجيل مَرْقُص أن مَرْقُص دُعيَ للتلمذة برفقة السبعين رسولاً، وسمى الثيؤفورس أي حامل الإله، والكنيسة القبطية تدعوه بالمعلم والرسول وناظر الإله».[٢]

ولكن الأب متى المسكين يرى أن هذا التقليد أسبق من ساويرس بن المقفع، فقد «كان جيروم أول من ثبت تقليد الكنيسة الأولى أن مَرْقُص أسس كنيسة الإسكندرية، فكان أول أسقف عليها، الأمر الذي لم يذكره بابياس ولا إيرينئيوس ولا أكليمندس الإسكندري ولا أوريجانوس، وللأسف لا نجد أحداً من الآباء حتى نهاية القرن الخامس لا في الشرق ولا في الغرب قام بشرح إنجيل مَرْقُص، وحتى العظات المنسوبة للقديس جيروم الخاصة بهذا الإنجيل قد تبين أنها غير أصيلة وأنها ترجع إلى القرن السابع»[٣] أي بعد جيروم بثلاثة قرون !

ويعتبر تجاهل أكليمندس وأوريجانوس لتقليد مجيء مرقص إلى مصر ضربة قاضية على

---

١ - تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر أديب نجيب سلامة صـ ٢١ ط / دار الثقافة.

٢ - الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٢٨ ، ٢٩

٣ - السابق صـ ١٠٨

هذا التقليد. فقد أصبح شبح البطلان يخيم على هذه الروايات من داخلها ومن خارجها، من خارجها بتجاهل آباء الإسكندرية القدامى لها، ومن داخلها بالتناقض الحاصل بينها، فأمامنا ثلاث روايات مختلفة:

الرواية الأولى تقول: إن مَرْقُص أرسل إلى الإسكندرية بمفرده وأنه طاف بشوارعها. فاستاء من كثرة الشقاق بين المصريين واليونانيين بالإسكندرية، فجال في المدينة يتفقد أحوالها، حتى تقطع حذاؤه فتخلف عند إسكافي يدعى (أنيانوس) ليصلحه له، وبينما كان يقوم بهذا. وإذا بالمخراز ينفذ في يده فجهر الإسكافي وقال: «أيها الإله الواحد إيوس ثيؤس» فتفل مار مَرْقُص على الأرض وصنع طيناً وطلى به يد الرجل مستعيناً بالسيد المسيح فشفيت يده في الحال!

ثم سأله: كيف يعرف الله الواحد؟ فلم يجد جواباً يؤيد إدراكه بما نطق به، فشرح له الرسول ذلك وبين له سر التجسد، فآمن - حسب تلك الرواية - وأخذه إلى بيته، حيث وعظ الجميع فاعتمدوا. ثم رسم أنيانوس أسقفاً سنة ٦٢ م ومعه ثلاثة قساوسة وسبعة شمامسة.[(١)]

الرواية الثانية: تحكي أن بطرس أخذ زوجته مع مَرْقُص وقاموا برحلة إلى مصر للبشارة وافتقاد الجالية اليهودية الموجودة في بابليون مصر، والجالية الأخرى في الإسكندرية.

وهناك افتراض ثالث يقول: إن برنابا أخذ مَرْقُص ابن أخته وانحدر من قبرص نحو الإسكندرية وكرزا معاً في الإسكندرية. وقد انحدر مَرْقُص من قبرص إلى المدن الخمس في شمال أفريقيا، وركز كرازته في كيريني (القيروان) بالذات لأنه وطنه الأصلي، وبعدها كرز في المدن الخمس ومكث فيها سنتين اتجه عن طريق الساحل الشمالي إلى الإسكندرية، وكرز فيها وأسس الكنيسة ثم غادر الإسكندرية وأكمل أسفاره مع بولس وبقي معه في روما حتى استشهاده. ثم اتجه جنوباً إلى اكويلا أي فينيسيا ومنها إلى المدن الخمس للمرة الثانية، ثم الإسكندرية لثاني زيارة وفيها استشهد سنة ٦٨م [(٢)] كما يخمن أتباع هذا التقليد.

---

١ - موجز تاريخ المسيحية الأنبا ديوسقورس صـ ٧٧، ٧٨ ط / مكتبة المحبة.

٢ - الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٣٩ - ٤١

هذه الروايات الثلاث وإن كانت تجمع على مجيء مَرْقُص إلى الإسكندرية، إلا أنها تقوم على افتراضات رسمتها اعتبارات مختلفة، فالذين اعتبروا مَرْقُص ابن أخت برنابا، اخترعوا الرواية الثالثة، ولكن يعصف بهذا أن سفر الأعمال الذي اهتم بجانب كبير من أعمال برنابا لم يتعرض لهذه الرحلة لا من قريب ولا من بعيد. ومن قال إن مَرْقُص هو ابن بطرس، زعم أن والده أخذه في رحلة تبشيرية إلى الإسكندرية، غير أن اعتبار مرقص ابناً لبطرس ليس محل اتفاق، وكذلك التقليد الخاص بوجود اسمه في قائمة السبعين.

نهاية مرقص

ولنصل بك سريعاً إلى نهاية مرقص، إنها نهاية غامضة مثل نهاية إنجيله، وتبعا لتنقلاته الكثيرة يُفترض أن تكون نهايته قد تمت في روما، ولكن التقليد القبطي يتجاوز الخلاف حول زيارة أو عدم زيارة مرقص للإسكندرية بجعل الإسكندرية المكان الذي رقد فيه مَرْقُص، وإن كانت الكنيسة القبطية تؤمن بأن الجسد قد تعرض للسرقة بعد ذلك من قبل بعض التجار، وهي تقدم في هذا الصدد حكاية غريبة تقول «إن تجاراً من البندقية جاءوا ليلاً سنة ٨٢٨م واحتالوا على حرّاس الكنيسة واستولوا على الجسد الطاهر دون الرأس، واستودعوه في عامود رخام مفرغ، وحملوه وأقلعوا إلى فينيسيا حيث استقبلوه هناك استقبالاً مهيباً بصفته كاروز فينيسيا الأول الذي سلمهم الإيمان وعمدهم، وظلت البندقية أي فينيسيا تحت حماية شفيعها القديس مَرْقُص والأسد تحت رجليه، وليس البندقية فقط بل وكل إيطاليا تحتفظ للقديس مَرْقُص بكرامة كبيرة».[1]

وقد اعتبرت الرأس الطاهرة بمثابة الحضور الشخصي للقديس مَرْقُص، فكان الباباوات يزورون الرأس بعد رسامتهم، ويقدمون السجود والكرامة، وبعدها يُبدأ بالصلاة ورفع البخور أمام الرأس، ثم يُقرأ مقدمة الإنجيل للقديس مَرْقُص، ويُختم بالصلاة والتحليل: «ثم يحجب بينه وبين سائر الإكليروس ويأخذ الرأس المقدسة ويضعها في حجرة، ويُغيِّر من عليها الكسوة بكسوة جديدة من حرير، ثم يظهر للناس وهو في حجره، ليقبلوها واحداً

---

١ - السابق ص ٥١

واحداً حسب رتبهم، وبهذا يدعى البابا الجديد خليفة مار مَرْقُص، وكان الباباوات يعتبرون أنفسهم وارثين للكرسي المقدس لناظر الإله، والناطق بالإلهيات وحامل الإله. وهي كلها ألقاب مَرْقُص الإنجيلي بحسب التقليد»[١]

ولست في حاجة لنذكرك بأن هذه التقاليد تجاهلها أكليمندس وأوريجانوس أوسع آباء الإسكندرية القدامى نفوذاً، والراجح أنها وضعت في فترة متأخرة لتقوية مركز البابوية في مقابل وثيقة «هبة قسطنطين» التي اخترعها الكاثوليك إبان العصور الوسطى.

الأدلة التقليدية على أن مرقص هو كاتب الإنجيل

لا نعرف على وجه اليقين متى بدأ الآباء يبحثون عن أدلة على كاتب إنجيل مرقص، فما إن ظهر الإنجيل حتى بدأ أتباع التقليد في صياغة أدلتهم ما بين داخلية وخارجية على أن كاتب الإنجيل هو أحد تابعي بطرس، أو أحد تلاميذ المسيح السبعين.

أولاً: الأدلة الداخلية

ينظر التقليديون إلى الإنجيل على أنه يقدم الكثير لتأييد أن مَرْقُص هو كاتبه، وإذ لم يرد اسم مَرْقُص صراحة في الأناجيل اكتفى بعضهم بالقول: إنه كان تلميذاً لبطرس، وآخرون قالوا إن مرقص كان أحد التلاميذ السبعين.

ويقدم محررو دائرة المعارف الكتابية ما يعتبرونه بعض الحقائق المؤيدة ببعض الإشارات من الإنجيل، والتي تؤيد التقليد القائل بأن مَرْقُص أحد السبعين هو كاتب الإنجيل الثاني:

أ- إن التفاصيل الحية الواردة في الإنجيل لابد أنها جاءت عن شاهد عيان.

ب- يمكن فهم بعض التعبيرات المحيرة في قوائم الأسماء على أساس أنها ترجمة مَرْقُص لما جاء على لسان بطرس، كما في مَرْقُص (١: ٢٩)، فلعل بطرس قال: «وعدنا للمنزل ورافقنا يعقوب ويوحنا». وكذلك في مرْقُص (١: ٣٦) بالمقابلة مع وصف لوقا (لوقا ٤: ٤٢و٤٣)، مَرْقُص (٣: ١٦)، (١٣: ٣).

جـ- هناك فقرتان (مر٩: ٦، ١١: ٢١) تصفان فكر بطرس الشخصي، وبعض الفقرات

---

١ - السابق صـ ٥٢

تذكر أحداثاً قد لا يذكرها إلا بطرس، كما في مَرْقُص (١٤: ٣٧و٦٦-٧٢، ١٦: ٧، وكذلك ٧: ١٢-٢٣ في ضوء ما جاء في (أعمال ١٠: ١٥).

د- ترتيب الأسماء في مَرْقُص (٣: ١٧) يناسب وجهة نظر بطرس الجليلي، أكثر مما يناسب وجهة نظر مَرْقُص الذي كان من أورشليم: (الجليل – اليهودية – أورشليم – أدومية – صور – صيدا) إن هذه الإشارات البسيطة غير المتكلفة، لخير دليل على أن هذه لغة واحد رأى بعيني رأسه، ويتحدث عن مشاعره الشخصية.

هـ- ويكتب مَرْقُص – بصفة عامة، مثلما يكتب متى – من وجهة نظر ألاثني عشر، أكثر مما يكتب لوقا. كما أن مَرْقُص يكتب – أكثر مما يفعله متى – من وجهة نظر الثلاثة الذين كانوا أكثر التصاقاً بيسوع[1]

وواضح أن لغة مَرْقُص (في ٩: ١٤) هي لغة واحد من الثلاثة،[2] وقد تكون عبارة لوقا كذلك أيضاً، ولكنها ليست كذلك في متى، والمقارنة بين ما جاء في إنجيلي متى ومَرْقُص، وما جاء في إنجيل لوقا (٩: ٥١-١٨ :١٤) تدعم هذا الرأي.

هذا هو جانب مما يقدمه التقليد من أدلة داخلية على كاتب الإنجيل الثاني، وكما ترى فإنها إشارات تصيب القارئ أيا كان عقله بالدوار.

ثانياً: الأدلة الخارجية:

يمكن اعتبار شهادة الآباء موجزة في عنوان الإنجيل في أقدم المخطوطات، وهو: «الإنجيل بحسب مَرْقُص»، وهي تشير إلى الكاتب وليس إلى مصدر معلوماته، وإلا لكان من الضروري أن تكون «بحسب بطرس» وبجانب هذه المخطوطات يعتمد الدليل الخارجي على كتابات الآباء، وأهم من أشاروا في كتاباتهم إلى مَرْقُص:

بابياس (٦٠-١٣٠م):

وهو أقدم من قدم شهادة لكاتب إنجيل مَرْقُص، ولم يكن يتكلم عن معرفة شخصية، بل

١ – انظر مرقص ٥: ٣٧ مع مت ٩: ٣٢- حيث لا يشير متى بأي إشارة إلى الثلاثة

٢ – يقصدون بطرس

كان ينقل – حسب قوله – عن الكاهن المكرم (؟) ويعتقد أنه كان يتكلم عن يوحنا الشيخ، ومجمل شهادته أن مَرْقُص كان مترجماً لأقوال بطرس الرسول. ولكن العلماء الآن يشكون في صحة شهادة بابياس، بل منهم من يرى أنه ينبغي بكل بساطة التخلي عنها، لأنها تعتبر تأليفاً مزيفاً، وأصحاب هذا الاتجاه يعملون على التخلص من تلك العبارة التي ذكرها بابياس، ودون جدوى، لأنها ملأت الكتب وقد تناقلها الآباء في مؤلفاتهم القديمة، وهؤلاء الذين تناقلوها من الآباء هم أعمدة الكنيسة، وتستدعي الأمانة أن ننقل إليك جانباً من أقوالهم حول تلك الشهادة.

يوستينوس الشهيد : حوالي ١٦٥م

وهو ينقل عن بابياس ومجمل تعاليمه عن إنجيل مَرْقُص أنه مذكرات بطرس. ولم يذكر إنجيل مَرْقُص مباشرة، ولكنه تكلم عن معلومة لا توجد إلا في إنجيل مَرْقُص «ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد»[1] ولكنه لم ينسب هذا القول إلى مَرْقُص بل إلى مذكرات بطرس. [2]

إِيرِينيُوس أسقف ليون ١٣٠ –٢٠٠م

ينقل أيضاً عن بابياس، وقد «جاء ذكر إنجيل مَرْقُص في كتاباته عن الأناجيل، فبعد أن ذكر أن إنجيل القديس متى كُتب بينما كان القديسان بطرس وبولس يبشران بالإنجيل وينشئان كنيسة رومية (هكذا) وبعد أن استشهد كلاهما قام تلميذ بطرس والمترجم له لينقل لنا كتابة الأمور التي بشّر بها بطرس» [3]

أكليمندس السكندري (١٥٠ – ٢١٥م)

رغم انه لا يعترف بمجيء مرقص إلى الإسكندرية إلا أنه يقر بكتابته للإنجيل، وهو ينقل عن بابياس كذلك: «كانت المناسبة التي كتب فيها إنجيل مَرْقُص كما يلي: بعد أن كرز بطرس علناً بالكلمة في روما، ونادى بالإنجيل بالروح القدس، توسل كثيرون من

---

١ – مرقص ٣:١٧

٢ – الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـــ ٣٣

٣ – السابق صـــ ٣٣

الحاضرين لمَرْقُص كواحد من الذين تبعوا بطرس زمناً طويلاً ويذكر كل ما قاله، أن يدون لهم ما تكلم به بطرس. وبعد أن كتب مَرْقُص الإنجيل قدمه للذين كانوا قد توسلوا إليه. وعندما نما ذلك إلى علم بطرس لم يعترض عليه ولم يشجعه».

أوريجانوس السكندري (١٨٥ - ٢٥٤م)

وهو الآخر لا يقر بمجيء مرقص إلى الإسكندرية، ولكنه ينقل عن بابياس بلا حذر. «والإنجيل الثاني لمَرْقُص الذي كتبه تحت إرشاد بطرس الذي يقول عنه في رسالته الجامعة (مَرْقُص ابني) »[1].

ترتليان : من شمال أفريقيا (حوالي ٢٠٧م):

يتحدث عن سلطان الأناجيل الأربعة فيقول: إن اثنين منها كتبهما رسولان، والاثنين الآخرين كتبهما رفيقان للرسل، «بما فيهما ما نشره مَرْقُص، لأنه يمكن أن يعزى لبطرس الذي كان مَرْقُص مترجماً له».

يوسابيوس القيصري ٣٤٠م :

«ومع أن بطرس لم يشرع- لفرط التواضع – في كتابة إنجيل، فإنه مع هذا قد ذاع منذ البداية أن مَرْقُص- الذي كان قد أصبح من أتباعه الحميمين الملازمين له – قد سجل مذكرات بأحاديث بطرس عن أعمال يسوع».

و«في الحقيقة أن الذي يكتب هذا هو مَرْقُص، ولكن بطرس هو الذي يشهد، لأن كل ما في مَرْقُص أنما هي مذكرات أو تسجيلات لأقوال بطرس».

أيفانيوس : من قبرص (حوالي ٣٥٠م):

ذكر أنه «بعد متى مباشرة، إذ أصبح مَرْقُص من تابعي القديس بطرس في روما، أوكلت إليه كتابة إنجيل، وإذ أكمل عمله، أرسله القديس بطرس إلى مصر».

القديس جيروم (٣٤٢ - ٤٢٠م)

ذكر أن مَرْقُص هو أول أسقف على كنيسة الإسكندرية، وقد نقل شهادة بابياس بدون

---

١ - ١ بط ٥: ١٣ ويختلف مع أوريجانوس حول علاقة مرقص ببطرس الآباء قديماً وحديثاً، بالإضافة إلى سفر الأعمال الذي يربط مرقص ببولس وليس ببطرس.

حذر.[١] فقد شهد أن القديس مار مَرْقُص الرسول قام بتأسيس مدرسة الإسكندرية من أجل تثبيت الموعوظين الجدد على أساس راسخ، سواء هؤلاء الذين من أصل أممي أو من أصل يهودي، وكانت هذه المدرسة التعليمية مركزاً للدراسات المسيحية وللعلوم القدسية ومن أشهر علمائها بنتينوس وأكليمندس وأوريجانوس وديديموس الضرير»[٢] وليس ثمة سبب معقول يدعو إلى الشك في أن الإنجيل الثاني هو المشار إليه في كل هذه الأقوال.

الوثيقة الموراتورية.

«وهي جذاذة صغيرة، ترجع إلى حوالي ١٧٠م» وتقدم قائمة بأسفار العهد الجديد مع كلمة موجزة عن كل كاتب. وقد فُقِدَ ما جاء عن متى ومعظم ما جاء عن مَرْقُص، ولم يبق عن مَرْقُص سوى عبارة مقتضبة.

وقد طبعها ل. أ. موراتوري سنة ١٧٤٠م، وهي في أجزاء شديدة التلف من مخطوط يرجع تاريخه إلى القرن السابع أو الثامن في مكتبة أمبروزيان في ميلانو، وتحوي الأسفار المعروفة في روما في الفترة ١٧٠ – ١٩٠م وجملة الافتتاح جاءت ناقصة وهي تعني إنجيل مَرْقُص إذ أنها متبوعة بـ (**الإنجيل الثالث بحسب لوقا**) **وهي تقص نفس قصة بابياس أن الأشياء التي** قالها بطرس سجلها مَرْقُص»[٣]

فهذه الوثيقة بالإضافة إلى الأسماء المذكورة بعاليه، تمثل كنائس القرن الثاني والثالث والرابع، كما تمثل في الواقع كل ركن من أركان العالم الروماني. وواضح جداً أن الرأي الشائع هو أن مَرْقُص كتب إنجيله الذي أعطى فيه – أساساً– تعليم بطرس.

وممن دافعوا عن التقليد في العصر الحديث العالم رايزنفلد (١٩٥٤م) وهو عالم سويدي قدم دفاعه ضد النقد الذي يقول بتعدد المحررين لإنجيل مَرْقُص، في كتاب أسماه «التقليد

---

١ – الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ١٠٧

٢ – حياة وفكر كنيسة الآباء تأليف القس إثناسيوس فهمي جورج صـ ١٥٤ ط / دار الكتاب المسيحي وبنتينوس كان سابقاً على جيروم وقد مر علينا في الفصل السابق ذهابه إلى الهند. ولست في حاجة لنذكرك مرة أخرى بأن أكليمندس وأوريجانوس لم يتحدثا عن زيارة مرقص إلى الإسكندرية.

٣ – الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٣٣

والتحرير في إنجيل مَرْقُص» بمعنى أن كاتب الإنجيل هو الذي يقوم بتحريره حسب التقليد الموروث، مؤكداً أن مَرْقُص كتب إنجيله بأكمله مرة واحدة كاملة بنفسه، وأن ترتيب الإنجيل هو نتيجة رؤية مَرْقُص اللاهوتية.(١)

وكذلك كرانفيلد ألف كتابه في شرح إنجيل مَرْقُص سنة ١٩٥٩م ورفع مستوى إنجيل مَرْقُص في تقديمه للمسيح فأصبح على مستوى إنجيل يوحنا. (٢)

• مرقص والنقد الحديث

إنه ما من سفر من أسفار العهد الجديد إلا ويدور حول مؤلفه شقاق وجدال طويل. ولا يشذ عن هذه القاعدة مؤلف إنجيل مَرْقُص، غير أن الخلاف هنا متعدد الاتجاهات. فالتقليد يطرح دائماً اسم مَرْقُص كمؤلف لهذا الإنجيل، والمدارس النقدية تنفي ما يثبته التقليد، ومع ذيوع هذه المدارس وتشعبها إلا أنها لا تطرح بديلاً لَمَرْقُص، ولهذا يبقى التقليد تقليداً، ويبقى النقد نقداً، وبين هذا وذاك تمضي بارجة البحث اللاهوتي رافعة راية العجز عن القطع باسم مؤلف الإنجيل..

تبدأ الدراسات التقليدية - كما قلنا - بطرح اسم مَرْقُص، وسرعان ما تنتهي إلى أن مَرْقُص هو كاتب الإنجيل، وتأتي كلمة الدراسات النقدية لتنفي ما ابتدأ منه وما انتهى إليه التقليد. وتظل الإجابة التلقائية نفياً أو إثباتاً لكل فريق على طريقته التقليدية أو النقدية، فبينما الإنجيل مكتوب باليونانية تقترح الكنائس التقليدية دائماً اسم أحد أبناء الجالية اليهودية، إن محاولة تحديد اسم الكاتب بهذه الطريقة أشبه بمن يفحص بردية فرعونية محاولاً تحديد اسم كاتبها بالبحث فيما توفر لديه من سجلات أسماء أهل الصين.

ولهذا تجاهل كثيرون التقليد، وهم في ذلك طرائق شتى:

فمنهم من يرفض اسم مَرْقُص أصلاً.

ومنهم من يرفض إملاء بطرس له.

---

١ - السابق صـ ١٠٩

٢ - السابق صـ ١١٢ ، ١١٣

وهناك من لا يعنيهم اسم الكاتب كائناً من كان، والإنجيل في اعتقادهم[١] مثل كل أسطر الكتاب المقدس من إملاء الروح القدس، حيث «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» فمن هم أناس الله ﷻ ؟ أهم فلاسفة الإغريق أم الرسل العبرانيون ؟

إن قبلنا عرض كل دعوى في الإجابة على هذا السؤال وجدنا الهراطقة يدعون ما يدعيه التقليديون، والتقليديون يدعون ما يدعيه الهراطقة، ويحتاج المرء إلى ما يحمله على التصديق بأن هذا الشخص المجهول هو مختار من الله ﷻ دون ذاك. ونحن وإن اختلفنا في التفاصيل عن الدعوى التقليدية أو النقدية قد لا نستطيع أن نحيد في النهاية عن ذات النتيجة التي قيدت الإنجيل بخط مجهول. ولا يعني الوصول إلى هذه النتيجة – إن وصلنا إليها – التوقف عن البحث. بل ينبغي تكرار المحاولة، فقد نضيف ما يُبْنَي عليه في محاولات قادمة. وقد يُفتح في لحظة طريقٌ حسبناه مسدوداً قروناً طويلة.

مناقشة الأدلة الداخلية

لم تعد نسبة الإنجيل الثاني لمَرْقُص محل اتفاق، ورغم ذلك اعتاد التقليديون سرد إشارات مختلفة من الإنجيل. والإصرار على أنها تدل على أن الكاتب هو مَرْقُص. فالمؤلفات التقليدية مملوءة برموز هي في الواقع بعيدة عما نشير إليه، ويبدو أن الهدف منها هو إلحاق المشقة بمن يحاول معرفة الحقيقة والاقتناع بها، وإننا في سبيل الحقيقة سوف ننقل ما عز عليهم نقله من نصوص، وسنعمل على تحويل الإشارة إلى عبارة، وتحليل معني كل عبارة وتمحيص مضمونها، لنكشف عن قيمة الدليل.

إن ما سبق ونقلناه من إشارات يظن أتباع التقليد الكنسي أنها مستقاة من الإنجيل هي أمور عامة تصدق على مَرْقُص وعلى غير مَرْقُص، فلو وضعت اسماً غير مَرْقُص مع كل دليل منها ما كان الدليل بأقل ولا بأكثر مما هو عليه الآن، بل ربما كان من الأفضل فعل ذلك. ومن هنا تختلف هذه الأدلة من باحث إلى آخر، وما تجده عند باحث قد لا تجده لدى آخر، فباب الاجتهاد مفتوحٌ ليجتهد كل باحث كما يتراءى له ليصل في النهاية إلى النتيجة

---

١ – تفسير إنجيل مرقص هلال أمين موسى ط/ أوتوبرنت

المسلمة من التقليد، وأظنك تدرك عدم جدية هذه الأدلة بمجرد النظر فيها، فما قيمة أن يقول التقليد: إن التفاصيل الحية الواردة في الإنجيل لا بد أنها جاءت عن شاهد عيان إذ لم تحدد هذه التفاصيل اسم هذا الشاهد.

وإذا لم نعرف نحن كيف نميز بين التفاصيل الحية وغير الحية، وكيف نفهم التعبيرات المحيرة في قوائم الأسماء على أساس أنها ترجمة مَرْقُص أو غير مرقص، أو أنها لما جاء على لسان بطرس أو غير بطرس، التقليد يعطينا مثالاً بما جاء في العدد ٢٩ من الإصحاح الأول. فلعل بطرس قال: «وعدنا للمنزل ورافقنا يعقوب ويوحنا». وحاكاه مَرْقُص على هذا النحو: «ولما خرجوا من المجمع جاءوا للوقت إلى بيت سمعان وأندراوس مع يعقوب ويوحنا»[١] فهذا دليل على أن الكاتب ليس غير مَرْقُص. ولا تعليق عليه بأكثر من هذا !

والحق أن كل الأدلة الداخلية التي تساق إليك، هي على هذه الشاكلة، وليست بأفضل حالاً منها، بل هي في كل الأحيان إشارة عابرة، بل وخارجة عن الموضوع، مما يصيب المتتبع بالحيرة، ومن ثم يحاول الرجوع إلى أكثر من موضع، واضعاً في اعتباره احتمالية الأخطاء المطبعية، وفي النهاية لو قلت إن تلك أدلة، فيمكنك عندئذ الاحتجاج بعبارة واحدة على كل قضية، موجبة أم سالبة، كلية أم جزئية.

ومن الأمثلة قول مَرْقُص في العدد ٣٦ من الإصحاح الأول: «فتبعه سمعان والذين معه» فهذه العبارة عندما قارنها التقليديون مع وصف لوقا «ولما صار خرج وذهب إلى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم، فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأُخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا أرسلت»[٢]، اتضح لهم أن كاتب عبارة «فتبعه سمعان والذين معه» هو مَرْقُص تلميذ بطرس. لأنه حدد الجموع الذين ذهبوا إلى الخلاء ليفتشوا عنه، في حين لم يذكر لوقا اسم «سمعان بطرس» ولكن استخدام الضمائر نيابة عن تكرار الأسماء الظاهرة يعبر عن مهارة الكاتب، فمن تكون الجموع سوى أصحاب المسيح ؟ فهل اخترع الكاتب جديداً باستخدامه اسم بطرس محل الضمير ؟ أعتقد أن كل

---

١ مرقص (١ : ٢٩)

٢ - لوقا ٤ : ٤٢و٤٣

متذوق للغة سوف يفضل عبارة لوقا.

وكذلك يستدل أتباع التقليد بقول مَرْقُص «وجعل لسمعان اسم بطرس» على أن الكاتب هو مَرْقُص، مع أن هذا النص وارد في متى ١٠ : ٢، وفي لوقا ٦ : ١٤، فما الذي ينفرد به مَرْقُص حتى نخصه بهذا الاستنباط الغامض. وعلى أي اعتبار نقول إنه كاتب الإنجيل الثاني دون الأول أو الثالث؟

وقول الكاتب في الإصحاح الثالث عشر: «فأجاب يسوع وقال له أتنظر هذه الأبنية العظيمة، لا يترك حجرٌ على حجرٌ لا يُنقض». هذه الفقرة في متى ٢٤ : ١ — ٢ وفي لوقا ٢١ : ٥ —٦، وهي وإن اختلفت ترجماتها العربية أمامنا فلن يتغير المعنى ولا القصد منها، واختلاف الترجمة لا يدل على كاتب في إنجيل وعلى كاتب آخر في إنجيل آخر ؟

ومن ذلك أن بعض الفقرات تذكر أحداثاً قد لا يذكرها غير بطرس، وكأنه لم يكن يتبع المسيح سوى بطرس، ثم أين الأسس العامة التي يقاس عليها من فكر بطرس ؟ الغريب أنهم يستدلون بعبارات تتعلق ببطرس، بينما منها ما يقلل من مكانة بطرس: «لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين»[1] ومنها أنه ذكر المسيح بدعوة كان قد دعاها على شجرة التين «فتذكر بطرس وقال له يا سيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست» [2]

فهاتان الفقرتان من وجهة نظر التقليديين تصفان فكر بطرس، وهذا يعبر عن دليل مدى القصور في الفهم والاستنتاج، فكأنه لن يقدر كاتب أن يكتب مثل هذه العبارات سوى مَرْقُص، ولن يتذكر ما قاله المسيح بالأمس سوى بطرس.

وعلى كل الأحوال فالنص الأول يشير إلى أن بطرس لم يكن في وعيه، فهو يتحدث بالهذيان، مع أننا نلاحظ التناسب في كلامه. فهو يقول: «فلنصنع ثلاث مظال، واحدة للمسيح وواحدة لموسى وواحدة لإيليا» فهذا الترتيب والتنظيم في كلام بطرس هو أكبر دليل على أن الذي لا يعي ما يقول هو الكاتب وليس القائل.

وأما النص الثاني فهو دليل على عدم الأمانة في النقل. فالمسيح جاء ليعطى الأجسام الميتة

---

١ - مرقص ٩ : ٦

٢ - مرقص ١١: ٢١

الحياة، والعشب اليابس خضرته ونضارته، فما بالنا وهو يدعو على الأخضر ليجف، وهذا ينافي كون رسالته رسالة خير وبركة، وعليه فهو إنما يدعو لهذه الشجرة ولكل شجرة بإنتاج الثمر الوفير لمنفعة العباد، وهنا تظهر المعجزة التي تلتقي مع الهدف من الرسالة، ولكن القوم حسبوا جفاف التينة معجزة، فتشابهت المعجزة بفعل المفسدين في الأرض، وتحولت التينة الخضراء إلى شجرة يابسة.

ويمضي محررو دائرة المعارف الكتابية في ذكر الفقرات من الإنجيل التي تشير إلى مَرْقُص، وبالطبع من ورائه بطرس الرسول، فبعض الفقرات تذكر أحداثاً قد لا يذكرها في نظرهم سوى بطرس، «وقال لهم يسوع إن كلكم تشكون في هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف» [1]

وكما في مَرْقُص «وبينما كان بطرس في الدار أسفل، جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة، فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري، فأنكر قائلاً: لست أدري ولا أفهم ما تقولين، وخرج خارجاً إلى الدهليز، فصاح الديك، فرأته الجارية وابتدأت تقول للحاضرين إن هذا منهم، فأنكر أيضا وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس حقاً أنتم منهم لأنك جليلي أيضاً ولغتك تُشبه لغتهم، فابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولين عنه، وصاح الديك ثانية فتذكر بُطرس القول الذي قاله له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات، فلما تفكر به بكى» [2]

وهذا النص الذي سقناه بتمامه يدل على عكس ما ذهب إليه التقليديون، إذ هو لا يعبر عن فكر وإنما عن جبن بطرس، ذلك أنه رفض الاعتراف بالمسيح خشية على حياته، وكأن حياة المسيح هي أرخص من حياة بطرس. إلا إذا قالوا: إن المقبوض عليه ليس هو المسيح، أو إن القائل ليس بطرس. ولو تمسكوا بأن القائل هو بطرس فليس هذا بدليل على أن مَرْقُص هو الكاتب، إذ يجب في هذه الحالة أن يكون هو كاتب الأناجيل الأخرى، فالقصة موجودة في متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥ ، وفي لوقا ٢٢ : ٥٦ — ٦٢، وكذلك في يوحنا ١٨ : ١٥ — ١٨ و ٢٥

---

١ - مرقص ١٤ : ٣٧

٢ - ١٤ : ٦٦ — ٧٢

— ٢٧ ، فما الذي يمتاز به إنجيل مَرْقُص حتى جُعل دليلاً على اسمه في إنجيل دون الآخر؟.

ومن أدلتهم أيضاً أن ترتيب الأسماء في العدد ١٧ من الإصحاح الثالث من مَرْقُص يناسب وجهة نظر بطرس الجليلي، أكثر مما يناسب وجهة نظر مَرْقُص الذي كان من أورشليم، وكأنهم قد اتفقوا على أن مَرْقُص من أورشليم، وعلى أنه سمع الإنجيل من بطرس الجليلي، ولا تجد قوماً يتفقون على صحة الفروض كهؤلاء، وكل فرض يبني عليه الذي يليه، والفرض الأساسي الذي بنيت عليه كل الفروض هو فكر بطرس، فكلما وقعت عيونهم على فكرة في إنجيل مرقص قالوا: هذا يعبر عن فكر بطرس، فمن أين عرفوا فكر بطرس ؟

لقد قبلت إحدى رسالتي بطرس بصعوبة والأخرى وضعت دون أن تحظى بالموافقة عليها بعد أربعة قرون من موت بطرس. ولا زال كثيرون يطالبون بشطبها من بين أسفار العهد الجديد. وآخرون يتمنون أن لا يحدث ذلك حتى لا يفقدوا الدليل إلى فكر بطرس !

مناقشة الأدلة الخارجية:

لن تكون الأدلة الخارجية بأحسن حالاً من الأدلة الداخلية، ذلك أنها تجميع لأقوال الآباء من كل اتجاه، وكل هذه الأقوال لا تعدو أن تكون تخمينات، ولا فرق في التخمين بين أن يكون صادراً عن الآباء أو الأبناء، فالكل ينقل عن بابياس، وما بابياس إلا يوناني متواضع الثقافة والفهم، ألف كتبه الخمسة «تفسير كلمات الرب» دون أن يحدثنا فيها عن رؤيته لأحد رأى المسيح، ولم يصرح بأنه يعرف أياً من الإنجيليين الأربعة، لقد سمع عن أسماء بعض الأناجيل وربما رأى بعضاً آخر، فرأى أو سمع عن إنجيل متى العبراني، ولكنه لم يعرف الإنجيل الحالي، وسمع أن مرقص كان مترجماً لبطرس، ولا توجد دلائل على أنه كان يقصد كاتب الإنجيل الحالي، وقد كان بابياس أول من ذكر مَرْقُص، في كتبه الخمسة، وقد صلتنا أقواله عن طريق يوسابيوس في القرن الرابع، الذي سجل محتواها في كتابه «تاريخ الكنيسة» ثم ضاعت من بعده، ويبدو أنه واجه صعوبات في فهم عبارته، ولهذا نعته بالغباء، ولا زلنا إلى اليوم لا نعرف بابياس إلا من خلال تحليل يوسابيوس لكتاباته، فهل سمع بابياس من الرسل؟ وهل رأى مَرْقُص؟.

لا يتحدث بابياس عن معرفة شخصية، بل صرح بأنه كان ينقل عن الكاهن المكرم.(؟)

وهنا يخمن الآباء: من يكون الكاهن المكرم ؟ ويتوقف إيمان القوم على معرفة الكاهن المكرم، وتطمئن قلوبهم لا بالمعرفة وإنما بالإيمان بأن هذا المكرم كان يوحنا الشيخ، وبعضهم يركب دماغه ويصر على أنه كان الرسول، وليس في كتب بابياس ما يدل على ذلك، ولو اطلع يوسابيوس على ما يقطع الشك باليقين ما تركه دون تسجيل، إذ نلحظ أنه رجع إلى كتب بابياس لتحصيل أية معلومات تتعلق بالإنجيليين الأربعة، ولما عجز عن الخروج برأي قاطع نعته بالغباء، ومجمل كلامه أن مَرْقُص كان مترجماً لأقوال بطرس الرسول، وهذا هو الأساس لشهادة الآباء، وتبعاً لذلك تجتاز هذه الشهادة ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة بابياس.

الثانية: وتشمل الآباء بين بابياس ويوسابيوس:

الثالثة: وتشمل الآباء بعد يوسابيوس.

وفي المرحلة الثانية والثالثة فقد التقليد قيمته. فقد مات الرسل ودخلت المسيحية مرحلة جديدة بكل تفاصيلها. وفي الفترة من بابياس إلى يوسابيوس أسماء كثيرة نذكر منها:

١. يوستينوس الشهيد : حوالي ١٦٥م
٢. إيرينيُوس أسقف ليون ١٣٠ —٢٠٠م
٣. أكليمندس السكندري (١٥٠ — ٢١٥م)
٤. ترتليان : من شمال أفريقيا (حوالي ٢٠٧م):
٥. أوريجانوس السكندري (١٨٥ — ٢٥٤م)
٦. يوسابيوس القيصري: من قيصرية (حوالي ٣٢٥م):

فهؤلاء جميعاً ينقلون مباشرة من كتب بابياس، وبما أن بابياس هذا مقطوع الصلة بالرسل، فيبقى ما بعده مقطوع الصلة كذلك، فمهما تعلق الآباء بكلام هذا الرجل فلن يكونوا واصلين إلى الرسل، وإن ملأت سجلات أسمائهم مد البصر، سيظل الأمر في حدود التخمين في كل اتجاه.

وهناك آباء عاشوا بعد يوسابيوس ونذكر منهم:

- أيفانيوس : من قبرص (حوالي ٣٥٠م):

● **القديس جيروم (٣٤٢ – ٤٢٠م)**

وقد أحالهما يوسابيوس مع محبي الاطلاع إلى كتابات بابياس، وليسا أفضل حالاً من السابقين، وحال علماء اللاهوت الآن لن يكون بأفضل مما كانوا عليه بعد أو قبل يوسابيوس. فالكل يكرر قولاً قاله بابياس. ومن الواضح أن هذه المشكلة حيرت الكنيسة، وهي مسألة تقنعنا بأن الخلاف لم يكن من نتاج نقد حديث، بل يظهر لأي قارئ للأناجيل أيا كان القرن الذي يعيش فيه.

ونتيجة لضعف تقليد بابياس اهتزت مصداقية إنجيل مَرْقُص، وراح البعض يلومه على المحذوفات، والبعض على إهماله في ترك بعض الأجزاء، والبعض على عجزه في الحفاظ على التسلسل الزمني، والبعض على مبدأ الانتقاء غير العادي الذي انتهجه، وقد عالج التقليد هذه الأمور بطريقتين:

الأولى: الإدعاء بأن أصابع مرقص كانت قصيرة

فقد اخترع الآباء تقليداً يفسر لماذا لم يكن إنجيل مَرْقُص كافياً، فأرجعوا هذا التقليد إلى ما كان من دأب الذين ينسخون أسفار العهد الجديد قديماً أن يفتتحوها بمهاجمة ماركيون الهرطوقي، وقد وصل من هذه المقدمات وصف لإنجيل القديس مَرْقُص ضائع منه بعض سطوره الأولى ولكنه يستمر قائلاً: «مَرْقُص أعلن ... وكان يسمى ذا الإصبع الصغير، لأنه كان له إصبع قصير، وكان مترجماً ومفسراً لبطرس، وبعد موت بطرس كتب إنجيله في أماكن بإيطاليا»

ويوافق العالم المؤرخ هارناك على صحة هذه المقدمة ويحدد زمنها بسنة ١٦٠ –١٨٠ م ولكن بفحص هذه المقدمة يظهر أنها مأخوذة من قول بابياس، وهي تعطي معلومة جديدة وهي أن مَرْقُص كان له أصابع صغير، هذه المعلومة متأخرة تاريخياً نوعاً ما عن بابياس، وقد ذكرها هيبوليتس ولكن بسبب ذكرها في مقدمة من القرن الثاني موجه ضد ماركيون أصبحت ذات وزن تاريخي عالٍ»[١] وأصبحت معبرة عن الحكمة من صغر حجم إنجيل

---

١ – الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٣٢

مَرْقُص.

الثانية: نسبة الإنجيل إلى بطرس.

حيث من الواضح أن بابياس كان يقدر تقديراً كبيراً حجية إنجيل مَرْقُص، ويرد على مزاعم الناقدين ببساطة شديدة بقوله: إن إنجيل مَرْقُص ليس هو المصدر الأول للمعرفة عن المسيح، وإنما هو الثاني، وأن المصدر الأول هو تعليم بطرس، وعلى هذا فإن المحذوفات راجعة إلى أن إنجيل مَرْقُص هو في حقيقة أمره محصور في ذكريات بطرس الهرم، ومثل هذه الذكريات كانت إلى أبعد مدى غير منطقية، وهو ما يمكن تبينه من ذكريات الطفولة السريعة التقلب، والتي تكون على هيئة نوبات أحياناً تكون نابضة بالحيوية. وأحياناً أخرى تترك فترات طويلة منها خالية تماماً من أي ذكريات، ويقول التقليد إن مَرْقُص حصر نفسه في هذا المصدر بعينه»[١]

ولا يتفق المعاصرون على أن بابياس قد نجح في محاولته، بل يعتقد الأب متى المسكين أن بابياس قد قضى على مصداقية مَرْقُص دون أن يشعر لأنه «بقوله أن القديس مَرْقُص لم ير الرب ولا سمعه يكون قد ألغى كل مصداقية أقواله فيما يخص القديس مَرْقُص وإنجيله، هذا الموقف الذي تسبب في حجب قيمة إنجيل مَرْقُص عنا كل القرون السابقة» [٢]

ورغم ذلك قدم كثيرون من العلماء ما جاء في وثيقة بابياس على ما ذكره سفر الأعمال، فمن الواضح لمحرري دائرة المعارف الكتابية من أقوال بابياس، أن إنجيل مَرْقُص — في جوهره- هو لبطرس، فمَرْقُص يدعى تلميذاً وتابعاً ومترجماً لبطرس. ويرجع أوريجانوس في هذا الخصوص إلى قول بطرس: «مَرْقُص ابني». وكلمة «تلميذ» تفسر نفسها، وكذلك كلمة «تابع» التي لا تعنى مجرد رفيق في السفر، أما كلمة «مترجم» فأقل منهما وضوحاً، فيرى البعض أنها تعادل كلمة «مترجم» بمعناها المعروف، أي أن مَرْقُص إما ترجم أقوال بطرس الآرامية إلى اليونانية للمسيحيين الهيلينيين في أورشليم، أو أنه نقل أقوال بطرس

---

١ – التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) تأليف ر. ألان كول ترجمة نجيب إلياس برسوم صـ ٣٢ ط/ أولى – مطبعة سيوبرس

٢ – الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٣٦

اليونانية إلى اللغة اللاتينية للمسيحيين في رومية. ويرى البعض الآخر أنها تعني «مفسراً» أي أن مَرْقُص سجل كتابة ما علّم به بطرس شفاهاً.[١]

ولو عدنا إلى الوثيقة الموراتورية نجدها متهالكة، وغير واضحة، بل هي كما يقر العلماء كافة شديدة التلف، ويختفي منها اسم مَرْقُص تماماً، وهناك من يؤمن بأنها « نص محرف فيما يتصل بهذه المسألة وغير واضح، فقد فهمت عباراتها المتقطعة بصور مختلفة، ويرى زاهن أنها تعني: « ...في بعض الأحداث كان موجوداً، فقام بتسجيلها».

ويقول تشيز وآخرون: أن المعنى هو أن مَرْقُص — الذي يحتمل أنه هو الشخص الذي قد قالوا عنه أنه لم يكن ملازماً لبطرس باستمرار — كان حاضراً عند إلقاء بطرس لبعض أحاديثه فقام بتسجيلها.

ويعتقد «تشيز» أن العبارة التالية والتي تتعلق بلوقا تدعو إلى الاعتقاد بأن مَرْقُص ولوقا لم يريا «الرب»، ولكن لعل الذي كان في ذهن الكاتب هو بولس وليس مَرْقُص، ولكن هذا التفسير يضعف- إلى حد ما- من ارتباط مَرْقُص ببطرس.[٢] وهي مسألة تصر الكنائس التقليدية عليها بأي ثمن، مع أن آخرين أكثر تمسكاً اعتبروا مَرْقُص شاهد عيان.

إن كل ما نستطيع أن نتعلمه من هذه القائمة هو أنها كانت محاولة لإثبات ما هو متعارف عليه الآن، من أن مَرْقُص لم يكن هو بذاته شاهد عيان لغالبية الأحداث التي يسجلها، وإن كان من الممكن أن يكون كذلك بالنسبة لبعضها كما كانت تعتبر دفاعاً مألوفا عن دقة مَرْقُص، فهو يسجل الأحداث والأمور كما سمعها بالضبط أي أفعال يسوع، إن كاتب لائحة الأسفار هذه التي تعود إلى القرن الثاني للميلاد كان على أقل تقدير على وعي بالنقد الموجه ضد مَرْقُص، وقد أورد هذه المقولة كدفاع عنه».[٣]

وعلى كل الأحوال فهذه الوثيقة ترجع إلى كتب بابياس، وهي لا تضيف إلى التقليد أكثر من تكرار الفكرة التي أطلقها بابياس، ولهذا لم يحتج بها علماء كبار إذ وجدوها تفتح

---

١ – دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل مرقص)

٢ – دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل مرقص)

٣ – التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـــ ٣٦

النقد على مصراعيه على أكثر أسفار العهد الجديد، حيث لا توجد فيها بعض هذه الأسفار، فلو اعتبرنا ما هو موجود فيها صحيحاً، فيجب اعتبار ما لم يرد فيها هو خارج دائرة الصحة. ولكن التقليد يقتنع بالاعتبار الأول دون الثاني.

علاقة مَرْقُص ببطرس:

نأتي إلى مسألة علاقة مَرْقُص ببطرس، حيث يختلف علماء اللاهوت حولها إلى اتجاهين متضادين:

الاتجاه الأول: ينفي أن تكون لمَرْقُص أية صلة ببطرس. وقد ألف ادوارد شفيتزر شرحاً لإنجيل مَرْقُص ينفي فيه قطعاً أي صلة للقديس بطرس بإنجيل مَرْقُص، ويعطي أسباباً لذلك، إن أول اعتراض (بالبحث في إنجيل مَرْقُص) أنه لا يوجد هناك أي تقليد معين عن بطرس في إنجيل مَرْقُص.[1]

وعلى درب هذا الرجل كثيرون، اعتقدوا أن مَرْقُص ليس من فلسطين، وبالتالي يبعد أن يكون هو مَرْقُص ابن بطرس أو ابن أخت برنابا، فهؤلاء يرون «أن عائلة مَرْقُص قبلت الإيمان المسيحي أثناء وجودها بأورشليم وذلك في يوم الخمسين حينما حضر رؤوس العائلات عيد الفصح وتعوقوا ليوم الخمسين»[2] وحجتهم في ذلك ما جاء في أعمال الرسل:

«وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم»[3]

ولا شك أن نتيجة هذا الرأي رغم عدم وضوح أدلته هي في غاية الخطورة على الإنجيل الثاني، فإذا لم تساعد المعطيات المتاحة على حشر اسم مَرْقُص ضمن قائمة التلاميذ، فسوف تكون الخسارة من جهتين، وسوف يجد التقليد نفسه بين طرق كثيرة، ولكنها غير صالحة للسير عليها، «فماذا لو كانت الكنيسة هي التي صاغت الأناجيل؟ ألا يجوز أن تكون تلك الأناجيل صور لشخصية المسيح مفروضة عليها من الخارج؟ ولو كانت الصورة التي رسمتها الكنيسة للمسيح خاطئة هل في إمكانها أن تعيد رسم صورة أخرى؟.

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ١١٢ ، ١١٣

٢ - السابق صـ ٢٦

٣ - أعمال الرسل ٢ : ٥

يجيب على هذه الأسئلة ر. ألان كول بأن الأمر لو كان حقاً كذلك فإن وضعنا ولا شك ميئوساً منه، ولا يكون لنا أدنى رجاء في المسيح» [١]

ولعل أقسى المحن إقرار الإنسان وهو ما زال في الدنيا بخسارة الآخرة، وماذا يملك الإنسان لو لم يعش على التفاؤل والأمل.؟ وماذا يملك له الآخرون إن لم يتحر الصواب في باب الاعتقاد على الدوام.

الاتجاه الثاني: أن لمَرْقُص صلة ما ببطرس.

وأصحاب هذا الاتجاه ينقسمون إلى جماعات مختلفة في تحديد نوع وشكل هذه العلاقة. فجماعة رأوا أن مَرْقُص كان تابعاً لبطرس اعتماداً على تفسير بابياس. وهؤلاء فسروا كلمة «تابع» بتفسيرات مختلفة. وآخرون ظنوا أنه ابن بطرس، اعتماداً على ما جاء في رسالة بطرس الأولى «تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومَرْقُص ابني». [٢]

فهذا النص يظهر أن مَرْقُص هو ابن بطرس، حقيقة على رأي البعض أو بالتبني على رأي آخرين. وهؤلاء وأولئك يهللون فرحاً، فهم يودون لو حصلت لهم قناعة داخلية بموافقة بطرس على إنجيل من الأربعة، ومن هنا يعلق ناشد حنا على وجود اسم مَرْقُص في رسالة منسوبة إلى بطرس بما يفيد أن نصراً تحقق لعقيدتهم: «ما أعجب كلمة الله وارتباطها وتأييدها بعضها لبعض، ليس لبطرس شهادة ولبولس شهادة أخرى، ليس لرسول الختان شهادة ولرسول الأمم شهادة، ولكن شهادة واحدة بإرشاد الروح القدس الواحد» [٣]

ولكن - للأسف - أكثر علماء الغرب ينفون نسبة الرسالة الأولى إلى بطرس، ومن حججهم ما يلي:

١- إن لائحة موراتوري سنة ١٧٠م لا توجد فيها رسالة بطرس الأولى.

٢ - إن الرسالة لم ترد في العهد الجديد في الكنيسة السورية حتى عملت الطبعة

---

١ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـ ١٧

٢ - بطرس الأولى [٥ : ١٣]

٣ - رسالتا بطرس صـ ١٣ ، ١٤

السريانية للعهد الجديد والمعروفة باسم بيشيتو حوالي ٤٠٠م [١]

٣. كانت الرسالة أمام يوسابيوس وما احتج بها وهو يبحث علاقة مَرْقُص ببطرس، بل عارضها معارضة صريحة مقدماً عليها قول بابياس «إن مَرْقُص كان تابعاً لبطرس»

والحق إن دراسة العهد الجديد لا تؤيد ربط مَرْقُص ببطرس إطلاقاً. وهذا ما يعلنه سفر الأعمال حيث يتوزع مَرْقُص بين بولس وبرنابا على طول الطريق، ومن الواضح أنه في وقت كتابة سفر الأعمال كان هناك شخص اسمه (يوحنا) ويلقب بـ (مَرْقُص) سجل عنه لوقا بعض المعلومات: «ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مَرْقُص حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلّون».[٢] «ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعد ما كمّلا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مَرْقُص»[٣] «فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذي يدعى مَرْقُص».[٤] «فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. وبرنابا أخذ مَرْقُص وسافر في البحر إلى قبرص».[٥]

هذا ما يقدمه سفر الأعمال عن شخصية مَرْقُص، ولا يذكر سفر الأعمال ولا رسائل بولس أية علاقة تربط مَرْقُص ببطرس، ولا نستطيع أن نعثر على ما يؤكد أو حتى ينفي ما ذكره سفر الأعمال، فمرقص خادم لبولس[٦] وأحد العاملين معه.[٧] وهو ابن أخت برنابا كما جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسي «يسلم عليكم ارسترخس المأسور معي ومَرْقُص ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا. إن أتى إليكم فاقبلوه».[٨]

فمن هذا النص يظهر:

١- تفسير العهد الجديد (لباركلي) رسالة بطرس الأولى

٢ أعمال ١٢ : ١٢

٣ - أعمال ١٢ : ٢٥

٤ - أعمال ١٥ : ٣٧

٥ - أعمال ١٥ : ٣٩

٦ - الرسالة الثانية إلى تيموثاوس «خذ مَرْقُص واحضره معك لأنه نافع لي للخدمة» [٢تيموثاوس ٤ : ١١]

٧ - «ومَرْقُص وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي» [فليمون ١: ٢٤]

٨ - [٤ : ١٠، ١١]

- أن مَرْقُص هو ابن أخت برنابا.
- أنه كان رفيق بولس في سجنه.

وهناك من امتنع عن تحديد نوع العلاقة التي تربط مَرْقُص ببرنابا، فاكتفى محررو التفسير التطبيقي للعهد الجديد على ما يلي: «وكان برنابا ومَرْقُص أقرباء».

وعلى هذا التفسير لا يجب أن يكون بطرس متزوجاً بأخت برنابا، وعلى اعتبار أن مَرْقُص هو ابن أخت برنابا يجب أن تكون المختارة التي في بابل – حسب اجتهادات بعض المفسرين - هي زوجة بطرس وأخت برنابا. غير أن هذه الفكرة لا تظهر مطلقاً في أسفار العهد الجديد، ويأتي ظهور حماة بطرس مصابة بالحمى في إنجيل مَرْقُص دون أن يحدد لنا الكاتب أنها جدته دليل على أمرين:

- إما أن الكاتب ليس ابن بطرس.
- وإما أن هذه المرأة ليست جدته.

ونفي أحد الاعتبارين ينفي معه الآخر، لأن المسيحية كانت قد ألغت التعدد. بالتأكيد كانت هناك آراء كثيرة ضاعت بضياع مصادرها، ولكن من بداية القرن الثاني تكثر الأسماء، ويكثر الإدعاء بأن هؤلاء تتلمذوا على يد الرسل، فهل كان الناس لا يكتبون وأصبحوا بداية من القرن الثاني يكتبون ؟ تلجأ الكنيسة لسد تلك الثغرة الواسعة إلى فكرة التقليد الشفهي، ولكن التقليد الشفوي الذي سجله بابياس يتجاهل ما ذكره سفر الأعمال ورسائل بولس عن شخصية مَرْقُص، ويكتفي بإضافة عبارة متناقضة مع سفر الأعمال والرسائل معاً، وقد اطلع الآباء على تفسير بابياس وعلى سفر الأعمال والرسائل، ولم يحتج يوسابيوس بما جاء في رسالة بطرس من إلحاق نسب مرقص إليه، وربما يرجع ذلك إلى أن الرسالة كانت لا تزال محل نزاع في عهده، وإن كان قد عدها ضمن الأسفار المقبولة بخلاف الرسالة الثانية[1] إلا أن الكنيسة السورية القريبة من قيصرية بلد يوسابيوس لم تكن قد قبلتها بعد. ولقد تملكت يوسابيوس غيرة عميقة في الدفاع عن الإنجيل، وحاول أن يرسم صورة باهرة لكيفية ظهوره

---

١ - تاريخ الكنيسة يوسابيوس صـ ١٥٢

فقال: «وأضاء جلال التقوى عقول سامعي بطرس لدرجة أنهم لم يكتفوا بأن يسمعوا مرة واحدة فقط، ولم يقنعوا بتعاليم الإنجيل الإلهي غير المكتوبة، بل توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مَرْقُص أحد تابعي بطرس، والذي لا يزال إنجيله بين أيدينا، لكي يترك لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التي سبق أن وصلتهم شفوياً، ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل، وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم مَرْقُص.

ويضيف يوسابيوس: ويقولون إن بطرس عندما علم بوحي من الروح بما حدث، سرته غيرة هؤلاء الناس، ونال السفر موافقته لاستعماله في الكنائس، وقد أيد هذه الرواية أكليمندس في الكتاب الثامن من مؤلفه «وصف المناظر» واتفق معه أيضاً أسقف هيرابوليس المسمى بابياس».[١] ثم ينتقل يوسابيوس إلى بيانات أخرى عن كلمات (الرب) التي دونها بابياس على عهدة أريستون، وتقاليد مسلمة من القس يوحنا محيلاً إليها محبي الاطلاع في عصره، على أنه يضيف لكلماته السابق اقتباسها ذلك التقليد الذي يقدمه عن مَرْقُص كاتب الإنجيل في الكلمات الآتية:

«هذا ما يقوله القس أيضاً: إن مَرْقُص إذ كان هو اللسان الناطق لبطرس كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله، لأنه لا سمع للرب ولا اتبعه، ولكنه فيما بعد – كما قلت – اتبع بطرس الذي جعل تعاليمه مطابقة لاحتياجات سامعيه، دون أن يقصد بأن يجعل أحاديث الرب مرتبطة ببعضها، ولذلك لم يرتكب أي خطأ إذ كتب على هذا الوجه – ما تذكره – لأنه كان يحرص على أمر واحد، أن لا يحذف شيئاً مما سمعه، وأن لا يقرر أي شيء خطأ» هذا ما دونه بابياس عن مَرْقُص.[٢]

وعدم تعليق يوسابيوس على هذا الكلام يفيد بأنه لم يقر بخطأ مَرْقُص بهذا التقصير في التدوين، وبهذا نعلم يقيناً أن إنجيل مَرْقُص قد دون قبل إنجيلي متى ولوقا، لأنه بظهور متى ولوقا وما أضافاه من أحداث في ميلاد وأقوال وأعمال المسيح قد شككا دون قصد في استيعاب مَرْقُص لقصة المسيح، وهنا ثار السؤال: لماذا ترك مَرْقُص هذه المعلومات دون

---

١ السابق صـ ٨٨ ، ٨٩

٢ السابق صـ ١٧٧ ، ٧٨

تدوين ؟ رأى بابياس أن مَرْقُص لم يرتكب أي خطأ إذ كتب على هذا الوجه، وبعد قرنين أيده على ذلك يوسابيوس. وواضح من كلامهما أن مَرْقُص لم ير المسيح ولا سمعه ولا تبعه.

ولكن كثيرين من الذين لا يقتنعون بصلة مَرْقُص ببطرس يتشبثون بكون مَرْقُص هو أحد تلاميذ المسيح، فهو صاحب العلية، بل وصاحب ضيعة جتسيماني، وما أدراك ما ضيعة جتسيماني ! يقول أسقف كليفتون: «إن بداخل إنجيل مَرْقُص ما يؤيد أنه كتبه شاهد عيان لأعمال المسيح» (١)

غير أن صفات مَرْقُص في وثائق بابياس تكشف جانباً من شخصية مخالفة لكل ذلك، فهو:

- لم يسمع المسيح ولا اتبعه.
- وهو أحد تابعي بطرس. أو اللسان الناطق لبطرس
- كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله.
- بطرس علم بوحي من الروح بما حدث، سرته غيرة هؤلاء الناس، ونال السفر موافقته لاستعماله في الكنائس

ويبدو أن يوسابيوس فحص هذه المسألة بأقصى طاقته، ولكنه لم يستطع أن يقول بما في رسالة بطرس، من أن مَرْقُص هو ابن بطرس، وتجاهل عشرات النصوص الواردة في سفر الأعمال ورسائل بولس عن علاقة مَرْقُص ببولس وليس ببطرس، وأصبحت النصوص المقدسة لديه في الموضوع هي كتب بابياس، والملفت أنه لم يجرؤ على الزعم بأن مَرْقُص كان شاهد عيان، أو أحد التلاميذ السبعين أو صاحب العلية، أو غير ذلك، لأنه لم يجد ما يؤيد فرضاً من هذه الافتراضات، ولم يقدم سفر الأعمال أية معلومات تفيد أن مَرْقُص كان شاهد عيان، رغم حرصه على التعريف به، ولكنه جعله تابعاً لبولس، ولم يبرر انفصاله عن بطرس إن كان هو نفسه المذكور في رسالة بطرس الأولى، وخاصة أننا نعلم بمدى العداوة التي كانت تسود بين بطرس وبولس، كما يظهر من رسائل بولس نفسها.

ولقد كان أمام يوسابيوس أكثر من حل يجنبه سرد المعلومات المتعلقة بمَرْقُص وبطرس

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٣١

على هذا النحو، ولكنه اختار اجتهاد بابياس، محتجاً بكونه أحد الأقدمين، في حين أن نصوص العهد الجديد كافة تظهر أنه كان تابعاً لبولس وليس لبطرس. وجعله تابعاً لبطرس ألحق التقصير ببطرس، لأنه علم بالروح بالإنجيل ولم يكمله بما ينقصه من معلومات استدركها عليه متى ولوقا ويوحنا. بالإضافة إلى ذلك فإن مَرْقُص لم ينفرد عن إنجيلي متى ولوقا بأية معلومة ذات قيمة، غير أن عصر يوسابيوس لم يكن ليسمح له بأن يجرؤ على الجهر بهذه الحقيقة، ولم يكن في استطاعته أكثر من أن يدافع عن تقليد بابياس، وأن يستقيم في طابور المتاجرين باسم بطرس، كل هذا حتى يتجنب السير في أي اتجاه يخرجه عن فكر بابياس.

نتيجة الخلاف

أظنك الآن قد تعبت ولا مانع أن تكون سئمت من عرض وتحليل وجهة نظر من يصل ومن يقطع مَرْقُص عن بطرس، والاتجاهان في النهاية يعملان معاً على ربط الإنجيل بالمسيح بجعل كاتبه تلميذاً للمسح أو لبطرس. وفي الحالة الأخيرة يكون بطرس قد أقر بما في متى ولوقا بإقراره لما جاء مثلهما في إنجيل مَرْقُص، ويحكي يوسابيوس أن بطرس قد علم بالإنجيل عن طريق الروح القدس، وأنه سر لهذا الصنيع، ولكنه لم يأمره ولم ينه، وهذا الموقف يقلل من قيمة الإنجيل، فكأن حفظ كلام الله مسألة لا تستحق أمراً ولا نهياً. «ورغم وجود الأناجيل الأربعة ورغم اهتمام هذه الأناجيل الأربعة بشخص المسيح إلا أن الكنيسة لا زالت عاجزة عن تحصيل معارف محددة عن المسيح، إننا اليوم نحاول أن ننبش تلك الأناجيل والوثائق القديمة بحثاً عن تعاليم المسيح الحقيقية. وأمام الأبحاث النقدية خرج إنجيل مَرْقُص من القرن التاسع عشر خالياً من أي علاقة لبطرس»[١] وقد يكون من المشروع لنا أن نسأل هذا السؤال: ما النتيجة التي تترتب على قطع العلاقة بين مَرْقُص وبطرس ؟

إن النتيجة المنطقية لذلك هي قطع المسيحية اليونانية التي يمثلها بولس عن اليهودية التي يمثلها بطرس، والآباء اليونانيين الذين يمثلهم بابياس وبوليكاربوس وإيرينيوس عن

---

١ - السابق صـ ١٠٩

الحواريين ألاثني عشر. ويبقى على المسيحيين اليوم أن يختاروا بين الختان واللا ختان. وأما السبب الذي حشر الكنيسة في هذه الزاوية هو أنها وجدت نفسها بين موقفين، كلاهما أصعب من الآخر:

فلو حاولت نسبة الأناجيل إلى المسيح أو رسله اصطدمت بحقيقة أن هذه الأناجيل مدونة بغير لغة المسيح. ولو حاولت نسبتها إلى كتابها اليونانيين اصطدمت بصعوبة ربطهم بالحركة العبرية في فلسطين.

وهكذا تكون نسبة الأناجيل إلى العبرانيين غير مقبولة، ونسبتها إلى اليونانيين غير مقبولة كذلك، وهنا وتبعاً لتفكير الآباء كان لا بد أن يأتي الإعلان عن كاتبي الأناجيل بطريقة مرحلية غير واضحة، تبدأ بجلسات جدل ومناظرات يبرز فيها اسم بابياس. ويتعمق الخلاف لينتحي فريق ويقرر عهدة موراتوري نهاية القرن الثاني، وبعد ذلك تتكفل المجامع بتصفية كل خلاف.

لقد بدأت قصة المسيح تظهر هنا وهناك، حتى ظهرت الأناجيل، وأصبحت هي شهادة الكنيسة للمسيحية العاملة تحت لواء الروح القدس، «والذي بسيطرته على الجماعة المسيحية استبعد تماماً تلك المجموعة الضخمة المتنافرة من التقليد غير القانوني الشفهي منه والمكتوب»[١] ولا ندري إن كانت سمة تلك الفترة أن تظهر الأناجيل وعليها اسم المؤلفين التي سرعان ما تختفي لأغراض كثيرة، أو تظهر وهي مجهولة المؤلفين، وفي كلا الحالتين لا نشك في أن إخفاء اسم الكاتب هو دائماً شأن الأعمال المزورة، وإذا كان كل عمل تظهر عليه بصمة صاحبه فإن إنجيل مَرْقُص خلا من كافة الدلالات التي تدل على كاتبه، و«يصف العلماء إنجيل القديس مَرْقُص بصفة العمل الذي لا تبرز فيه شخصية كاتبه، فهو يخفي شخصيته تماماً، ويتمادى في ذلك حتى إنه لم يوجه ولا مرة واحدة الكلام للقارئ، كما صنع القديس لوقا في مقدمة إنجيله، وكما صنع القديس يوحنا في ختام إنجيله، بل ولم يلمح قط في أي موقف من المواقف أنه كان حاضرًا أو سامعاً، والمرة الوحيدة التي يستشف —

---

١ – التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـ ١٦

الأب متى المسكين - منها أنه لمح عن نفسه كموجود هي في (١٤ : ٥١) غير أنه يقر بصعوبة إدراك ذلك إلا على قارئ ذي إلهام وبصيرة.

كما لا يذكر مَرْقُص أي شخصية كان على اتصال بها، أو حتى يلمِّح عن أي مصدر التجأ إليه في تدوين إنجيله. وأما سبب ذلك كله فيرجعه الأب متى المسكين إلى أنه لا يفترض في نفسه ولا في قارئه أن يشك فيما يكتب.

ويقول العالم (جوانس وايز) إنه يصعب على القارئ المدقق أن يشعر فيما يخص إنجيل القديس مَرْقُص، وما يخص صاحبه أيضاً أنه كان محمولاً على التقليد الثابت في الكنيسة. وأنه كان مدفوعاً بالروح ليقول ويسجل ويعلم ويختم على كلام الله، وكأن مَرْقُص نفسه جزء حي في الإنجيل لا يمكن فصله عن إنجيله، لذا لا يشعر القارئ أن مَرْقُص يكتب ليكسب للمسيح أو ليقنعه بما يقول، فلسان حاله في سرد الواقعة أو القصة كقصة قائد المئة أنه إن كنت تشك في ذلك فاذهب لقائد المئة واسأله، أو إن كنت تشك في قيامة الرب اذهب وعاين القبر الفارغ أو حقق مع التلاميذ والخمسمائة شاهد» [1]

هذه التعليلات هي منتهى ما يمكن أن يصلوا إليه من حجج تبرر عدم تسجيل مَرْقُص لاسمه، وإخفاء شخصيته، وهي باختصار تضحية بقيمة الأمانة من أجل التواضع. فالأمانة تفرض على كل كاتب أن يسجل اسمه، والتواضع وهضم النفس يفتح له باباً لإخفاء اسمه، وبهذا حمل مَرْقُص الأمانة وأداها وهو لا يريد أن يعرف الناس من هو الذي قدم لهم تلك الأمانة. ولكن لماذا لا يكون الإنسان أميناً ويكون في الوقت نفسه متواضعاً، فهو يكتب وحي الله ﷻ، لا قصة عادية، وهل كان يعتقد أن يلقى كتابه قبولاً وهو مجهول المؤلف؟

والغريب بعد كل هذا العناء في سبيل الاعتراف بإنجيل مَرْقُص أن حرارة التأييد له بدأت تبرد شيئاً فشيئاً، فما إن اعترفت الكنيسة به كسفر مقدس بين أسفار العهد الجديد، حتى نحته جانبا بل وأحجمت عن استعماله في العبادة والقراءات الكنسية. والحجة في كل ذلك أن ما فيه من مادة مسجل في إنجيلي متى ولوقا، وتبعاً لهذا يمكن الاستغناء عنه، وإن كان

---

١ الإنجيل بحسب القديس مرقس / الأب متى المسكين صـ ٥٨

هو لا يغني عن أيٍ منهما.

ويبدو أن هذا يرجع إلى أن الكنيسة قبلت إنجيل مَرْقُص أول ما قبلت، ولما وجدت المجموعات المسيحية أن الأناجيل الثلاثة لم تستوعب ما توفر لديها من مادة قصصية لحياة المسيح، سعت إلى إنجاز إنجيل رابع، ولكنها حرصت على عدم تكرار شيء دونه الإنجيليون الثلاثة من قبل، ومن هنا ظهر الإنجيل الرابع فريداً في معلوماته وطريقة عرضه. ومحاولاً الإجابة على غزارة ما في حياة يسوع من حكم وعبر ومعجزات، حتى لقد زعم الكاتب أنها لو سجلت واحدة واحدةُ فإن العالم لن يسع المكتوب. وبدخول هذا الإنجيل دائرة التقديس بدأت مكانة إنجيل مَرْقُص تتأخر شيئاً فشيئاً، ولا يزال هذا شأنه إلى يومنا هذا. يدور بين صعود وهبوط، وطلوع ونزول، ويلخص الأب متى المسكين حاله ابتداءً من عصر الآباء وحتى يومنا هذا فيقول: «بات إنجيل مَرْقُص من بعد عصر الآباء مجهول القيمة، إذ صارت الفكرة الشائعة عنه طوال العصور الوسطى — وهي التي ابتدرها القديس أغسطينوس ومن بعده إيسيذورس أنه منقول من إنجيل متى، بل ويعتبر مجرد تلخيص له، وقد كان لإيسيذورس هذا (٥٦٠ - ٦٨٠م) التأثير الأكبر على العصور الوسطى اللاحقة له. واستمرت هذه الفكرة عند بداية قيام الدراسات النقدية الحديثة في القرن الثامن عشر إذ نجد العلماء لا يزالون متأثرين بها، ويعتبرون إنجيل مَرْقُص منقولاً من إنجيل متى».

وفي سنة ١٨٦٣م دافع هولتزمان بشدة عن صحة إنجيل مَرْقُص، وأهم ما سجله في ذلك أنه أثبت أن إنجيل مَرْقُص وثيقة أصلية، وعلى أساسها كتبت بقية الأناجيل، وبهذا يكون أول من وضع إنجيل مَرْقُص في موضعه الصحيح كأقدم وثيقة مسيحية، وهكذا سجل لتقليد الكنيسة الأولى أعظم شهادة.

ويشهد العلامة الألماني الآخر ألبرت شفيتزر لهولتزمان فيقول «لقد أظهر هولتزمان هذه المهارة العجيبة في كيفية استخلاص هذه النظرية التي فرضت نفسها على روح العصر كله في الستينات»

ويعلق الأب متى المسكين: «وهكذا بدأ يدخل إنجيل مَرْقُص في معمعة النقد برأس مرفوعة بسب نظرية هولتزمان هذه بعد مئات السنين من الإهمال والتجاهل حتى من أعظم

آباء الكنيسة في القرون الأولى» [١]

وعلاوة على ذلك يأخذ الأب متى المسكين على الكنيسة الكاثوليكية تأخرها في رد اعتبار إنجيل مَرْقُص، ففي سنة ١٩٦٩م فقط «زادت الكنيسة في ليتورجيتها عدد القراءات من إنجيل مَرْقُص في أيام الآحاد، وأيام الأسابيع والأعياد في جدول القراءات الكنسية الجديد، ذلك بعد خمس سنوات، دراسة وتحضير والاستعانة بكثير جداً من المراجع الليتورجية والتعليمية والإنجيلية بالإضافة إلى ٦٦٠٠ صفحة نقدية أرسلت إلى اللجنة من كافة أنحاء العالم، واستجابت اللجنة في مجمع الفاتيكان الثاني، لتعديل دستور القراءات الكنسية» ويضيف الأب متى المسكين: «لأن إنجيل مَرْقُص كان قد أهمل بشدة في جدول القراءات، فكانت قراءته لا تزيد عن ١٥ مرة فقط في قراءات القداس على مدار السنة» [٢].

وهكذا عاش إنجيل مَرْقُص على مدى القرون السابقة يتردد بين العلو والتدني، والتقريب والتنحي، وهذا ولا شك ثمن التسرع في اعتماده قبل التأكد من استيعابه لأحداث قصة المسيح عليه السلام فلو تريثت الكنيسة لكان ذلك أجدى، فلا شك في أن كل مسيحي يتمنى اليوم لو أن كنيسته كانت قد اعترفت بإنجيل واحد، أو صاغت أناجيلها الأربعة في إنجيل واحد، وإذاً لجنبته حالات الإرباك والحرج النفسي.

لقد كان نتيجة هذا التصرف غير الواعِي في البداية أن صار الإنجيل مجهول القيمة، واستغني عنه باعتباره مختصراً لإنجيل متى وتلخيصاً له، والغريب أن رائد هذا الاتجاه هو القديس أوغسطين أوسع آباء الكنيسة نفوذاً في عصره وبعد عصره، فقد استوقفه كون الكاتب من العوام أو من متوسطي الثقافة، فلم يكن من الأدباء الذين يجيدون صياغة الفكرة كـ«لوقا» ولا هو كذلك من العلماء الذين يربطون القديم بالجديد، ولا الإنجيل بالتوراة كـ«متى» ولا توجد إشارة صريحة إلى أنه كان تلميذاً ليسوع، أو أنه كان شاهد عيان لما سجله، بل إن عبارة بابياس تؤكد عكس ذلك.

والحق أن إنجيل مَرْقُص شكل أولى المحاولات لتسجيل قصة للمسيح، ولهذا أثره على

---

١ - السابق صـ ١٠٨ ، ١٠٩

٢ - السابق صـ ١١٤

شكل وموضوع الإنجيل، فدائماً التجارب الأولى لا تصل إلى الوضع المطلوب، ويعتبر الكاتب أول من تلقى المعلومات التي روجها اليهود حول نهاية المسيح، ويكفي أنه اخترع طريقة لربط المعجزات بتلك الخاتمة وافقه عليها متى ولوقا، وخالفه يوحنا بإرجاعه سبب تفكير اليهود في التخلص من المسيح إلى إحياء لعازر.

والحق أن اعتبار مرقص ملخصاً لإنجيل متى فكرة غير منطقية وغير واقعية، فعدم واقعيتها يرجع إلى ما نجده من نصوص في إنجيل مَرْقُص لا نجدها إلا في إنجيل لوقا، فلو ضم إنجيل لوقا إلى إنجيل متى لصح اعتبار إنجيل مَرْقُص من حيث الشكل تلخيصاً لهما معاً، وأما من حيث المنطق فقد رأت المدارس النقدية رأيها بتحليل مضمون الأناجيل الثلاثة، فانعكست نظرية أوغسطين وإيسيذورس الذي عاصر قيام الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب، وبداية الفتح الإسلامي حتى وصوله إلى أوربا الغربية.

وهكذا يختلف العلماء في كل شيء يتعلق بالإنجيل، وكل ما سقناه من معلومات مستقاة من تحليل لغة الإنجيل لا تقدم ولا تؤخر في معرفة اسم الكاتب، وماذا يفيدنا الآن وإن حصلنا على بصمة الأصابع القصيرة، أو اللسان اليوناني، طالما ليس لدينا معرفة بأصحاب ملايين البصمات لنكتشف أياً منها الكاتب.

الفصل الرابع
لوقا..
بين التقليد والنقد الحديث

لم يأت الإنجيل الثالث من فراغ، لا بد أن شخصاً قد كتبه، في زمان ما، في مكان ما، إلى شخص أو جهة ما، وقد عرفنا اسم صاحب السعادة المكتوب إليه، «ثاؤفيلس» لكننا لم نهتد إلى خيط للتعرف على شخصية هذا العزيز، ومع ذلك استمرت البحوث: تارة تطرح فروضاً، وأخرى ترجح تخمينات.

ومع غياب اسم المؤلف واحتفائه بصاحب السعادة، إلا أنه لم يفصح عن الزمان والمكان الذي كان يكتب منه أو إليه، وهكذا لم يكن الكاتب بأسعد حالاً من المكتوب إليه، فأصبح مجالاً رحباً يتمارى فيه أساتذة اللاهوت وغير اللاهوت، وكلما تعمقت دراساتهم في التحليل ازدادت غموضاً، وبدا بعيداً ما كان منها قريباً، وتغالبت التخمينات والترجيحات، وآثر كثيرون إرجاع الأمر إلى الله ﷻ.

مكان كتابة الإنجيل

وإن يعجز التقليد عن تحديد مكان كتابة الإنجيل، فإنه يتشبث بتحديد موطن الكاتب. وانطلاقاً من ذلك يخمنون مجهول على غير معلوم، وتبدأ التخمينات بإنطاكية. حيث يقول يوسابيوس: «أما لوقا الذي كان من أبوين أنطاكيين. والذي كان يمتهن الطب. والذي كان صديقاً حميماً لبولس، ومعروفاً من سائر الرسل،[١] فقد ترك لنا في سفرين قانونيين براهين على موهبة الشفاء الروحي التي تعلمها منهم، أما أحد هذين السفرين فهو الإنجيل الذي يشهد بأنه قد كتبه كما سلمه إليه الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، والذين قد تتبعهم من الأول بالتدقيق كما يقول»[٢]

ولم يكن يوسابيوس أول من افترض إنطاكية، ففي مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما بين سنة ١٦٠ – ١٨٠م «ضد ماركيون» يقول الكاتب عن لوقا: «إنه من إنطاكية في سوريا، مهنته طبيب، وكان أعزباً، مات وهو في سن ٨٤ سنة في بويتيه ممتلئاً بالروح القدس. وقد كتب إنجيله كله في المناطق التي تحيط بأخائية لكي يفسر للأمم القصة الصحيحة للعهد الإلهي»[٣] ولكن لو اعتبرنا لوقا من إنطاكية فإن لغته الأصلية ستكون السريانية، وهي لهجة قريبة من الآرامية، وبإمكان المتحدث بها أن يفهم أحاديث المسيح، لكن ظهور الإنجيل وسفر الأعمال باللغة اليونانية البليغة لا يساعد على ترجيح ذلك، ولهذا لم يقتنع كثيرون من العلماء بما جاء في مقدمة ماركيون ولا برأي يوسابيوس، حيث يذهب سير وليم رمزي إلى أن يوسابيوس لا يقصد بهذا القول أن لوقا كان أصلاً من أنطاكية، بل كان من أنطاكية عند وقوع تلك الأحداث، لوجود ارتباطات عائلية له في أنطاكية. ولا شك أنه يبدي اهتماماً خاصاً بأنطاكية. ولكن لغة الإنجيل لا يتحدث بها أهل أنطاكية. ولهذا نجد شائعات عن أن لوقا عاش في الإسكندرية، وفي أخائية، بل ويقولون إنه مات في أخائية أو في بيثينية. والبعض يظن أنه من فيلبي، فقد قضى فترة طويلة فيها. كما يبدي فخره بالقول

---

١ – يقصد بالرسل أتباع بولس وليس ألاثني عشر «الحواريون»

٢ – تاريخ الكنيسة صـ ١١٦

٣ – المدخل إلى العهد الجديد صـ ٢٧٢ ، ٢٧٣

عنها: «التي هي أول مدينة من مقاطعة مكدونية».[١]

كل هذا يدفع إلى الظن بأن لوقا كان من فيلبي، ولو أنه – على الأرجح – كان كثير الارتحال، وقد صرف معظم سنواته الأخيرة في رفقة بولس. ويصفه بولس بـ «الطبيب الحبيب»[٢]

وعلى من يبحث عن مكان كتابة الإنجيل، أن يخمن اسم بلد من هذه البلاد. لكن لا أحد يقرر صحة أو خطأ هذا التخمين أو ذاك !

لغة الإنجيل

من المؤكد أن كاتب الإنجيل كان يونانياً لغة وجنسيةً، وإذ افتراضنا أن اسمه لوقا، وأنه قصد أورشليم في عصر المسيح، واستمع إليه وهو يقدم الأمثال عن «ملكوت الله» لأتباعه.

«وفيما هو يتكلم بـهذا رفعت امرأة صوتها وقالت له: طوبى للبطن الذي حملك، والثديين اللذين رضعتهما. أما هو (المسيح) فقال: بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» [٣]

فماذا يستطيع أن يسجل أديب يوناني بارع في مذكراته من هذا الحديث الآرامي؟

لا شك أن كل ما يستطيعه هو تسجيل الواقعة على هذا النحو: «وفيما هو يتكلم رفعت امرأة صوتها وقالت كلاماً، فرد عليها المسيح بكلام آخر» هذا هو كل ما يقدر أن يسجله أديب أو غير أديب، يستمع إلى حديث يدور بغير لغته. لكن تأمل كيف حرر لوقا هذا الحوار. إن على من يتتبع انتقال هذا الحوار من الآرامية إلى اليونانية أن يفترض أموراً كثيرةً. فليس ثمة مشكلة لو كان الحديث بلغة السامع، ولو كان السامع هو الكاتب، وإنما المشكلة في أن الأناجيل لم تعرف إلا في لغة مختلفة عن لغة المسيح في التركيب والقواعد، ومعرفة كيف صيغ إنجيل آرامي إلى أناجيل يونانية متداخلة ومختلفة أصعب بكثير من محاولة تخمين اسم كاتب، أو تحديد زمان أو مكان كتابة أحد هذه الأناجيل، ولهذا فإن تحليل هذه النقطة بالذات يكشف عن أن ما يردنا من معلومات عن هذه الفترة من التاريخ

---

١ – أع ١٦ : ١٢

٢ – ويمكن الرجوع أيضاً إلى «إنجيل لوقا» وإلى «أعمال الرسل» في موضعه من «دائرة المعارف الكتابية».

٣ – إنجيل لوقا ١١ : ٢٧ ، ٢٨

المسيحي هو من قبيل الخيال، والنتيجة لا يعلم كيف انتقلت المعلومات الآرامية إلى اليونانية وكيف صيغت منها الأناجيل إلا الله ﷻ.

تاريخ كتابة الإنجيل

غير أن ما يميز لوقا عن الإنجيليين الآخرين هو أن افتراض التاريخ المتأخر لن يؤثر على براهين كتابته للإنجيل، بل ربما بدا أكثر مناسبة، ولهذا اتجه الآباء إلى وضع فروض متأخرة، وإن كان بعضهم بدأها بستينات القرن الأول، فالأنبا ديوسقورس يخمن موته سنة ٧٠ م في مدينة بتراس، حيث استشهد الرسول اندراوس. وقد كتب إنجيله وأعمال الرسل.[١]

وهناك من اعتمد وثيقة قديمة تقول إن لوقا جاوز الثمانين من عمره، وفي ضوء الرأي السابق يكون قد ولد قبل المسيح بخمسة عشرة سنة، ولكن لا نجد باحثاً يقول بهذا، وجمهور اللاهوتيين يتجه إلى جعل كتابة الإنجيل في نهاية القرن الثاني، ويعزون ذلك إلى لائحة الموراتوري، التي تعتبر المرجع الأول الذي ذكر اسم «لوقا» بالتحديد ككاتب للإنجيل الثالث. لكن علينا أن نفرق بين زمن كتابة الإنجيل ووقت انتشاره، فالنزاع الذي ترتب عليه ظهور لائحة الموراتوري اقترن بالانتشار لا بالكتابة، وقد دار بين كاتبي تلك اللائحة وبين ماركيون الذي يبدو أنه كان من ضمن تعاليمه تمسكه بمقدمة الإنجيل والتي فيها أن لوقا كتب قصة وليس إنجيلاً، ونحن لا نعرف كم بقيت هذه القصة في حوزة العزيز ثاوفيلس، ولا متى خرجت من تحت يده أو يد خلفائه إلى العلن، ولا كيف صارت إنجيلاً في النهاية؟ ونرجح أن هذا التحول تم نتيجة للاحتكاك مع أتباع المسيح في أورشليم.

والبعض يربط تاريخ كتابة إنجيل لوقا بإنجيل مرقص. ويبنون حجتهم على ما جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من لوقا: «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش» بالمقابلة مع «رجسة الخراب» في مرقص. وكما نعلم فإن أورشليم أحيطت بالجيوش عام ٧٠ م، فتكون كتابة إنجيل لوقا بعد هذا التاريخ ومرقص قبله.

---

١ – موجز تاريخ المسيحية الأنبا ديوسقورس صـ ٦٥ ط / مكتبة المحبة.

وهناك من يقول إنه ليس من الممكن أن (كثيرين) قد كتبوا بالفعل قبل إنجيل لوقا ما لم يكن قد كتب بعد عام ٧٠ تقريباً، وهذا يعتمد على الرأي القائل أن المسيحيين لم يبدءوا الكتابة إلا بعد عام ٤٠م، لكن كثيرين يعتقدون أن بولس كان يكتب في أوائل الخمسينات، وربما في أواخر الأربعينات كما يرجح بعض علماء اللاهوت، ولكن بولس لم يكن يكتب أناجيل، أو قصص كتلك التي أشار إليها لوقا.

وهناك من يعتقد أن الإنجيل كتب في القرن الثاني، ومثل هذه الآراء تحاول تقريب الإنجيل من عصر ماركيون الذي وضع شريعته على أساس ترجمة لإنجيل لوقا، وهؤلاء تواجههم مشكلة في تفسير الكيفية التي استطاع بها إنجيل لوقا أن يكتسب خلال عشر أو عشرين سنة ثقة كاملة عند ماركيون إلى الدرجة التي مكنته من كسب أتباع ومؤيدين باعتماده على هذه البشارة وحدها.

على أن الرأي القائل بأن تاريخ الإنجيل كان متأخراً بالاحتكام إلى بعض الأقوال الواردة في سفر الأعمال والتي يعتقد أنها مأخوذة عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس لا يجد دعماً، فقد نشرت مؤلفات يوسيفوس عام ٩٣م تقريباً، وإذا كان لوقا قد اعتمد عليها فيكون في هذه الحالة قد كتب بشارته في تاريخ متأخر.

وأول فقرات من هذا النوع هي تلك التي يقول فيها يوسيفوس:

«إن ثوداس قام بتمرد إبان حكم فادوس (٤٤- ٤٦م) وأطيح به.

ثم جاء الحاكم التالي اسكندر (٤٦ — ٤٨م) وأعدم بعض أبناء يهوذا ألجليلي.

ويذكر إنجيل لوقا غمالائيل وهو يتحدث عن ثوداس الذي تبعه يهوذا، ولاحظ أنه كان يهوذا وليس أبناء يهوذا، وكان غمالائيل يتحدث قبل ذلك بما يقرب من ١٢ عاماً قبل أن يقوم ثوداس بتمرده، ولو أن لوقا يعتمد على يوسيفوس في هذه الواقعة فيكون قد أخطأ النقل عنه»[١]

ويرمي محررو دائرة المعارف الكتابية أصحاب هذا الرأي بالتطرف، فعندهم أن هارناك

---

١ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل لوقا) صـ ١٦ ، ١٧

أثبت في كتابه «تاريخ المسيحية» أن لوقا لم يستخدم تاريخ يوسيفوس، وأن إنجيله - بكل يقين — قد كتب قبل سفر أعمال الرسل.[1] ولا مانع من أن تكون ثمة وثيقة واحدة قد وقعت في يد المؤرخَيْن، فاستعان بها لوقا في سفر الأعمال، ويوسيفوس في تاريخه. ولكن لا يعطي الخلاف حول تفسير هذه الوثيقة المفترضة فرصة للقطع بمن استخدمها أولاً !

وهكذا لم تثبت هذه المجادلات شيئاً، وهي على العموم احتمالات غير دقيقة. وكل رأي ينقض أو ينقضه آخر، إلا أن من يقرأ مقدمة الإنجيل لا يستسيغ أن يقول بالتاريخ المبكر جداً ولا المتأخر جدًا، وخاصة إذ وقعت عينه بالفعل على كلمة «كثيرين» والتي تفيد أن جماعة كبيرة من الأدباء سبقوا لوقا، وأن لوقا ما هو إلا سائرٌ على دربهم، وإن كان يدعي أنه يتفوق عليهم بتقصيه وتحريه الدقة أكثر منهم، لكن لكل كاتب أن يدعي ذلك، وتبقى مقدمة لوقا شاهدةً ضمنياً إلى استعانته بما كتبه السابقون، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بعد عشرات السنين، وتحديد طول أو قصر هذه الفترة يعتمد بدرجة ما على معرفة مكان الكتابة، وربما كان المجيدون للكتابة في فلسطين في عصر الرسل من اليهود أكثر منهم خارجها، إذ نسمع عن طائفة «الكتبة» والفرق بين الكتبة المشتتين وغير المشتتين أن أهل الشتات كان بمقدورهم الكتابة باليونانية، كما اقتصر اعتمادهم على السبعينية، والغريب أن الأناجيل الأربعة كتبت باليونانية، واعتمدت على السبعينية.

من كتب الإنجيل؟

هذا هو السؤال الأهم، وحوله تدور اجتهادات علماء اللاهوت التقليدي وغير التقليدي، ذلك أن اسم الكاتب لم يرد صراحة في الإنجيل، والاتجاه التقليدي وإن بقي دوماً يطرح اسم لوقا، إلا أن النقد الحديث لا يكترث بهذا الطرح، ولا بما يقدمه التقليديون من براهين، ذلك أن التقليد لا يستند على نص مكتوب، ولا يظهر اسم لوقا إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي، أي بعد ما يربو على قرن من الوقت المفترض كتابة الإنجيل فيه. ومع ذلك يظل التقليديون متمسكين بما لديهم من أدلة داخلية وخارجية، وكلها — كما نعلم - غير

---

١ - دائرة المعارف الكتابية مادة إنجيل لوقا

مباشرة، فلا هي من الإنجيل ولا هي من سفر الأعمال، وإنما هي أقوال لآباء الكنيسة، وبعضها إشارات وردت في رسائل بولس، فقد ذكر بولس «لوقا» ثلاث مرات في رسائله:

المرة الأولى في الإصحاح الرابع من كولوسي «يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس».

والثانية في الإصحاح الرابع من تيموثاوس الثانية «لوقا وحده معي».

والثالثة في الإصحاح الأول من الرسالة إلى فليمون «ومرقص وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي».

هذه عبارات توجد في رسائل كتبت من سجن روما بحسب غالبية اللاهوتيين. فإذا كان الأمر كذلك فإنها توافق سفر الأعمال الذي يشهد بأن لوقا كان مع بولس عند سجنه في روما.[1] كما أن الإنجيل يقدم وجهة نظر بولس، ويشير كاتب سفر الأعمال بجلاء إلى الكلام الذي سبق ووجهه إلى ثاوفيلس، وهو نفس الاسم الذي وجه إليه لوقا الإنجيل.

أما النقاد الذين يقرون بكتابة لوقا لسفر الأعمال، ولكنهم ينكرون كتابته للإنجيل فيلخص «بلامر» الرد عليهم في ثلاثة افتراضات:

١- أن كاتب الإنجيل هو كاتب سفر الأعمال.

٢- كان كاتب سفر الأعمال رفيقاً لبولس .

٣- أن هذا الرفيق هو لوقا.

ويشيد التقليديون بجهود «بلامر» وبجهود هارناك الذي أكمل طريقه، فقد أثبت الأخير بكل مهارة ودقة في كتابه عن «أعمال الرسل» أن الخصائص اللغوية لإنجيل لوقا موجودة في كل أجزاء سفر الأعمال بما فيه الأجزاء التي يستخدم فيها ضمير المتكلمين (نحن، ونا).[2]

أما الدليل الخارجي فيقوم على اتفاق التقليديين على أن الكاتب هو لوقا. وهذا ما أكده إيرينيُوس وترتليان وأكليمندس السكندري وآخرون.[3] وقد ذكر الإنجيل واقتبس منه المسيحيون الأوائل، كما أن تاتيان استخدمه في كتابه «الدياطسرون» وكذلك القائمة

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز صـ ٢٧٣

٢ - دائرة المعارف الكتابية مادة إنجيل لوقا

٣ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل لوقا) صـ ٥

الموراتورية، وهي عبارة عن قائمة بأسماء الكتب في العهد الجديد في نهاية القرن الثاني.

وكذلك استخدم الإنجيل جماعات أخرى من الهراطقة مثل الفالنتينيين، كما كتب هيراكليون شرحاً له. والإنجيل موجود في النسخ السريانية والترجمات اللاتينية الأفريقية التي ترجع إلى القرن الثاني، وكذلك في الترجمة القبطية المنفية.

والغريب أن ماركيون الذي مات سنة ١٦٠ م، لم يكن يعترف بغير هذا الإنجيل، وقد كُتِبَت مقدمة للإنجيل تهدف إلى تفنيد إدعاءات ماركيون تذكر أن لوقا كان من إنطاكية، وأنه كان طبيباً، وأنه كتب إنجيله من أخائية، وأنه لم يتزوج ومات في الرابعة والثمانين من عمره.[1] ولا مانع من قبول مثل هذه المعلومات. ولكنها في النهاية لا ترقى أن تكون برهاناً على اسم كاتب الإنجيل، ولا على أن ما كتبه هو هذا الإنجيل !

وهكذا ما كاد يستقر التقليد الكنسي على اسم لوقا حتى ظهرت مشكلة تحديد من هو لوقا، ولكن كثيرين تجاهلوا كل نقد موجهٌ إلى التقليد بخصوص هذه القضية، بينما اتجهت فئة قليلة منهم إلى محاولة إلحاق لوقا بالتلاميذ السبعين، فيرى الأنبا ديوسقورس أنه كان من السبعين رسولاً ولد بإنطاكية، ويقال إنه كان مصوراً «ورسم صورة لأم النور»[2].

ويبدو أن أنصار هذه التقاليد لم يسمعوا عن الخلافات اللاهوتية المريرة حول المقبول وغير المقبول من الأقوال. وهم في كل الأحوال يبتعدون عن الجدل بين التقليد والنقد الحديث، وتقتصر أهدافهم وجهودهم على تقوية إيمان المسيحيين بصحة كتابهم المقدس بكل ما يحويه من أسفار.

ومن ناحية أخرى ربما كان هؤلاء الوعاظ أبعد نظراً في رؤيتهم لخطورة النقد الموجه إلى الأناجيل، فإذا لم يقم الدليل المقنع على صحة نسبة الأناجيل الأخرى إلى مؤلفيها العبرانيين فيمكن أن يتعاضد افتراض خروجها بنفس الطريقة التي بات واضحاً أن إنجيل لوقا قد خرج بها. فالحكم بانقطاع أو بجهالة حال من نقل عنهم الإنجيليون لن يقتصر على لوقا، ومن المحتم أن يشمل بقية الأناجيل، ومن هنا فقد أدرك هؤلاء الخطورة التي يمثلها

---

١ - انظر: شرح إنجيل لوقا الأب متى المسكين صـ ٢٧

٢ - السابق نفس الصفحة.

النقد القديم والحديث، وحتى لا تؤدي المماثلة في الخصائص اللغوية والفنية إلى التشكيك في الأناجيل كلها اعتبروا لوقا واحداً من السبعين، غير أن هذه العلاقة بين لوقا وتلاميذ المسيح لا يدعمها نص واضح، بل هي تقاليد متأخرة أعرض عن الخوض فيها سفر الأعمال والأناجيل الأربعة، والغريب أنهم يعتبرون لوقا تلميذاً لبولس، ولا يلحقون بولس بالتلاميذ السبعين.(١)

وعلى هذا يظل ما يذكره «إبيفانيوس» من أن لوقا كان أحد السبعين الذين أرسلهم يسوع للكرازة هو مجرد زعم لا دليل عليه. وكذلك الزعم بأنه كان أحد اليونانيين الذين تقدموا إلى فيلبس ملتمسين منه أن يروا يسوع.(٢) والزعم بأنه كان رفيق ِكِلْيُوباس، أي أنه كان أحد التلميذين اللذين اقترب إليهما المسيح في الطريق إلى عمواس، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته،(٣) فإن المضمون الواضح لما ذكره لوقا نفسه من أنه كتب قصة المسيح «كما سلمها له الذين كانوا منذ البدء معاينين، وخداماً للكلمة» هو أنه هو نفسه لم يكن أحد شهود العيان للمسيح عليه السلام.

ولئن كان لوقا يقر في صدر إنجيله بأنه يكتب قصته بغير إلهام، فإنه في مفتتح سفر الأعمال يتحدث عن إلهام الرسل، وعن صلتهم بالروح القدس، «الكلام الذي أنشاته يا ثاؤفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم» وهذه مسألة يناقض فيها لوقا نفسه لو أدخلناه في دائرة الرسل، فهو يُخْرِج ما كتبه عن دائرة العصمة والتقديس بقوله «أنشأته» ويتحدث عن الرسل لا كواحد منهم، بل كمؤرخ لأعمالهم وأحوالهم. ولم يذكر أنه كان مسيحياً في الوقت الذي ذكر فيه أن تلاميذ المسيح دعوا مسيحيين لأول مرة في إنطاكية.(٤)

---

١ - موجز تاريخ المسيحية صـ ٦٥. مع أن بولس يفرق بين: ملاقاة المسيح حسب الجسد، وملاقاته لا في الجسد، وقد ادعى أنه ظفر بالنوع الثاني. ولم يدع لوقا أياً من النوعين.

٢ - يو ١٢: ٢٠، ٢١

٣ - إنجيل لوقا ٢٤: ١٣ - ١٨

٤ - أعمال ١١: ٢٦

ومع الأسف كثيرون من التقليديين لا يقبلون بهذه الحقيقة، وكثيرون من النقاد يشككون في دقة لوقا كمؤرخ وبخاصة في سفر الأعمال أكثر منه في الإنجيل. ولعل أصعب ما يواجهه مسيحي متدين من ضغوط ما يعود إلى المفارقة بين التقليد القديم والنقد الحديث في الفكر المسيحي، وأحياناً بين النظر والتطبيق، إذ بينما يعلن علماء اللاهوت أن الكنيسة كانت تشترط أن يكون مقدم الإنجيل أحد الرسل، أو تتلمذ على يد أحد الرسل، لا ينتمي لوقا إلى التلاميذ، ولا الرسل، وقد يكون هذا هو الذي دفع بجماعات مسيحية إلى حذف اسمه من المقدمة. فعلى ما يبدو كانت المقدمة على هذا النحو: «رأيت أنا لوقا وقد تتبعت كل شيء.. الخ» وقد تم حذف «الاسم» بعد أن بدأ يشكل عائقًا يحول دون نشر الإنجيل على يد مجموعات تنتمي إلى ماركيون.

على كل حال.. هذا مجمل ما يمتلكه التقليد من أدلة على أن لوقا هو كاتب الإنجيل المنسوب إليه. وكلها أدلة لا تبرهن على ذلك، وهناك من يرفضها، لأن الكاتب ببساطة لم يذكر اسمه لا تصريحاً ولا تلميحاً، وإنه لشرف له «لو كان هو لوقا» أن يقترن اسمه بصاحب السعادة المكتوب إليه، وقد عهدنا أدباء أعظم شأناً منه يبالغون في التقدير والاحترام لأصحاب السعادة والجاه. ومع ذلك لا نستطيع حذف اسم لوقا بسهولة، إذ يبدو من صياغة المقدمة الحالية أنه لم يتجاهل التقاليد الشائعة في الكتابة آنذاك، ولكن ربما حدث تصرف في المقدمة من قِبَل مجموعات غير مسئولة أدت إلى حذف اسم الكاتب وصفته، وربما حرص آخرون على تحاشي ذكر «مؤلف» يحتج به ماركيون والفالنتينيون.

وبحلول القرن الثالث حاول الآباء البرهنة على التقليد الخاص بالكاتب، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وما وجدوا في سفر الأعمال ما يشير إلى الكاتب، مما دفع بهم إلى التنقيب في رسائل بولس، فما كان إلا أن عثروا على النصوص الثلاثة المذكورة سابقاً، وبلا تردد افترضوا أنها كتبت من سجن روما، لتوافق سفر الأعمال الذي يشير إلى أن لوقا كان مع بولس عند سجنه في روما[1] وبما أن كاتب سفر الأعمال هو نفسه كاتب الإنجيل عندهم

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز صـ ٢٧٣

فيكون لوقا هو كاتب الإنجيل. غير أن صحة هذا الاستنتاج الطويل تتوقف على إثبات صحة المقدمتين والنتيجة معا، أي إثبات:

- أن لوقا الذي كان مع بولس في السجن هو كاتب سفر الأعمال.
- أن كاتب سفر الأعمال هو نفسه كاتب الإنجيل..

ومعلوم أن إثبات فرض من هذين الفرضين لا يكفي دون الآخر. وفي النهاية لا يثبت الفرضان شيئًا يمكن القطع به. ولهذا ظهر نقاد يقرون بكتابه لوقا لسفر الأعمال، وينكرون في الوقت نفسه كتابته للإنجيل، ولم يصدهم عن اعتقادهم وجود الإنجيل في النسخ السريانية والترجمات اللاتينية والقبطية الخ.. فهذه مخطوطات وترجمات لا تقدم أكثر مما هو موجود. وفي كل الأحوال جاءت خالية من اسم المؤلف.

ولا يدعم حجية الإنجيل اعتراف ماركيون وغيره من جماعات انهزمت وخرجت من الساحة الفكرية، إذ ينبغي أن نقف على الدواعي التي دفعت بهؤلاء إلى الاحتجاج بإنجيل يختلفون في تفسيره وربما في تفاصيله عن مجموعات مسيحية أخرى، إذ لا بد أنها أسباب ترجع إلى أمور مختلفة في ذات الإنجيل، فلو حدث اتفاق بين ماركيون والكنيسة على تفاصيل الإنجيل لانضم ماركيون وشيعته بكل سهولة إلى الكنيسة. على أننا لا نعرف بالضبط تفاصيل الأحداث، ولكن بين الاتهام بالهرطقة ورد الاتهام ظهرت مقدمة للإنجيل تفند إدعاءات ماركيون، غير أنها لا تسرد علينا تلك الإدعاءات [1] بل تذكر معلومات شخصية عن لوقا، ولعل تفاهم ما قد تم حول تلك الإدعاءات أدى إلى اختفائها وقبول الإنجيل من الجانبين بما فيه المقدمة، وعلى هذا الأساس انضوت جماعة ماركيون وربما جماعات أخرى فيما بعد تحت لواء الكنيسة، وبإيمان ماركيون ومنتقديه بإنجيل لوقا راحوا يشكلون مع مجموعات أخرى تؤمن بمرقص أو متى نواة الكنيسة المسيحية الجامعة الرسولية، فالخلاف بين ماركيون وبين الكنيسة - إن جاز أن نسمي في هذا الوقت مجموعة ما بهذا الاسم - كان حول تسمية ما كتبه لوقا، فلقد كان من آراء ماركيون أن ما كتبه لوقا

---

١ - ارجع إلى صـ ٩٨

إنما هو قصة وليس إنجيلاً، وإزاء إصراره على ذلك وضعت مقدمة (ضد ماركيون) وكان حذف هذه المقدمة فيما بعد هو الذي أبقى مقدمة الإنجيل الأصلية تعبر عن الأمانة العلمية ورأي جماعة ما في ما كتبه لوقا، وتشير في الوقت نفسه إلى رأي لوقا في الأناجيل الأخرى، فلوقا في مقدمته لم يطلق على إنجيله فقط قصة، بل شمل الأناجيل الأخرى بقوله: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة» وهكذا يجعل ربك تبارك وتعالى براهين الحق في ذات الباطل، وإذ قدر لهذه المقدمة أن تبقى فما هذا إلا برهان على انتصار الحق بإقرار الباطل على نفسه، وإذا أردت أن أُعطيك تصورًا دقيقاً عما جرى في هذه الفترة فعليك الانتباه لما أضعه بين يديك من حقائق تظهر واضحة لمن يقرأ بعناية الأحداث ويتأمل تفاصيلها، إذ المتفق عليه أن بولس قد صلب في عام ٦٤ م تاركاً خلفه مجموعات مختلفة من التلاميذ والأتباع في العديد من مدن أسيا الصغرى، وقد وصلنا من رسائله في العهد الجديد ثلاثة عشرة رسالة، ومن خلال هذه الرسائل تلحظ أنه ترك أتباعاً متفرقين في عدد من مدن أسيا الصغرى واليونان، ومن هذه المدن مدينة كورنثوس التي بعث إلى أهلها برسالتين، وتسالونيكي التي بعث إليهم برسالتين أيضاً، ويدلنا العهد الجديد على أنه بعث برسائل إلى أتباعه في رومية وغلاطية وأفسس وفيلبي وكولوسي، ويمكن التعرف على أسماء بعض هؤلاء الأتباع من خلال سرد أسمائهم في التحيات الختامية التي حوتها معظم هذه الرسائل، ولو أن هذا يخرجنا عن موضوعنا لاستطردنا في الحديث عن هؤلاء الأتباع وتفاعلاتهم الفكرية، وحجم كل مجموعة وفكرها المخالف أو المتفق عليه مع مجموعات أخرى، ولك أن تتخيل كيف تنمو هذه المجموعات وكيف يتطور فكرها باحتكاك بعضها ببعض، واحتدام الجدل فيما بينها وبين أتباع المسيح عليه السلام في فلسطين، وقد اعتمد بولس على بعض الأشخاص الذين صاروا من بعده معلمين وأساقفة، ونذكر منهم تيموثاوس الذي خصه بولس برسالتين كاملتين، لقد كان على تيموثاوس أن يقرأ الرسالة عندما تصل إليه على أتباعه مفسراً لهم ما غمض من معانيها، وكان عليه أن يقوم بتنفيذ ما فيها من أوامر، وأن يتنقل بها بين أكثر من مجموعة شارحاً ومفسراً، ومنظماً لتلك المجموعات ومعلماً إياهم لبعض التراتيل والصلوات، ومن هنا نشأت طائفة من رجال الدين موازية تماماً لتلك

التي نظمها المسيح عليه السلام في فلسطين باختياره الرسل ألاثني عشر والتلاميذ السبعين.

وأما لوقا فلم يكن معلماً لهذه الحركة الجديدة بل كان بالأحرى مؤرخاً لها، ولكونه ملازماً لبولس باستمرار لم يحظ برسالة من تلك الرسائل التي بعث بها بولس إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون. وقد نبهنا لوقا على أن تسمية «المسيحيين» قد ولدت لأول مرة في إنطاكية، ولا نستطيع متابعة حال هؤلاء الأنطاكيين بدقة بعد لوقا، إذ لم يتوفر من يقوم بالدور الذي كان يلعبه لوقا.

وقد أخبرنا بولس عن خلاف دار بين جماعته في غلاطية وتلك التي ظهرت في أنطاكية؛ ففي الإصحاح الأول والثاني من رسالته إلى غلاطية يعاتب بولس أهل غلاطية على ارتداهم السريع عن الإيمان، ثم يتحدث عن خلاف بينه وبين بطرس في أنطاكية حول الختان والناموس، ومثل هذه الخلافات بات حسمها بعد بولس بيد الآباء أمثال إِيرينِيُوس وترتليان وأكليمندس السكندري وتاتيان وآخرون.

وفي هذا المناخ المستمر من الخلاف كان يظهر هنا أو هناك بعض الكتابات غير المنظمة عن معجزات وأقوال المسيح، وتظهر صياغة الأناجيل أن أغلب المقتطفات التي كانت تنتقل عن طريق التجار أو غيرهم لم تكن مشافهة، وبتوالي هذه الحكايات بدأ الناس ينصرفون عن الجدل العقيم الذي أثاره أتباع بولس وكاتبو الرسائل الذين ما فتئوا يستعينون ببعض المقتطفات من أحداث المسيح لدعم تفسير على آخر. ولكن سرعان ما انصرف الناس بالكلية عن الجدل والمتجادلين وانهمكوا بشوق شديد في متابعة تفاصيل أحداث قصة المسيح عليه السلام ولم يكن يهم هؤلاء من تلك الحكايات سوى التسلية والترويح عن النفس، ومن هنا أصبح للقصص الذي راج في معظم البلدان مكانة عظيمة في نفوسهم، ولا شك أنه كان الأساس الذي أوجد أرضية لنشر تعاليم المسيحية الحالية في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ولحب الناس وتعلقهم بهذا اللون من القصص بدأ يتطور وترسم له الأهداف الدينية من قبل بعض الآباء لتظهر عدد من القصص الكاملة والمنظمة لحياة المسيح عليه السلام، ولست بقادر على تحديد أولها ولا آخرها، ذلك أنها بدأت مع نهاية القرن الأول في بعض الأقاليم وانتهت بنهاية القرن الثاني بعد أن عمت أكثر الأقاليم. وربما لم تحرم مدينة من المدن الكبرى ممن

يقوم بجمع الحكايات وترتيبها في صورة قصة كاملة صرفت الناس ربما عن أمورهم الخاصة، وقد كثرت الحكايات والأقوال مما حتم ظهور جماعة من الأدباء وأهل الفكر استندوا على وثائق مكتوبة، فظهرت مجموعات من الكتابات المنظمة والتي يفترض العلماء منها اليوم المصدر (Q)

لكن هذا النوع من الكتابات لم يكن يشكل شيئاً من الفكر الديني المبني على رسائل بولس في الفترة ما بين عامي ٧٠ – ١٦٠ م. ولم يكن كاتبو الأناجيل الثلاثة الأولى بما فيهم متى الذي ربط أحداث القصة بأسفار اليهود يعتقدون أنهم يكتبون أناجيل، ولم يكن من بين الإنجيليين الأربعة من على وعي بأنه يكتب إنجيلاً سوى كاتب الإنجيل الرابع.

وبداية من منتصف القرن الثاني بدأ يتوحد تدريجياً القصص والرسائل ليحتلا معاً مكانة خاصة في قلوب الناس، ولم يعد اعتماد الآباء قاصراً على رسائل بولس، وكما أن لكل مجموعة رسائلها أصبح أيضاً لكل مجموعة قصتها التي تصور لها الأحداث بما يتناسب مع هذه الرسالة أو تلك، وفي المقدمة تأتي مجموعة أفسس التي امتد نفوذها إلى إزمير حيث مثلها بوليكاربوس مع مجموعة من التلاميذ التواقين إلى المعرفة، وقد تولى القس يونياس (أحد تلاميذ بولس)تعليم هذه المجموعة، كما تولى بوليكاربوس من بعده المناظرة وإرسال الرسائل وشرح ما كان من أمر المسيح مع اليهود.

وإذ لا يذكر بابياس أسقف هيرابوليس اسم لوقا فإنه يسجل عن متى ما يلي: «كتب متى اللوجيا (الأقوال)، باللغة العبرية (الآرامية) وفسرها كل واحد حسبما استطاع».

فهذا الرجل يشير إلى أصل آرامي أو عبري كما يقول رجع إليه كل كاتبي قصص المسيح، ولكنهم فسروه كل حسب طاقته، أي ترجموه بأوجه مختلفة، ومن هنا نشأت صور مختلفة من القصص مهدت الطريق لظهور إنجيل مرقص، ثم لحق به إنجيل لوقا، ومتى، فهؤلاء الثلاثة انتقوا من بين التفسيرات المختلفة ما بدا لهم أنه صحيحٌ، ثم أضافوا التحليلات التي رسمت الشكل الذي اختلف به كل إنجيل عن الآخر، فلوقا الذي تثبت مقدمته للإنجيل أنه لم يكن شاهد عيان لما سجله من أحداث يمتنع عن تسجيل أسماء الذين عاينوا الأحداث، والذين نقلوا إليه تفاصيلها، وهو وإن كان يمتاز عن غيره فبالإشارة إلى مصادره التي يؤكد

على كثرتها، فما هو إلا واحد من بين كثيرين انتقى من أقوال المفسرين ما شكل الإنجيل الثالث، وقد لا يعنينا أن نعرف اسم «كاتب» بقدر ما كان يلزمنا من معرفة مصادره التي اختفت، فالحكم على تلك المصادر أهم من الحكم على ما تفرع عنها، فإذا ما ثبت صحتها تعززت مكانة الإنجيل، بيد أن الغموض يلف كاتب الإنجيل كما يكتنف مصادره، وعوضاً عن ذكر المصادر بأسمائها فاجئنا الكاتب بلغته اليونانية الرفيعة. ولا نجد دليلاً يحملنا على الاعتقاد بأنه كان يهودياً،[1] فضلاً عن أن نقول إنه من تلاميذ المسيح، بل الإنجيليون الأربعة لا يظهر أنهم عبرانيون، وحتى متى الذي تطغى يهوديته على يونانيته في اعتماده على العهد القديم، تطغى يونانيته على عبرانيته في اعتماده على السبعينية، فلو قلنا: إن متى يهودي فلن يكون سوى أحد يهود الشتات المتحدثين باليونانية.

ومن الآباء من كتبوا في رسائلهم بعض الجمل والعبارات التي ورد مثلها في الإنجيل، فهؤلاء حتى وإن دلت اقتباساتهم على الاعتراف بالإنجيل إلا أنها لا ترقى أن تكون دليلاً على اسم كاتبه، فالآباء أمثال ترتليان وأكليمندس السكندري ويوستين الشهيد وغيرهم ينقلون نصوصاً لا تثبت أكثر من اعترافهم بالإنجيل، أو إن شئت الدقة فقل اعترافهم بتلك النصوص، وربما نقلوها عن مصادر سابقة على الإنجيل، فقد أعلمنا لوقا أن كثيرين قد سبقوه في كتابة نفس المعلومات. «ويعتقد البعض أنه ربما كان من بين (الكثيرين) الذين أخذوا بتأليف قصة كاتبا بشارة مرقص ومتى»[2] ونعتقد أن مرقص ربما كان هو الوحيد من بين هؤلاء الكثيرين الذين أشار إليهم لوقا الذي بقي إنجيله دون استبعاد، وأما إنجيل متى فربما كتب في وقت كتابة لوقا أو بعده بقليل، إذ نلحظ أنه أكثر تحليلاً للأحداث، كما أنه حاول ربط أحدث القصة بأسفار اليهود ممهداً لظهور ما سمي بالعهد القديم والجديد.

---

١ - لوقا اسم لاتيني، ربما كان اختصار «لوقانوس» أو «لوكيوس» وهو صديق بولس، وهو من الأمم بدليل أن بولس لم يذكره مع الأخوة اليهود، بل أفرده عنهم في رسالته إلى كنيسة كولوسي. انظر قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين صـ ٨٢٣ صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى الطبعة الثانية

٢ -- قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٢٣.

وهناك من الآباء من لم يستشهد بإنجيل لوقا على الإطلاق، مثل أكليمندس الروماني وإغناطيوس وبوليكاربوس وغيرهم، فهؤلاء لم يعطوا إجابات عن السبب في عدم رجوعهم إلى الإنجيل في كتابتهم، وكأنهم لم يسمعوا عنه، فهذا الصمت ليس في صالح الإنجيل على كل حال. وأضف إلى هؤلاء موقف بابياس الذي أطلنا الحديث عنه في الفصلين السابقين، فمع أنه كان أول من ذكر مرقص ومتى بالاسم في التاريخ المسيحي إلا أنه يتجاهل لوقا تماماً، مما أثار غضب رجال اللاهوت، فعمدوا إلى التشكيك في أهليته ومكانته، حتى جزم الأب متى المسكين بأنه لا يعتد به كمؤرخ، وفي هذا يقول: «ولو أن كاتب الإنجيل لم يذكر اسمه غير أن الكنيسة بتقليدها الراسخ سجلت اسمه في قلبها وذاكرتها، وكان أول من نقل هذا التقليد هو القديس إيرينيُوس كما ذكرت مخطوطة الموراتوري ذلك، ولو أن بابياس أسقف هيرابوليس لم يذكر القديس لوقا، ولكن بابياس كمؤرخ لا يعتد به».[1]

فلكم أشاد الآباء بـ «بابياس» وجهوده في الحديث عن متى ومرقص، ولكنه أصبح هنا لا يعتد به، ويبدو أن يوسابيوس كان أول من أدرك حقيقة أقوال بابياس الغامضة، ولهذا نعته بالغباء لسبب أن معلوماته بخصوص الإنجيليين محيرة وغير قاطعة في أي اتجاه، إن هذا التخبط بين من يعتد ومن لا يعتد بكلامه يدفع بنا إلى الاعتراف بأمرين:

الأول: أن علاقة الآباء بالإنجيليين لم تكن على درجة واحدة من الغموض.

الثاني: أن بابياس وأكليمندس الروماني وإغناطيوس وبوليكاربوس وغيرهم لم يكونوا يعترفون بما كان يؤمن به ماركيون، (وهو قصة لوقا). وأن إيرينيوس لم يقبل الإيمان بهذه القصة بعد ذلك إلا على أساس أنها إنجيل، ويبدو أنه ببقاء المقدمة كما هي في الإنجيل سقط تحفظ ماركيون عليه، وصار حزبه ضمن جماعات الكنيسة.

ومع هذا تبقى للدراسات اللاهوتية كلمتها المختلفة في التعامل مع لوقا، فهي تتعامل معه بطريقة مختلفة عن الإنجيليين الآخرين، وتحاول التمييز بين الشاهد والسامع. والفصل بين العبراني واليوناني، ولأنها في داخلها تؤمن بأن إنجيل لوقا لم يكتبه أحد الرسل، وأن

---

١ - شرح إنجيل لوقا / الأب متى المسكين صـــ ٢٧.

كاتبه أعلن أنه يكتب قصة، فقد أخرته بعض الكنائس، ففي النسخة السريانية يأتي لوقا آخر الأربعة. وهذا ناتج عن الميل إلى وضع الأسفار التي يعتقد أن كتابها من الرسل مع بعضها وأولاً في الترتيب.[١] وهذا يضع بين أيدينا تقليداً عملياً بأن لوقا ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام.

وتفادياً للحيرة بين التقديم والتأخير حاول تاتيان أن يوحد الأناجيل الأربعة في كتاب واحد، وإثر الخلاف على «الدياطسرون» كُتبت قائمة الموراتوري لتغلق باب الإضافة والحذف، ولسنا على يقين من وقوع الإجماع عليها، إذا استمر التعديل على تلك القائمة حتى نهاية القرن الرابع، وإذ يحتج التقليديون اليوم بهذه اللائحة على أسماء الإنجيليين الأربعة ينسون أنها لا تسجل إلا ما كان قائماً عند نهاية القرن الثاني، فهي ليست سوى ترديد لدعوى التقليد على نسبة الإنجيل إلى لوقا، كما أن تأخرها إلى أكثر من قرن – كما يبدو – عن وقت كتابة الإنجيل يفقدها حجيتها التاريخية.

وفي ضوء هذا تصبح الأدلة التي سيقت إليك في البرهنة على نسبة الإنجيل للوقا غير كافية، ويصبح من الضروري معرفة الظروف التي كتب فيها الإنجيل، والبيئة التي أثرت على تكوينه، والاعتراف به. ويحاول التقليديون صرف الانتباه بطرح أسئلة من نحو: هل كان لوقا مصوراً أم طبيباً، أم كان مصوراً وطبيباً معاً ؟

ولست في حاجة إلى أن نجيبك على ذلك، والأجدر أن ننصرف بك إلى محاولة التعرف على مصادر الكاتب إن كان ذلك في الإمكان، ويبدو أن ذلك لم يعد في الإمكان الآن، وعلى هذا سنظل كالسابقين نخمن أن من بين تلك المصادر مدوني قصص الطفولة، ومسودة للمصدر «Q» الذي اختفى. وأخرى اشترك فيها مع مرقص أو متى، أو هما معاً، وربما غير ذلك. ولكني أعدك بأن أقوم بدراسة هذا الموضوع في بحث قادم إن شاء الله تعالى !

لا شك أن الطريقة التي استخدمها وأعلن عنها الكاتب تشير بوضوح إلى أنه رجع إلى عدد من المصادر، لكنه للأسف لم يفصح عن تلك المصادر التي يبدو من حديثه العابر عنها أنها

---

١ – دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل لوقا)

كانت يونانية، وربما احتاج لوقا إلى فرز دقيق بقصد التفوق على مصادر أخرى كانت أكثر شيوعاً وشهرة، ولكنه في الأغلب لم يتلق مساعدة أحد الإنجيليين المعروفين، إذ أن قصة الميلاد لديه بدت مختلفة عنها في متى، كما أن مرقص ويوحنا لم يتعرضا لها من الأساس. كما أن ترجمته أحسن صياغة من إنجيل مرقص. وتثبت مقدمته أنه كان مثقفاً، وأن لغته اليونانية لها صبغة أدبية واضحة لا يدانيها في العهد الجديد – كما يرى محررو دائرة المعارف الكتابية – سوى كتابات بولس والرسالة إلى العبرانيين. وإن كانت الترجمات العربية – التي تحت أيدينا – تظهر عكس ذلك. إذ لا زلنا نشعر بركاكة وصعوبة فهم ترجمات رسائل بولس العربية إلى اليوم.

ولا يلزمنا أن نضع بين مصادر إنجيل لوقا كتابات بولس، فإن بولس لم يكن ليكتب أناجيل، والفرق بين الرسالة والإنجيل أن الإنجيل يسجل قصة المسيح حسب آخر ما وقف عليه الكاتب من أخبار، بينما الرسالة تشرح مغزى حدثٍ أو أكثر في هذه القصة. وتُبْني التوجيهات الروحية فيها على تحليل هذا الحدث. وستجد الإنجيل الرابع قد جمع بين الأسلوب الأدبي، وتحليل الأحداث وربطها بحقيقة المسيح. ويعتبر بهذا أرقى ما وصل إليه الإنجيليون من التطور بإظهار الارتباط بين العقيدة والقصة، أو بين الرسالة والإنجيل، بينما متى حاول ربط القصة بأسفار اليهود.

وبينما ينتمي الإنجيليون إلى طائفة الأدباء، يقترب كاتبو الرسائل أن يكونوا من أهل الفكر والنظر، وهذا ما تلحظه بسهولة عندما تقارن بين الرسالة والإنجيل، فكاتب الإنجيل الثالث كشأن كثيرين من أدباء عصره كان شغوفاً بالأدب، وقد تملك أحاسيسه ما في قصة المسيح عليه السلام من سحر وجمال، فأقحم نفسه في دراسة الوثائق والمذكرات التي كانت تحت يديه، وتلك التي استمرت ترد عليه تباعاً، وقد تلاقت رغبته في ذلك مع يهودي محب للفلسفة يدعى شاول، واتحدت الإرادة الأدبية والفكرية. واتجه اليوناني واليهودي بكل طاقتهما إلى هدف واحد، فظهر التفسير الذي يجمع بين وثائق المؤمنين والكافرين بالمسيح من اليهود، وفي هذا تتبع لوقا كل شيء بتدقيق، وشارك بولس الرأي حول مغزى صلب المسيح، وقد نقل القول بالصلب من على لسان أعداء المسيح ليصير على لسان من ادعوا

أنهم أتباعه، وبالإضافة إلى هذه المعلومة المقلوبة حصل لوقا على وثائق متفاوتة الأهمية والصحة، ولم يسجل من كل هذا حوارات المسيح فحسب، وإنما طمح إلى تسجيل نسبه سالكاً طريقاً طويلاً يختلف في تفاصيله عن إنجيل متى. وبلا توقف انتهي إلى آدم عليه السلام.

والذي يقرأ الإنجيل أو بالأحرى القصة التي كتبها هذا الأديب اليوناني يشعر بأنه كان شخصية متعددة الجوانب أكثر من الإنجيليين الثلاثة. وهذا التنوع والثراء في مفردات لغته، دليل على اطِّلاعه الواسع، واختلاطه بأعلى المستويات الفكرية في عصره. وبينما أسلوبه المتميز ظاهر في كل كتاباته، إلا أنه لا يعلن عن نفسه إلا إذا قلنا أن اسمه قد حذف عن عمد من المقدمة، ومع ذلك، فمعظم الذين انتابتهم الشكوك حول الإنجيليين الآخرين تلاشت شكوكهم حول لوقا، والسبب فيما يبدو أن الأناجيل الأخرى كتبت بأقلام أناس يصر التقليد على نعتهم بأمرين:

الأول: أنهم عبرانيون.

الثاني: أنهم شهود عيان.

وهذان الآمران لا يتفقان مع حال الأناجيل التي كتبت بغير لغة المسيح، وفي أماكن وأوقات بعيدة عن عصر المسيح، وأما لوقا فلا يضعه معظم اللاهوتيين بين تلاميذ المسيح، ولا بين شهود العيان للمسيح، بل هو - كما يعرفنا بنفسه - مجرد ناقل عن من كانوا معاينين وشهوداً للمسيح، مما جعل الاعتراضات على صفته أو شخصه لا تأتي على شيء. وإن استمر السؤال في هذه الفترة عن مؤهلاته المعرفية وأحياناً الإيمانية أكثر إلحاحاً من محاولة البرهنة على كتابته أو عدم كتابته للإنجيل.

وإذ لم يكن في ذلك واثقاً من قدرته على منافسة آخرين سبق أن سلكوا نفس طريقه وحازوا إعجاب القارئين والسامعين، لجأ لوقا إلى صاحب السعادة ثاوفيلس ليكون داعماً في ترويج قصته، وأظهر الكثير من التفاعل مع أحداث القصة، وقد اعتاد يوسيفوس الذي ينتمي إلى نفس العصر أن يدعم مؤلفاته بتقديمها إلى الإمبراطور، ثقة منه في صحتها. وراجياً أن تحظى بدعمه، وهو لا يتواني في إعلان ذلك، والاعتزاز به، وهو يتباهى على أقرانه بالدقة التي لم يفت لوقا الافتخار بها أيضاً. غير أن نبرة يوسيفوس كانت أقوى باعتباره يتناول

أحداثاً ماثلة أمام أعين قرائه، فهو لا يجمع روايات ويقارن بينها كما فعل لوقا، وإنما يسجل ما يراه بعينه: «والواقع أنني لم أكن خائفاً بصدد كتاباتي كما كنت أنت، بل بالعكس لقد قدمت كتبي للأباطرة أنفسهم إذ كانت أغلب الحوادث لا تزال ماثلة أمام أعين الناس، لأنني كنت واثقاً من أنني كنت متوخياً الصدق في كتاباتي، ولذلك فلم يخب ظني في توقع شهادتهم على صدق ما كتبت»[١]

لقد كان توقيع الإمبراطور على صحة كتاب يضمن رواجه في أرجاء الإمبراطورية، وربما لأن كاتب الإنجيل لم يبلغ درجة يوسيفوس ولا شهرته اكتفى بإرسال قصته إلى أحد الحكام المحليين، ولعل ذلك بسبب اختلاف الموضوع، فقد اختار لوقا أن يكتب تقريراً عن حياة شخص غير مرغوب فيه لدى الحكام، بينما اعتاد يوسيفوس أن يسجل أعمال الأباطرة أنفسهم، ويكيل المدح لحاضرهم تارة، ولماضيهم تارة أخرى، وهذا نهج لم يزل يرعاه أصحاب السلطان في كل العصور.

ومع اختلاف اللاهوتيين في شخصية كاتب الإنجيل الثالث، وفي صناعته، وفي القوم الذين كتب بينهم، وفي تاريخ تأليفه وفي العزيز الذي رفع قصته أو تقريره أو أخيراً إنجيله إليه، إلا إنهم يتفقون على نقطتين هامتين بالنسبة له:

الأولى: أنه ليس من تلاميذ المسيح.

والثانية: أنه حرر إنجيله باللغة اليونانية.

وتأتي افتتاحية الإنجيل لتلقى الضوء على طريقة كتابة الأناجيل في صدر المسيحية، ولتقدم لنا أكثر من ملاحظة على هذه الطريقة، إذ يقرر المؤلف أن:

- كثيرين قد سبقوه.
- وأنه كتب قصته بناءً على معلومات تسلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا في خدمته.
- وأنه جاء يتحري الدقة من بين ما كتبه السابقون. وبهذا شكك في الأناجيل الأخرى.
- وأنه لم ير المسيح ولم يتتلمذ عليه..

---

١ - تاريخ الكنيسة / يوسابيوس ٣ : ١٠ / ٩

- وأنه يسجل رسالة شخصية إلى ثاوفيلس.
- وأنه يكتب هذه الرسالة على التوالي حسبما يتوفر لديه من ظروف وإمكانيات الكتابة.
- وأنه يقوم بهذا العمل لا لشيء سوى رغبته أن تصل معلوماته إلى ثاوفيلس على أكمل وجه.

ولم يدع لوقا في هذه المقدمة أنه ملهم أو مسوق من الروح القدس، بل يقرر صراحة أن معلوماته جاءت ثمرة لاطلاعه الواسع على ما تركه السابقون، حيث تتبع كل شيء بتدقيق. وتخير ما يكتبه من بين مصادره المعلومة لأهل عصره بتدقيق. ويبدو واضحاً من هذا أنه لم يكن يعتقد أنه يؤلف بشارة كتلك التي جاء بها المسيح عليه السلام وإنما كشأن أهل الأدب في كل عصر سعى إلى تأليف قصة يثير بها شغف طائفة إن لم نقل قارئاً واحداً من قراء عصره هو ثاوفيلس، فراح يتحدث عن دقته في تتبع الأخبار، وفي هذا ما يشكك بصورة غير مباشرة في إنجيل مرقص، وربما متى كذلك، بل وحتى يوحنا الذي كتب بكل يقين بعد ذلك. بل إن يوحنا شكك هو الآخر ودون قصد عندما سجل في إنجيله أن معجزات المسيح لو كتبت واحدة واحدةً فإن العالم لن يسع المكتوب.

على أن حديث لوقا عن الدقة كان دليلاً واضحاً على شيوع نظرية المقارنة بين القصص المختلفة، وتفضيل بعضها على بعض، واختلاف المقاييس التي تفصل بين قصة وأخرى أدى إلى اختلاف المجموعات المسيحية حول المقبول وغير المقبول، مما ترتب عليه استبعاد بعض الكتابات على حساب البعض الآخر، وفي مرحلة تالية استبعد عدد غير واضح من الكتابات شاملة كل القصص الجزئية، والكثير من القصص الكاملة والعديد من رسائل الآباء سواء تلك المتجهة إلى الأفراد أو المجموعات.

ويبدو أن أفراد الكنيسة الناشئة من أتباع بولس عانوا جراء محدودية ثقافتهم في البداية كثرة التساؤلات والانتقادات، فلم يكن من بينهم كفاءات أدبية ولا فكرية، فخرجت مجموعة من الأناجيل أو القصص على حال استدعت استبعاد الكثير منها، مما دفع بلوقا إلى التشمير عن ساعد الجد لينجز قصته، وهي الإنجيل الموجود الآن، وقد يكون العلماء

على خطأ بحسبانهم أن إنجيل مرقص، «هو الوثيقة التي تحمل إليهم البدايات عن الكنيسة الأولى لرؤية المسيح. والانطباعات الأولى للرسل ومفهوماتهم اللاهوتية التي صاغوا بها إيمانهم».[١] إذ تشير الدراسات إلى أن هذا الإنجيل قد خرج في إطار مجموعة من الكتابات، مهدت الطريق إلى خروج مجموعة أخرى أرقى أسلوباً وأكثر تنظيماً واستيعاباً للمعجزات، وإذ تغير الحال بظهور كتابات جديدة، فرض هذا التحول فيما بعد أشكالاً مختلفة من الفكر والثقافة على حياة مجموعات مسيحية كانت منتشرة في أسيا الصغرى، وبفضل هؤلاء نشطت عملية التبشير في الغرب والشرق، واستندت بعض المجموعات المسيحية على «إنجيل متى» غير «متى» الذي عرفنا به بابياس، وأخرى على إنجيل لوقا الذي تحفظ على تسميته ماركيون، وقد استنبطنا موقف ماركيون من اتفاقه مع الكنيسة على إنجيل لوقا، فالخلاف لا مناص من أن يكون حول تفاصيل الإنجيل، غير أن انفراد الإنجيل بمقدمة تؤكد خلاف معتقد الكنيسة فيه الآن يوضح لنا موضع الخلاف، ولم يكن ماركيون وخصومه من السذاجة حتى تمر عليهما هذه المقدمة دون اهتمام، والواضح تماماً أن لوقا سجل اسمه فيها لأنه من غير اللائق أن يكتب إلى عزيز بمكانة ثاوفيلس دون أن يسجل اسمه.

وفي النهاية شكلت القصص الثلاثة حلقة متشابهة من المعلومات نتج عنها نواة المسيحية المعروفة الآن، ثم لما رأى الآباء في منتصف القرن الثاني أن هذه الأناجيل[٢] لم تجب على الأسئلة المتزايدة حول شخص المسيح ظهرت فكرة إخراج إنجيل يسجل ما تركه السابقون من معجزات وأحداث وتعاليم، ويقدم في نفس الوقت إجابة عن حقيقة صاحب هذه المعجزات فخرج الإنجيل الرابع. ويبدو أن كاتبه كان هو الوحيد من بين كاتبي القصص الذي أدرك أنه يكتب إنجيلاً وليس قصة، ولهذا لم يكن تكرارًا للأسلوب المعهود في القصص السابقة.

وقد لاحظ تاتيان الشقاق المبكر بين المجموعات المسيحية حول المقدس وغير المقدس من

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص / الأب متى المسكين صـ ٢٢

٢ - وكانت هذه الكنيسة قد أحست تماماً بما حذفه مرقص، وبعدم مناسبة تسلسله الزمني للأحداث، ومن هنا أطلقت عليه كنية (ذو الأصابع القصيرة البدينة) التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـ ٣٥

الأسفار، فتمنى لو ائتلفت هذه المجموعات على إنجيل واحد. ولكنه صُدم عندما أحس أن كل حزب بما لديهم فارحون. وإذ عاصر هذا التدافع المستمر حاول تاتيان بكل طاقته الجمع بين الكنيسة والخارجين عليها. وحين فشلت كل محاولاته راح يجابه المشكلة بالعمل بعيداً عن التحديق في عالم الأسرار الذي اتجه إليه إيرينِيُوس وغيره من الآباء الغربيين. أراد تاتيان أن يضع حداً للخلاف بين الأناجيل وخاصة فيما لم ينفع معه تأويل كشجرة النسب، كما رغب في حل مشكلة التكرار من جذورها بدمج الأناجيل الأربعة في كتاب واحد. وبالفعل أنجز «الدياطسرون» وإن كنا لا ندرى كيف كان شكل هذا الكتاب. لكن المؤكد أنه كان سيحل محل الأناجيل الأربعة الموجودة الآن. ويبدو أن آباء الكنيسة -وهم في الوقت نفسه لا زالوا رؤساء لمجموعات مسيحية متباينة النفوذ والفكر- فضلوا القديم على الجديد، فضاعت جهود تاتيان. وبقيت الأناجيل أمام إصرار بعض المجموعات المسيحية كما هي اليوم أربعة أناجيل.

وكان رائد العصيان والتمرد على مشروع تاتيان هو إيرينِيُوس، الذي تصدى بكل طاقته للدياطسرون. وراح يردد من إزمير إلى ليون أنه كما لا توجد سوى الجهات الأربع الرئيسية. كذلك لا توجد سوى الأناجيل الأربعة. ومن ثم وضعت اللائحة الموراتورية مطابقة لهذا السر المقدس. ومتجاهلة تماماً لرأي القديس تاتيان وأتباعه في الشرق.

وهكذا لم يتيسر للكنيسة ترتيب وتنسيق الجهود لإخراج كتاب مقدس على درجة لائقة من التنسيق والتنظيم، فظهر الإنجيليون الأربعة بالتتابع ليكرر كل منهم ما قاله الآخر. بل لقد وصل الأمر إلى حد عجز المجموعات المسيحية عن وقف تكرار النصوص. وكان في مقدورها الاستغناء عن إنجيل مرقص الذي تكررت مادته في إنجيلي متى ولوقا.[1] وكان بإمكانها صياغة الأناجيل الأربعة في واحد. وفي هذه الحالة لم يكن ثمة حاجة لأن يُكتب اسم «متى» على الأول، ولا يوحنا على الأخير، بل كلمة واحدة، هي «الإنجيل» وكفى بها دلالة على عنوان كتاب نزل على المسيح عليه السلام.

---

١ - وهذا دليل على أن مرقص قد كتب أولاً، حيث لم تستطيعوا التخلي عنه رغم أن مادته في متى ولوقا.

ولكن يأبى الله إلا أن يجعل الباطل باطلاً في ذاته، فأبقى الاختلاف بين الأناجيل الأربعة حجة على كل من يعتقد أنها كلام الله. وإذ اقتضت حكمته ﷻ أن يكون الحق القرآني حقاً في ذاته اقتضت حكمته كذلك أن لا يحتاج الباطل إلى براهين لإبطاله خارجةً عن ذاته، فأبقى مقدمة لوقا لتنبه قارئي الأناجيل إلى أنهم يقرؤون قصص وليس كلام الله تعالى، وهكذا تقام الحجة على أهل الإنجيل بما تحت أيدهم وبما ليس في أيديهم.

والمعروف بداهة أن الكتب السماوية لا يصح نسبتها إلى البشر كائناً من كانوا، وقد أنزل الله ﷻ التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والقرآن الكريم على محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وقد نسبت هذه الكتب إلى الله ﷻ، ولكن النصارى ما فتئوا يوزعون أناجيلهم على البشر، وقد أثار هذا التصرف العديد من الأسئلة منذ فجر المسيحية، فانبرى رجال اللاهوت في كافة العصور يبحثون عن إجابات مقنعة لتلك الأسئلة، وقد شكلت إجاباتهم المتعددة، وآراؤهم المختلفة، ولعناتهم المتواصلة على الهرطقة والهراطقة في الكثير من الأحيان تقليداً كنسياً يتعلق به النصارى أجمعون !.

الفصل الخامس
كاتب الإنجيل الرابع في التقليد الكنسي

ذات مرة قال لي صديقي المسيحي: هل ترى ربي يعذبني وأنا بمثل هذه الأخلاق.. أنا – كما تراني – في حالي.. لا أتسبب في إيذاء أحد من الناس.. كما أني لا أكذب ولا أغش.. إنني لم أفعل مكروهاً بأحد.. بالتأكيد ربنا سوف يثيبني على كل ذلك.

قلت له: قد لا يحاسبك ربك على ذنوب ارتكبتها في حق عباده. ولكن.. ربما حاسبك على ذنب ارتكبته في حقه ﷻ..

لنفترض أننا أُخْبرنا أن أسامة بن زيد «حبيب رسول الله ﷺ» امتد به العمر ليسجل في بداية أو نهاية القرن الثاني الهجري نسخة مختلفة من القرآن الكريم. فهل كنا نصدق ذلك؟ قال: بالطبع .. كنتم ستصدقون لو أخبركم آباؤكم بذلك.

قد يكون ما قاله صديقي صحيحاً، فما نفترضه عندنا هو ما حدث بالفعل عندهم، فقد تواتر عن الآباء أن يوحنا «الحبيب» ألف بعد قرن من بداية أو نهاية المسيح الإنجيل الرابع ليدحض به هرطقات راحت تنال من لاهوت المسيح. فهل كاتب الإنجيل الرابع هو فعلاً يوحنا أحد الرسل ألاثني عشر؟

هذا السؤال البسيط أربك الباحثين في اللاهوت على مدى القرون الماضية، لا لصعوبة الإجابة عليه ولكن لما يترتب على هذه الإجابة من نتائج، فمن أنكى النكبات أن تدرك أن خُدعت في عقيدتك، وأن العذاب واقع بك لا محالة. ومن أقسى الدواهي أن تعلم أنك خسرت الآخرة وأنت على وشك الذهاب إليها.

كثيراً ما تجول بخاطري بعض الأسئلة حول الإنجيل الرابع.

لماذا لم تكتف الكنيسة بما كتب قبله. ولماذا لم تقبل إنجيلاً بعده؟

لماذا قبلته وقد كتب بعد قرن من بداية أو نهاية المسيح عليه السلام ؟

وما مدى حاجتها إلى إنجيلٍ استغنت عنه جيلين أو ثلاثة ؟

ربما يطيب لمفسري وشراح الإنجيل إظهار «الحكم والأسرار» أثناء تصديهم للإجابة على

مثل هذه الأسئلة.. فالإنجيل - في نظرهم - عالم فريد في بابه، ويوحنا هو النسر الطائر في السماء. وبشارة يوحنا بالنسبة للكثيرين من المسيحيين هي أثمن سفر في العهد الجديد، بل هي قدس أقداس العهد الجديد، فهي - بالنسبة لباركلي - السفر الذي يغذي العقل، ويملأ القلب وتستريح إليه النفس.

ولهذا يهتم التقليد بيوحنا أكثر من غيره من الإنجيليين، فيقدم معلومات أكثر تفصيلاً عنه. بعض هذه المعلومات تتعلق بوالده والبعض بوالدته، فوالده زبدي الصياد صاحب مركب للصيد في بحيرة جنيسارت (طبرية) ويقتني صيادين أُجراء مما يدل على تيسر حاله[1] ووالدته «سالومة» لا يذكر اسمها في بشارة يوحنا، ويقول النصارى إنهم عرفوه من خلال مطابقة:

- مرقص ١٥ :٤٠ «وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهنّ مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة».

- ومتى ٢٧ : ٥٥، ٥٦ «وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهنّ كنّ قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه. وبينهنّ مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي»

فـ «سلومة» كما يتضح من مقارنة النصين هي أم ابني زبدي، وهي طبقاً للتقليد خالة المسيح، يقول الأب متى المسكين: «المعروف في التقليد أن سلومة هي أخت مريم - أم الرب - فيوحنا يُعتبر بالتبعية ابن خالة الرب»[2]

غير أن النص في مرقص وفي متى لا يقدم احتمالاً واحداً، إذ المعدودات لا يشكلن كل النسوة اللائي كن ينظرن من بعيد، بل هن من بين كثيرات. وعدم حصر الأسماء في النصين يفسد الاستنتاج بأن سلومة هي نفسها أم ابني زبدي.

ألقاب يوحنا وصورته في التقليد

يوحنا اسم عبري معناه (الله حنَّان) وقد لقب بـ «يوحنا الحبيب» لأنه تميز بمكانة

---

١ - مرقص ١ : ١٩، ٢٠ ويمكن أن يكون هذا لضعف صحة زبدي وصغر أولاده.

٢ - المدخل للأب متى المسكين صـ ٢٩ ويقصد النصارى بالرب «المسيح»

ومحبة خاصة لدى المسيح، لدرجة أنه اشتهر بالتلميذ الذي كان يحبه المسيح، وبالإضافة إلى لقبه «يوحنا الحبيب» اشتهر بالعديد من الألقاب التي تناقلها التقليد الكنسي ومنها:

«اللاهوتي» و «يوحنا البتول» و «التلميذ الذي يحبه يسوع» و«ابن الرعد» و«النسر الطائر في الأعالي» و «رسول المحبة»

و «رائي العهد الجديد، المبشر بالسماء الجديدة، والأرض الجديدة، الذي قاس أورشليم الجديدة طولاً وعرضاً، ونظر العرش السماوي، وعاين الحياة الأبدية وعاشها»

ويُرسم يوحنا في التقليد دائماً بوجه هادئ وديع كوجه امرأة ويجعلون تحت قدميه نسراً حاد البصر شديد المراس كمحاولة للتعبير عن شخصيته الوديعة المتحفظة، والذي هو في نفس الوقت جسور ملتهب غيرة[1] وعلى زجاج النوافذ في الكنائس التقليدية قد تبهرك صور الحيوانات الأربعة التي شاهدها يوحنا الرائي حول العرش[2] لترمز إلى البشيرين الأربعة، وطبقاً للتقليد فإن الكنيسة تردد في «القداس الإلهي» هذا النشيد العتيق:

وبتسبيح الظفر مترنمين (كالنسر) .. وهاتفين كالعجل

وصارخين كالأسد.. وقائلين كالملاك...[3]

ومن الحكم التي يذكرها باركلي في ذلك «أن النسر هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يتطلع بعينين مفتوحتين إلى وهج الشمس الساطع، وهو يشق طريقه إلى العلاء، ويوحنا بين كافة كتاب العهد الجديد هو الوحيد الذي استطاع بنظرته الثاقبة، أن يفتح عينيه على سعتهما، في نور شمس البر» [4]

ومن هنا يصبح التقليد حارساً لصحة العقيدة ووحدة الأناجيل، فقد تسلمت الكنيسة القبطية من آباء الكنيسة بدءاً من القديس اكليمندس السكندري (١٥٠ — ٢١٥م) وهو تلميذ بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وقد خلفه عليها سنة ١٩٠ م تسلمت منه

---

١ - المدخل الأب متى المسكين صـ ٢٩

٢ - سفر الرؤيا ٤ : ٧

٣ - إنجيل يوحنا (قراءة وتعليق) تعريب رهبنة دير مار جرجس الحرف صـ ١٣ مطبعة النور ١٩٨٦م.

٤ - باركلي جـ ١ صـ ١٠

هذا التسجيل الهام الذي وصلنا عن طريق كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري. «وفي ذلك الوقت كان يوحنا الرسول والإنجيلي الذي كان يسوع يحبه لا يزال حياً في أسيا يدير كنائس ذلك الإقليم، إذ كان قد عاد من منفاه في الجزيرة بعد موت «دوميتيان» حيث كان قد عذب في عهد هذا الإمبراطور، ونفي إلى جزيرة بطمس حيث تمتع برؤيا يوم الرب «سفر الرؤيا» ومنهم من يعتقد أنه بقي في منفاه حتى تنيح. ويقول جيروم : إنه انتقل في العام ٦٨ بعد صعود الرب، وبذلك يكون قد عاش عامين أو أكثر في القرن الثاني للميلاد، ومعنى هذا أنه عاش إلى ما يقرب المائة عام حيث كان أصغر من (المسيح) بقليل. ويرى البعض أنه تنيح حوالي سنة ٩٨ م في حكم تراجان (٩٨ – ١١٧م)[1]، وقد عاصر الجيل الجديد من المسيحيين، فكان هو حلقة الوصل بين العصر الرسولي وعصر ما بعد الرسل، لقد أراد أن يقدم الكلمة الرسولية النهائية عن شخص المسيا وأن يحفظ الكنيسة من تسلل بعض الأفكار الخاطئة.[2]

وحول نصائحه الغالية لأبناء كنيسته يحكي جيروم في تفسيره الرسالة إلى أهل غلاطية أن تلاميذه كانوا «يحملونه على أذرعهم ويذهبون به إلى المنبر لينطق بالكلمات: يا أولادي أحبوا بعضكم بعضاً. هذه وصية الرب إذا عملتم بها وحدها فهذا يكفيكم»[3] وسواء أعملوا أم لم يعملوا فقد اختفى التلاميذ وأستاذهم دون أن يسجل التاريخ حقيقة وجودهم.

الدوافع وراء كتابة الإنجيل

بعد أن اتفق أهل التقليد على أن يوحنا هو كاتب الإنجيل اختلفوا حول السبب الذي دفعه إلى ذلك وخصوصاً أنه مكث أكثر من سبعين سنة عازفاً عن الكتابة. هناك أكثر من رأي وأكثر من نظرية منها:

١ – نظرية الدفاع عن المسيحية

فقد رأى بعض الآباء القدامى أن القصد من كتابة إنجيل يوحنا كان هو الدفاع عن

---

١ – الإنجيل بحسب يوحنا القمص تادرس يعقوب ملطي جـ ١ صـ ١٣

٢ – السابق جـ ١ صـ ٢١

٣ – السابق جـ ١ صـ ١٢

المسيحية ضد الهرطقات التي انتشرت في آسيا الصغرى واليونان في ذلك العصر. حيث جابهت الكنيسة العديد من البدع والهرطقات. وعلى رأسها القول ببشرية المسيح، فلم يلبث يوحنا حتى قام من فوره يدون الإنجيل الرابع. وقد لوحظ أنه يهاجم جماعتين:

الجماعة الأولى: اليهود. والثانية: تلاميذ يوحنا المعمدان.

وكلا الجماعتين ينكر لاهوت المسيح. كما لوحظ أن آراءه في لاهوت «الكلمة» تأتي في مواجهة بعض الحركات الغنوسية مثل الدوناتست إذ نادى هؤلاء باستحالة أن يأخذ الكلمة الإلهي جسداً حقيقياً لأن المادة شرٌ في نظرهم [١]

٢ – نظرية بناء الكنيسة.

وهذا البناء كان يتطلب عدة أمور تتجاوب مع الظروف والعصر الذي كتب فيه الإنجيل.

الأمر الأول: هو أن الإنجيلي أراد أن يفسر الإنجيل في لغة هيلينية، وهذا رأي تمسكت به الكنيسة على مدى عصور طويلة، وقد عبر عنه بكل وضوح العالم تشارلس دور في كتابه «تفسير الإنجيل الرابع» فأبرز التشابه بين هذا الإنجيل وبين كتابات الهلينيين مثل هرمس والغنوسيين وفيلو الإسكندري.

أما الأمر الثاني: فهو أن يوحنا قد كتب إنجيله واضعاً نصب عينيه أن يصحح فكرة كانت قد تغلغلت في الكنيسة مفادها أن المسيح سيرجع سريعاً مرة أخرى في مجد أبيه ويعلن ملكوت الله بقوة.[٢]. ولكن مضى قرن ولم يظهر المسيح، وهنا وجدت الكنيسة نفسها في ورطة، سرعان ما راحت تبحث عن حل لها، وكان الإنجيل الرابع هو ذلك الحل.

٣ – نظرية التعاليم وشرح الأناجيل الأولى.

يتجه بعض المفسرين النصارى إلى فكرة أن إنجيل يوحنا كُتب من أجل التعليم، بمعنى أنه جاء شرحاً للأناجيل الأخرى وليس سرداً تاريخياً كباقي الأناجيل.[٣] فقد أراد كاتبه أن يقدم تفسيراً للأناجيل الثلاثة السابقة له. هذا الرأي ساد عبر العصور ولا زال يقبله كثير

---

١ – السابق جـ ١ صـ ٢١

٢ – المدخل إلى العهد الجديد الدكتور القس / فهيم عزيز صـ ٥٥٦ – ٥٦٠

٣ – المدخل / الأب متى المسكين صـ ٦٣، ٦٤

من الدارسين وإن كان بعض النقاد يرون أنه لا علاقة بين هذا السفر والأناجيل الثلاثة لا بالإيجابية ولا بالسلبية، ورأى بعضهم أن يوحنا عرف مرقص ولوقا دون متى. وبعضهم «يعتبر الأناجيل الثلاثة أشبه برحلة السيد المسيح من الجليل إلى أورشليم، فتركز على صعوده الأخير إلى المدينة المقدسة، أما إنجيل يوحنا فيتحدث عن مناسبات عديدة أقام فيها المسيح في أورشليم، ويذكر عيد الفصح في ثلاث سنوات متوالية، وفي ليلة الفصح الأخير مات المسيح حمل الله ليقدم احتفالاً جديداً للعالم كله يملأه ببهجة قيامته التي صار تذكارها هو عيد الفصح المسيحي» (١)

٤ – نظرية التكميل.

كما يقطع آخرون بأن قصد يوحنا كان هو التوفيق بين الأمور المتنازع عليها لاهوتياً أو تاريخياً، ويوجد تقليد قديم يقول إن القديس يوحنا كتب إنجيله بناء على طلب أساقفة أسيا الصغرى، يقول القديس أكليمندس الإسكندري حوالي سنة ١٩٠م إن يوحنا آخر الكل إذ أدرك الحقائق الخارجية التي كشفتها الأناجيل الأخرى حثه تلاميذه كما أوحى إليه الروح ليكتب إنجيلاً روحياً، كأن تلاميذه وشركاءه في الخدمة سألوه أن يسجل لهم تفسيراً لاهوتياً لما سبق فكتبه الإنجيليون الآخرون تاريخياً، هذا وإن كان كل إنجيلي سجل سفره بالروح القدس ليحمل فكراً لاهوتياً متمايزاً ومتكاملاً مع الأناجيل الأخرى.(٢)

ويقول القديس أغسطينوس: «إن الأناجيل الأربعة نرى فيها القديس يوحنا الرسول ليس بعدم استحقاق من جهة معرفته الروحية يُمثل بالنسر الذي ارتفع بتعاليمه أعلى وأكثر سمواً من الثلاثة الأناجيل الأخرى، وارتفاعه بتعاليمه هذه رفع قلوبنا بالمثل، لأن الثلاثة الإنجيليين تمشوا مع (الرب) على مستوى الأرض كما مع إنسان، أما فيما يختص بلاهوته فلم يتكلموا إلا قليلاً، أما هذا الإنجيل فقد نأى عن الأرض والتمشية فيها، إذ أرعد علينا من علٍ منذ افتتاح حديثه، وحلق مرتفعاً ليس فوق الأرض وكل دائرة الكون أرضاً وسماءً بل

---

١ – الإنجيل بحسب يوحنا القمص تادرس يعقوب ملطي جـ ١ صـ ٢٨

٢ – السابق جـ ١ صـ ٢٣

وفوق جيوش الملائكة وكل طغمات القوات غير المنظورة حتى أتي إلى مَنْ خلق العالمين»[١]

فـ «الأناجيل الثلاثة لم تفارق نظرتها للأمور الأرضية إلا قليلاً يعني الأشياء التي أكملها المسيح على الأرض، أما بخصوص لاهوته فإنها جاءت قليلاً جداً إذ تحدثوا بصفتهم بشراً يسيرون معه على الأرض، أما هذا الأخير، هذا (النسر) يوحنا المبشر بالحقائق العليا فهو الذي حدق بنظره مثبتاً إياه نحو النور العميق»[٢] فهو النسر الطائر، وإنجيله هو التحليق العالي، إنجيل الصعود الروحاني والصوفي الذي يرتقي بهم إلى العلى، إلى السماء، «لقد اتكأ على صدر يسوع في العشاء السري فاغترف من هناك صميمة الأسرار الإلهية السامية. يقول أوريجانوس: إن يوحنا كان يستند على صدر المسيح كاستناد المسيح على صدر الآب.

ويقول أغسطينوس: «إنه كثيراً ما كان يوحنا يرتوي سرًيا من قلب المسيح»[٣] ومن هنا فقد صوَّر إنجيل يوحنا ومن فم المسيح سر انكشاف علاقة الله الآب بالمسيح الابن هكذا «تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال، بل أخبركم عن الآب علانية»[٤] فكانت هي ساعة كتابة هذا الإنجيل.[٥] وقد مال إلى هذا يوسابيوس القيصري والقديس جيروم، وهو الهدف الذي استنتجه أكليمندس الإسكندري وعبر عنه بقوله «إن البشير يوحنا كتب إنجيله ليكون هو الروح في مقابل الأناجيل الثلاثة الأولى التي هي الجسد. وهو يعني بذلك أنه بينما تذكر الأناجيل الأخرى الحقائق والوقائع الملموسة في حياة المسيح، فإن إنجيل يوحنا يظهر روح رسالته، ويعلن شخصيته» وبينما اهتمت الأناجيل بتاريخ المسيح بعد تاريخ ميلاده فإن يوحنا تتبع ما قبل التاريخ.[٦]

هذه النظرة نحو الأناجيل وتفوق إنجيل يوحنا عليها ثابتة في التقليد الآبائي في شرح

---

١ - المدخل/ الأب متى المسكين صـ ٣٣٦، ٣٣٧

٢ - السابق صـ ٢٢

٣ - إنجيل يوحنا (قراءة وتعليق) صـ ١٥

٤ - يو ١٦ : ٢٥

٥ - المدخل / للأب متى المسكين صـ ١٩

٦ - السابق صـ ٣٤٤

إنجيل يوحنا، وبها يجدون «في الأناجيل الأربعة صورة للمسيح صحيحة متكاملة تماماً، ومن الأناجيل الأربعة يتكون منهج اللاهوت الكامل الذي دخلت فيه الكنيسة وعبرت ثلاثة مجامع مهيبة وثلاثة قرون طويلة مع جهاد الإيمان الدامي، خرجت بعدها باستعلان وحدة الناسوت واللاهوت فصارت الكنيسة بلاهوتها التوحيدي ضامنة وحدة الأناجيل الأربعة، وصارت الأناجيل الأربعة ضامنة لكيان الكنيسة كمصدر حياتها وبقائها.

٥ – نظرية التوفيق بين الفلسفة والدين

لقد بدأ المسيحيون يلحظون التعارض والاختلاف بين الأناجيل الثلاثة ورسائل بولس، مما مهد لظهور الإنجيل الرابع الذي يعد أول محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة، وحول الظروف التي سطر فيها هذا الإنجيل أو التفسير اللاهوتي رجح باركلي أنه كتب في مدينة أفسس حوالي عام ١٠٠ للميلاد، ففي ذلك الوقت كانت المسيحية قد انتشرت في العالم الوثني، فلم تعد بعد وقفاً على أورشليم واليهودية والسامرة، ومعظم أتباعها لم يعودوا من اليهود بل من الأمم، وابتدأت المسيحية تقف وجهاً لوجه أمام الفلسفة اليونانية.

لذلك فقد أصبح من اللازم تقديم الحق المسيحي الخالد – حسب تعبير باركلي – في ثوب جديد، ليس لأن حق المسيحية يحتاج إلى التغيير والتبديل حسب مقتضيات العصر، بل لأن هذا الحق ينبغي أن يلبس الثوب الذي يلائمه، ويعطينا باركلي مثالاً على ذلك:

بشارة متى. لنفرض أن يونانياً في ذلك العصر تناول هذه البشارة، ماذا يرى فيها؟

إن أول ما يلتقي به سلسلة طويلة من الأنساب التي تتصل بشخص المسيح وأصله حسب الجسد، ولقد كانت الأنساب معروفة عند اليهود. ولكن العقلية اليونانية ما كانت تستسيغها.[1] ثم ماذا بعد ؟ إنه يقرأ عن يسوع إنه ابن داود، من النسل الملكي. وماذا يعرف اليونانيون عن داود وعن نسبه؟ وعن تلك الرموز العنصرية التي يتركز فيها آمال أمة خاصة، وشعب خاص؟ وأي صلة لليهود به ؟ وللوكهم بأفكاره وآماله ؟

ثم تتحدث البشارة عن يسوع كالمسيا، أو الملك المنتظر. هل يلزم لليوناني الذي يريد أن

---

١ – لم يلتفت باركلي إلى لوقا وهو يوناني الجنسية واللغة، ومع ذلك اهتم بشجرة النسب.

يعتنق المسيحية أن يدخل في معميات هذه الأفكار اليهودية ومجاهلها ؟

هل يلزم له أن يدرس التاريخ اليهودي، والأدب الرمزي النبوي الذي تحدث عن المسيا وعلاماته حتى يصبح مسيحياً ؟

ألا يوجد هناك طريق سهل للوصول إلى قلب المسيحية ورسالتها غير هذا الطريق اليهودي الطويل؟ لقد كانت العقلية اليونانية مركز الفكر الثقافي في العالم الكائن حين ذاك. ترى هل يلزم لليوناني أن يتنكر لتراثه الفلسفي العظيم ويعتنق العقلية اليهودية، ومنهج الفكر العبراني ليكون في هذا المدخل الوحيد إلى الفلسفة المسيحية ؟

ولقد أجاب يوحنا المشكل بعقلية متسعة متزنة. وأرشده روح الله للحل الذي يبدو كأعظم حل توصلت إليه عقلية إنسان.[١] فكان الإنجيل الرابع.

فهذه نظريات خمس حول الهدف الذي كان وراء ظهور الإنجيل الرابع. ولكن يبدو أن لكاتب الإنجيل رأي آخر.

- الغرض كما ذكره الكاتب:

يوضح الكاتب بجلاء وباختصار في نهاية الإصحاح العشرين الغرض الأساسي الذي من أجله كتب هذا الإنجيل فيقول: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله..»[٢]

وواضح هنا أن القصد هو أن يؤمن القارئ بأن المسيح هو ابن الله، وهذا يدل على أن الناس لم يكونوا قد آمنوا بذلك بعد، فالكاتب ذكر قضية التجسد في الإصحاح الأول ثم راح يبرهن عليها بعشرين إصحاحاً بعد ذلك.

هذا واضح من الفعل (لتؤمنوا) حيث جاءت تلك الكلمة في اليونانية، وذلك في النسخ السينائية والفاتيكانية في صيغة الحاضر لا الماضي[٣] وهذا يعني أن الإنجيل كتب لإحداث إيمان غير قائم فعلاً، فهو يقدم إيماناً جديداً، ولم يرد تثبيت إيمان قائم بالفعل، ويعلل

---

١ - باركلي جـ ١ صـ ١٦، ١٧

٢ - يو ٢٠ : ٣٠ ، ٣١

٣ - الإنجيل بحسب يوحنا القمص تادرس يعقوب ملطي جـ ١ صـ ١٨

الإنجيل ذلك بأن التلاميذ لم يكونوا قد توصلوا بعد إلى حقيقة المسيح، فقد تذكروا بعدما قام أنه كان قد أخبرهم بأنه سيقوم. هذا هو الظاهر من الإنجيل، والأهداف الخمسة التي ذكرناها ما هي إلا اجتهادات بعيدة عن الظاهر، وهناك من لا يعجبه ظاهر الإنجيل كالقس فهيم عزيز الذي يلحظ أن وراء هذا الظاهر أموراً منها:

- أن الكاتب لم يقصد أن يكتب حياة كاملة ليسوع المسيح، وذلك يظهر في أنه ترك عدداً ضخماً من الآيات التي صنعها يسوع ولم يدونها في كتابه، ويلاحظ القارئ أيضاً أن المادة التي يدونها الكاتب هي مادة منتقاة من بين كمية كبيرة من المعلومات التي كانت تحت يده، ويرجع سبب انتقائه لها لا لأنها أكثر صحة من غيرها، ولكن لأنها تؤدي إلى الهدف الخاص الذي كان يضعه نصب عينيه، لكي يبرهنه ويقود الناس إليه. إن كل المعلومات التي كانت لديه صحيحة ولكنه كان يهدف إلى شيء خاص.

- إنه كان يكتب كتابه وقد وضع نصب عينيه أيضاً أعضاء الكنيسة الذين يحتاجون إلى تثبيت إيمانهم، فالمكتوب إليهم جماعة من المسيحيين قبلوا الإيمان وأضحوا أعضاء في جسد المسيح. ولكنه مع ذلك لا يعتبر كتاباً نظرياً يذكر الحقائق المجردة وكفى، لكنه كتاب الحق المتجسد [١]

وهكذا يتوقف القس فهيم عزيز عن التصريح بالهدف الخاص على الحقيقة، فالهدف الخاص هو تحويل الناس من التوحيد إلى الإيمان بأن المسيح هو ابن الله.

الأدلة التقليدية على أن كاتب الإنجيل هو يوحنا الرسول

لو أخبرت مسيحياً بعيداً عن عالم الخلافات اللاهوتية بأن يوحنا الرسول لم يكتب الإنجيل الرابع ربما ثار في وجهك. ولو تناقشت مع أحد كبار الباحثين التقليديين فسوف يعرض عليك أدلة داخلية وأخرى خارجية، تثبت أن كاتب الإنجيل الرابع هو ببساطة يوحنا بن زبدي الصياد، وهو أحد الرسل ألاثني عشر.

ومن جانبنا سوف نعمل على جمع هذه الأدلة لنضعها بين يديك، وسوف نحرص على

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد صـ ٥٥٥

تقديم صورة واضحة لوجهة نظرهم، وبعون الله سوف نلتزم الأمانة والإخلاص في عرض مذهبهم، وهذه هي بعض المصادر التي نعتمد عليها:

١. (الإنجيل بحسب يوحنا) القمص تادرس يعقوب ملطي الطبعة الأولى ٢٠٠٣ نشر كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج
٢. تفسير الكتاب المقدس / مجموعة من اللاهوتيين ط/ دار الثقافة
٣. دائرة المعارف الكتابية وليم وهبة بباوي وآخرون / دار الثقافة.
٤. شرح بشارة يوحنا / ترجمة عزت زكي ط / دار الجيل.
٥. شرح بشارة يوحنا الدكتور القس إبراهيم سعيد ط / دار الثقافة
٦. شرح إنجيل القديس يوحنا الأب متى المسكين الطبعة الأولى ١٩٩٠ م مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
٧. المدخل إلى العهد الجديد تأليف د/ موريس تاوضروس الطبعة الرابعة دار القديس يوحنا الحبيب للنشر
٨. المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا (دراسة وتحليل) الأب متى المسكين الطبعة الأولى ١٩٨٩م مطبعة دير القديس أنبا مقار وادي النطرون

ومعلوم أن كافة هذه المصادر تعتمد على مرجع قديم وهو «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصري ٢٦٤ – ٣٤٠م، وقد عاصر هذا الكاتب قسطنطين ومجمع نقيه، ويحتوى كتابه على عشرة كتب، خص الأحداث التي عاصرها بالكتب الثلاثة الأخيرة منه. وقد رجعت إليه للتأكد مما نُقل عنه من معلومات.

وانطلاقاً من هذا المصدر الأصلي ومن المصادر الفرعية وبحسب التقليد الذي تسلمته الكنيسة الأولى في أول عصورها فإن القديس «يوحنا الرسول» هو الذي كتب الإنجيل الرابع، ولدى الكنيسة من الشواهد والأدلة التي اعتمدتها ما يؤكد ذلك، وهي تنقسم إلى أدلة خارجية وأخرى داخلية. نعرضها عليك دون تشويه أو تحريف لقصدهم.

أولاً: الأدلة الخارجية:

هناك العديد من شخصيات آباء الكنيسة أكدوا التقليد الخاص بيوحنا في الكنيسة، ففي

نهاية القرن الثاني، كانت الكنيسة تمتلك أربعة أناجيل تستخدمها باعتبارها كتباً مقدسة تقرأ في الكنائس في العبادة الجمهورية، وتحظى بكل تقدير واحترام كأسفار مقدسة لها كل السلطان كسائر أسفار الكتاب المقدس القانونية، وكان الإنجيل الرابع أحد هذه الأناجيل، ويعترف الجميع أن كاتبه هو الرسول يوحنا. ونجد هذا في كتابات إيرينيُوس وترتليان وأكليمندس الإسكندري وأوريجانوس وغيرهم ..

١- إيرينيُوس١٣٠ — ٢٠٠م

يبتدئ علم اللاهوت المهتم بفحص قضايا الإنجيل واللاهوت عامة بهذا الرجل، الذي تربى تحت يدي القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا[1] واعتبر وصلة بين الشرق والغرب، حيث أصبح معلماً في روما ثم أسقفاً في ليون من بلاد الغال (فرنسا) وهو يشهد عن معتقدات الكنائس في تلك البلاد. كما أن أكليمندس يشهد عن معتقدات وممارسات الكنيسة في مصر والبلاد المجاورة لها، وترتليان عن كنائس أفريقية.

ولقد كانت هناك حلقة ربط بينه وبين ببوثنيوس الذي سبقه في أسقفية ليون. فقد كان بوثنيوس رجلاً متقدماً جداً في العمر عندما استشهد، وكان يلم بكل تقاليد وتراث كنيسة بلاد الغال. وهناك علاقة بين إيرينيوس وبين القديس بوليكاربوس احتفظ لنا التاريخ بصورة واضحة لها. ففي خطاب أرسله القديس إيرينيُوس إلى (فلورينوس) نقله لنا يوسابيوس يصحح له جنوحه عن الأرثوذكسية لأن تعاليمه الغنوسية لم تكن هي التعاليم التي استلمها من معلميه الأرثوذكس الأوائل. يقول إيرينيُوس في وصف تلك العلاقة: «إنني أتذكر أحداث ذلك الزمان بأكثر وضوح عن أحداث السنين الراهنة، وذلك لأن ما يتعلمه الأولاد ينمو بنمو عقولهم، ويصبح ملتصقاً بها، حتى إنني أستطيع أن أصف المكان نفسه الذي كان يجلس فيه «بوليكاربوس» المبارك، عندما كان يتحدث، وسيره جيئة وذهاباً، وطريقة حياته، وهيئته، وأحاديثه إلي الناس، وقصصه عن مقابلاته مع يوحنا الرسول وغيره ممن رأوا الرب».

---

١ – مدينة إزمير في تركيا حالياً

وهكذا نري أن إيرينئيوس – عن طريق هذين وغيرهما – كانت له الفرصة لمعرفة معتقدات الكنائس في الغرب والشرق، وما يسجله ليس شهادته الشخصية فحسب، بل التراث العام للكنيسة. ولكي نقدر علي نحو صحيح، قوة هذا الدليل، يجب أن نذكر أنه كان هناك كثيرون من تلاميذ يوحنا في أفسس، يعيشون في القرن الثاني.

وبالإضافة إلى خطابه إلى فلورينوس ترك إيرينئيوس كتابه المعروف بـ «ضد الهرطقات» والذي فيه استخدم إنجيل يوحنا في دفاعه ضد الغنوسية والتي كان أهم زعمائها (فالنتينوس) وضد المونتانيين وقد كتبه سنة ١٨٠م وهو الذي سجل أن الإنجيل الرابع هو من عمل القديس يوحنا الرسول.

وفي نفس الكتاب يؤكد أن: «الكنيسة في أفسس أيضاً التي أسسها بولس والتي بقي فيها يوحنا حتى زمان تراجان هي شاهد أمين للتقليد الرسولي»

ومن هنا يسجل يوسابيوس شهادة إيرينئيوس على هذا النحو: «وبعد ذلك فإن يوحنا تلميذ الرب الذي اتكأ أيضاً على صدره أخرج إنجيله بينما كان في أفسس».

وتتضح أهمية شهادة إيرينئيوس من الجهود المكثفة التي بذلت للتقليل من شأنها. ولكن كل هذه المحاولات تبوء بالفشل أمام مركزه التاريخي وأمام الوسائل التي كانت تحت يده لتأكيد معتقد الكنائس.

٢– يوستين الشهيد (جستين مارتر) ١٥٠ م

كما توجد شهادة لإنجيل يوحنا ساطعة، وهي للقديس الشهيد يوستين الذي كان لديه كل كتب الرسل وكان يسميها مذكرات الرسل، وقد استشهد في كتاباته بآيات من إنجيل يوحنا واستخدم اصطلاح «الكلمة» الذي ورد في مطلع الإنجيل.

٣ – تاتيان منتصف القرن الثاني:

وهو تلميذ ليوستين الشهيد، وهذه الحقيقة وحدها تجعل من الأرجح أن «ذكريات الرسل» التي يستشهد بها يوستين كثيراً، كانت هي التي جمعها تلميذه – بعد ذلك – في «الدياطسرون». وقد صدر قطعاً قبل ١٧٠م، وهو يبدأ بالآية الأولي من إنجيل يوحنا. وينتهي بالآية الأخيرة في خاتمة هذا الإنجيل.

أما أن يوستين عرف الإنجيل الرابع، فهذا يبدو واضحاً من ذكره البشارة الرابعة في كتاب وضعه سنة ١٤٦م وفيه اقتبس قول يوحنا المعمدان عن المسيح «لست أنا المسيح بل إني مرسَل أمامه .. ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص»[1] واقتبس أيضاً كلمات المسيح لنيقوديموس عن الولادة الجديدة الواردة في الإصحاح الثالث من يوحنا. ومتى ثبت ذلك، فمعناه أن الإنجيل الرابع كان موجوداً قبل عام ١٤٦ م.

٤- ثاوفيلس أسقف إنطاكية ١٨٠ م

وهو سادس أسقف على كنيسة إنطاكية من عهد الرسل اقتبس من البشارة وذكر مؤلفها وأشار في مؤلفه الذي وجهه إلى أفتوليكس إلى يوحنا كواحد من الكتاب القديسين الملهمين بالروح القدس، وأشار إلى ما كتبه القديس يوحنا عن المسيح (الكلمة) فضلاً على أن له دراسات في الأناجيل الأربعة. ويقول جيروم: إن ثاوفيلس هذا وضع كتاباً في «اتفاق الأناجيل الأربعة».

وبهذا أصبح ثاوفيلس أحد المدافعين عن المسيحية، فهو أقدم كاتب يذكر القديس يوحنا بالاسم ككاتب للإنجيل الرابع. ففي اقتباسه لفقرة من مقدمة الإنجيل، يقول: «وهذا ما نتعلمه من الكتب المقدسة، ومن كل الناس المسوقين بالروح القدس، والذين من بينهم يوحنا»

٥ - إغناطيوس (حوالي ١١٠م)

وهناك رسالة إغناطيوس التي تجعلنا نعود بالإنجيل الرابع إلي ١١٠م. فأول أثار واضحة للإنجيل الرابع، علي فكر ولغة الكنيسة، نجدها في رسائل إغناطيوس، وهي أثار لا يمكن أن يخطئها أحد، وذلك واضح من تلك الحقيقة، أنه كثيراً ما يستخدم اعتماد إغناطيوس علي يوحنا، دليلاً ضد أصالة رسائل إغناطيوس، ويمكننا استخدام هذا الدليل الآن بكل ثقة منذ أن برهن لايتفوت وزاهن علي أن هذه الرسائل وثائق تاريخية. فإذا كانت رسائل إغناطيوس قد تشبعت بنغمة وبروح كتابات يوحنا، فمعني هذا أن هذا النمط من الفكر

---

١ - [يوحنا ٣: ٢٨، ٣٠]

والتعبير، كان سائداً في الكنيسة في زمن إغناطيوس.

٦ - بوليكراتس أسقف أفسس

ففي الفصل الحادي والثلاثين من الكتاب الثالث يتحدث يوسابيوس في الفقرة ٢، ٣ عن رسالة بوليكراتس الموجهة إلى فيكتور أسقف روما، وفي هذه الرسالة «لأنه في أسيا أيضاً رقدت أنوار عظيمة ستقوم ثانية في اليوم الأخير لدى مجيء الرب عندما يأتي بمجد من السماء طالباً جميع القديسين، ضمن هؤلاء فيلبس أحد ألاثني عشر رسولاً الذي يرقد في هيرابوليس وابنتاه العذراوين الطاعنتين في السن، وابنة أخرى عاشت في الروح القدس، وترقد الآن في أفسس، وعلاوة على هذا فإن يوحنا الذي كان شاهداً ومعلماً والذي اضطجع على صدر الرب، لبس الصدرة المقدسة إذ كان كاهناً وهو أيضاً يرقد في أفسس» [١]

٧ – إكليمندس الإسكندري ١٥٠ م

وهو تلميذ بنتينوس رئيس مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وقد خلفه عليها عام ١٩٠م ويؤكد اكليمندس أن القديس يوحنا الرسول رُسم أسقفاً على كل نواحي أسيا. ولا يمكن إسقاط الدليل المستمد من أكليمندس وإيرينئيُوس وغيرهم، علي أساس رغبتهم في إسناد أسفارهم المقدسة إلي الرسل، فليس هذا إلا مجرد زعم لا يمكن أن يؤخذ علي محمل الجد. ربما كان هناك مثل هذا الاتجاه، ولكن في حالة الأناجيل الأربعة، ليس ثمة دليل علي أنه كانت هناك ضرورة لذلك في نهاية القرن الثاني.

٨- أوريجانوس ٢٥٤م

أحد تلاميذ إكليمندس وكان من معلمي مدرسة الإسكندرية النابغين، ويذكر يوسابيوس أنه لم يكن يعرف سوى أربعة أناجيل.. وآخر الكل الإنجيل الذي كتبه يوحنا. وقد حفظ لنا يوسابيوس الكثير في كتابه «تاريخ الكنيسة» بما يؤكد أن الإنجيل الرابع كان من بين كتب العهد الجديد القانونية وكتبه يوحنا الرسول. [٢]

---

١ - يوسابيوس ٣: ٣١، ٢، ٣)

٢ - المدخل / الأب متى المسكين صـــ ٣٥

٩ - ديونيسيوس الإسكندري

وكان قد كتب يدحض بدعة نيبوس وفي معرض حديثه عن رؤيا يوحنا كان ينسب الإنجيل إلى يوحنا الرسول، وإن هذا السفر من كتابة شخص يدعى يوحنا، ولكنني لا أصدق بأنه هو الرسول ابن زبدي أخ يعقوب كاتب إنجيل يوحنا والرسالة الجامعة، لأن الإنجيلي لم يذكر اسمه في أي مكان ولم يعلن عن ذاته لا في إنجيل ولا في رسالة. ويوحنا لم يتحدث قط مشيراً إلى نفسه أو إلى شخص آخر، أما كاتب سفر الرؤيا فيقدم نفسه في البداية [(١)] وقد أثبت ديونيسيوس في نفس الموضع أن يوحنا كتب الإنجيل والرسالة لما بينهما من اتفاق.[(٢)]

١٠- هرماس١٤٢ — ١٧٤م

كذلك توجد شهادة من هرماس صاحب كتاب «الراعي» الذي كان أسقفاً في هذه السنين على هيراكليس ويشير في كتاباته من إنجيل يوحنا.

١١ - أبو ليناريوس. ١٧٠ م

وهو أسقف كنيسة هيرابوليس بفريجية، في النزاع الذي أثير وقتئذ بخصوص عيد الفصح، وكان يقتبس في كتاباته من الإنجيل للقديس يوحنا.

وكذلك أيضاً ميليتوس من ساريس الذي اشترك في هذا النزاع كان يقتبس من الإنجيل للقديس يوحنا.

وكذلك الرسالة إلى ديوجنيتوس: وترجع إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، وقد ورد فيها ما يؤكد أن الكاتب اقتبس من إنجيل القديس يوحنا.

١٢ -شهادة ترتليانوس ٢٢٠ م

وقد اقتبس كثيراً من الترجمة اللاتينية للعهد الجديد والتي سميت بالايطالا نسبة إلى إيطاليا، وتشمل هذه الترجمة على الإنجيل للقديس يوحنا.

---

١ - يوسابيوس ٧: ٢٥

٢ - يوسابيوس ٧: ٢٥، ١٨

١٣ – وثيقة موراتوري (١٦٠ – ٢٠٠م)

ثم جاءنا التقليد في وثيقة موراتوري والمعروف أنها لهيبوليتس وقد اكتشفت سنة ١٧٤٠م وقد اكتشفها العالم الإيطالي موراتوري في ميلانو سنة ١٧٤٠ م وعرفت باسمه. وفيها يرد ذكر الإنجيلين الثالث والرابع، ولكنه يؤخذ من قرينة الكلام أن الإنجيلين الأولين (للقديسين متى ومرقص) كانا مذكورين أيضاً فيها. وقد جاء فيها ما يأتي:

«الإنجيل الرابع هو بواسطة يوحنا أحد تلاميذ المسيح، إذ عندما توسل إليه زملاؤه التلاميذ والأساقفة في ذلك قال صوموا معي ثلاثة أيام ونحن نتفاوض مع بعض بكل ما يوحي به الله إلينا، وفي هذه الليلة عينها أُعلن لأندراوس أحد الرسل (السبعين) أن يوحنا عليه أن يكتب كل شيء تحت اسمه والكل يصادق على ذلك»[1] ولما اجتمع التلاميذ معاً ليتذاكروا ما أعلن الله لهم سمعوا يوحنا يقول «الذي رأيناه بعيوننا، الذي شهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة نخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» أ. هـ [2]

١٤ – الهراطقة

وقد أثبت دراموند أن الفالنتينيين والباسيليديين استخدموا إنجيل يوحنا. وهذا دليل علي صحة الإنجيل، ولهذا يقول إيرينيُوس: «إن صحة الأناجيل الأربعة والاعتقاد بها متين بهذا المقدار حتى إن الهراطقة أنفسهم يشهدون لها، وكل منهم يجتهد أن يثبت رأيه مستنداً على نصها، ولذا فشهادة هؤلاء المعارضين في العقائد واستعمالهم لأناجيلنا تثبت وتوطد معتقدنا في صدقها»

خلاصة القول أنه وصل إلينا «أي إلى النصارى» من مؤلفات الآباء نحو خمسين مؤلَّفاً من مؤلَّفاتهم التي تبلغ نحو مائة، منها تفاسير على الكتب المقدسة، ومنها في مواضيع شتى مؤيدة بآيات كثيرة من معظم الكتب المقدسة، وكان أولئك الشهود في أزمنة متنوعة وفي

---

١ – المدخل متى المسكين صـ ٢١، ٢٢

٢ – شرح بشارة يوحنا الدكتور القس إبراهيم سعيد صـ ١٢ – ١٨ ط / دار الثقافة الإنجيل بحسب يوحنا القمص تادرس يعقوب ملطي جـ ١ صـ ٦٣

ممالك شتى، فنبغ أكليمندس في روما، وإغناطيوس في أنطاكية، وبوليكاربوس في إزمير، وجستن الشهيد في سوريا، وإيرينِيُوس في فرنسا، وأثيناغورس في أثينا، وثيوفيلوس في أنطاكية، وأكليمندس وأوريجانوس في الإسكندرية، وترتليان في قرطاجنة، وأوغسطين في هيبو، ويوسابيوس في قيصرية، وهذا يدل على انتشار الديانة المسيحية، وعلى أنه كان لا يمكن تواطؤهم على شيء، وأن ما شهدوا به هو الحق.

ثانياً: الأدلة الداخلية

جاء إنجيل يوحنا ضمن المخطوطات اليونانية القديمة الخاصة بالعهد الجديد، كما نجده كذلك ضمن أقدم الترجمات الخاصة بالعهد الجديد، هذا فضلاً عن أن في الإنجيل ذاته ما يبرهن على نسبته للرسول يوحنا بن زبدي الصياد، وها نحن نستعرض هذه الترجمات والمخطوطات القديمة التي ورد فيها إنجيل يوحنا بنوع من التفصيل:

(أ): النسخ القديمة ومنها:

١- النسخة الفاتيكانية: وهي أقدم النسخ وترجع إلى أوائل القرن الرابع الميلادي ومحفوظة بالمكتبة الفاتيكانية.

٢- النسخة السينائية: وهي محفوظة بمكتبة بطرس برج، وقد عثر عليها العلامة الألماني تيشندروف في ٤ فبراير ١٨٥٩ م في دير سانت كاترين بجبل سيناء، وترجع إلى القرن الرابع الميلادي.

٣- النسخة الإفرايمية: وهي محفوظة بالمكتبة الملكية بباريس وترجع إلى القرن الخامس الميلادي.

٤- النسخة الإسكندرية: وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني وترجع إلى القرن الخامس الميلادي، وقد خطت في الإسكندرية.

٥- وأخيراً ظهرت شهادة قاطعة مانعة من تحت رمال مصر من نجع حمادي من صعيد مصر ظهر فيها جزء من إنجيل يوحنا، عبارة عن ورقة مخطوطة وعلى إحدى صفحاتها نص من إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨ الأعداد ٣١ — ٣٤ وعلى الوجه الآخر الأعداد من ٣٧ — ٣٨ لنفس الإصحاح وهي الآن معروفة باسم بردية (رايلاند) ومحفوظة في مانشستر تحت

رقم ٥٢، وبحسب بحوث العلماء تأكد أن يكون تاريخها ليس بعد عام ١٣٠م وهذا هو البرهان النهائي أن الإنجيل الرابع خرج خارج أسيا الصغرى في تاريخ لا يمكن أن يتعدى الجيل السابق على بداية القرن الثاني، وبهذا يكون زمن كتابة إنجيل يوحنا ليس بعد سنة ١٠٠ م.[(١)]

(ب): ترجمات الكتاب المقدس، ومن أهمها:

١- الترجمة السريانية: وترجع إلى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني، وقد ترجم العهد القديم فيها عن العبرية بينما ترجم العهد الجديد عن اليونانية، ويطلق على هذه الترجمة (البشيتو) أي البسيطة

٢- الترجمة القبطية: ويرجع الفضل فيها إلى العلامة بنتينوس الذي ولد في الإسكندرية في أوائل القرن الثاني للميلاد، وعندما فكر في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة المصرية رأي أن الخطوط المصرية من هيروغليفية وديموتيقية يصعب الكتابة بها، فاستعار أحرف الأبجدية اليونانية وأضاف إليها الحروف السبعة الأخيرة من الخط الديموتيقي، وبذلك كون الأبجدية القبطية، وقد ترجم العهد القديم فيها عن العبرية.

٣- الترجمة الحبشية: وترجع ترجمة العهد الجديد إلى الحبشية إلى القرن الرابع على يد فرومنتيوس الذي بشر في الحبشة سنة ٢٣٠ م

٤- الترجمة اللاتينية: ترجم العهد القديم عن اللغة اليونانية إلى اللاتينية نحو منتصف القرن الثاني، وفي بداية القرن الخامس الميلادي ترجم إيرونيموس الكتاب المقدس ترجمة جديدة وهي التي تعرف بالفولجاتا.

(ج): شهادة الإنجيل ذاته:

يشير الإنجيل بطريقة حاسمة في صالح نسبة التلميذ المحبوب إلى يوحنا الرسول، فمعرفته بالعادات اليهودية والأعياد والتخطيط المفصَّل للبلاد، لا ريب فيها، ويوضح القس إبراهيم سعيد كيف أن الكاتب هو نفسه التلميذ المحبوب فهو:

١- المدخل / الآب متى المسكين من صـ ٤٥ - ٥٢

(١) يهودي :

أ- لأن أسلوب الكتابة يدل على ذلك، فمع أن البشارة كتبت باللغة اليونانية إلا أن جلّ تعبيراتها مفرغة في قالب عبري، ويقر هذا اثنان من الباحثين الناقدين وهما (كايم) و(إوالد)

ب- يؤيد هذا إلمام الكاتب بالآراء والعادات اليهودية، لدرجة يتعذر على كاتب أممي أن يجاريه فيها، فمنها:

ذكره انتظارات اليهود في (مسيا) ملكهم العتيد [١: ١٩ – ٢٨ و ٤: ٢٥ و ٦: ١٤، ١٥]

وكلامه في المعمودية اليهودية [١: ٢٥ و ٣ ٢٢ و ٤: ٢]

وفي الختان [٧: ٢٢]

وفي مقام المرأة عند اليهود [٤: ٢٧]

وفي عادات اليهود في دفن الموتى [١١: ٤٤، ١٩ ٤٠]

ج- يدعم هذا اهتمامه الخاص بالأعياد اليهودية، واتخاذها أساساً تاريخياً لتدوين الحوادث الجارية بالنسبة لها:

عيد الفصح [٢: ١٣و ٢٣ و ٤: ٤ و ١٣: ١ و ١٨: ٨]

عيد المظال [٧: ٢]

عيد التجديد [١٠: ٢٢]

عيد اليهود الفوريم [٥: ١]

لم يكتف الكاتب بمجرد ذكر هذه الأعياد، لكنه أحاطها بتفصيلات دقيقة متخطياً العقلية الأممية (كانتصاف العيد) (واليوم الأخير العظيم من العيد) [٧: ٣٧] وكون عيد التجديد يأتي في (الشتاء) [١٠: ٤٢] والاستعداد للفصح [١٩: ٣١]

(٢) يهودي فلسطيني:

هذا ظاهر من معرفته الدقيقة بتفصيلات الأمكنة الجغرافية المقدسة، كتعيينه (بيت عبرة) في (عبر الأردن) [١: ١٨]

وتحديده (عين نون). (بقرب ساليم) [٣: ٢٣]

وذكره الخزانة وقوله (كانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة [١١: ١٨]

وتعيينه مكان الصلب بالقول: «وكان في الموضع الذي صُلِبَ فيه بستان. وفي البستان قبر جديد» [١٩: ٤١]

قال رينان «لا يستطيع أن يكتب بشارة يوحنا سوى شخص عرف (وادي قدرون) أو ولد على مقربة منه».

(٣) هذا الكاتب اليهودي الفلسطيني هو شاهد عيان لما كتب.

هذا ظاهر من تدقيقه في ذكر الأشخاص والأزمنة والأمكنة. والأعداد. أمور لا يقوى على الإحاطة بها إلا من كان شاهد عيان لما حدث.

من جهة الأشخاص: ذكر الكاتب يوحنا المعمدان وتلاميذه. وأندراوس وسمعان بطرس وفيلبس ونثنائيل وسجل قول المسيح لفيلبس: «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء» [٦: ٥ و ٧] وكلام اليونانيين لفيلبس: «يا سيد نريد أن نرى يسوع» [١٢: ٢١ — ٢٢] وذكر سؤال توما: «لسنا نعلم أين نذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق» [١٤: ٥] وسؤال يهوذا ليس الأسخريوطي «ماذا حدث حتى إنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم» [١٤: ٢٢] وأسئلة التلميذ الذي كان يسوع يحبه [١٣: ٢٣ — ٢٥ و ٢١: ٢٠] ا

أما تدقيقه في ذكر الأزمنة بالتفصيل فيظهر من:

ذكره الأسبوع الأول في خدمة المسيح على الأرض [١: ٢٩ و ٣٥ و٤٣ و ٢: ١]

والأسبوع الأخير [١٢: ١ و ١٢ و ١٣: ١ و ١٩: ٣١ و ٢٠: ١]

وأسبوع القيامة [٢٠: ٢٦]

والتدقيق في حساب الأيام المتعلقة بحادثة لعازر [١١: ٦ و ١٧ و ٣٩]

وتدقيقه في ذكر الساعة بالذات [١: ٣٩ و ٣: ٢ و ٤ : ٥٢ و ٦: ١٦ و ١٣: ٣٠ و ١٨: ٢٨ و ١٩: ١٤ و ٢٠: ١ و ٢١: ٤]

وتدقيقه في ذكر الأعداد يظهر من: ذكره تلميذي يوحنا [١: ٣٥]

وقوله (مئتي ذراع) [٢١: ٨] (مئة وثلاثاً وخمسين سمكة) [٢١: ١١] (ستة أجران)

[٢ : ٦] (أربعة جنود) [١٩ : ٢٣]

وتظهر دقة وصفه للحوادث من قوله عن يهوذا «لما خرج كان ليلاً» [١٣ : ٣٠] وقوله عن رائحة الطيب إنها «ملأت البيت» ووصفه قميص المسيح أنه «كان منسوجاً كله بغير خياطة» [١٩ : ٢٣] وذكره المنديل الذي وُجِدَ في قبر المسيح [٢٠ : ٧]

(٤) هذا الكاتب اليهودي الفلسطيني الشاهد العيان هو أحد تلاميذ المسيح.

لأنه ملم إلماماً تاماً بدعوة المسيح للتلاميذ الأولين، ولأنه ذكر أن القيامة ثبّتت إيمان التلاميذ، وعمقت الفرح في قلوبهم [٢٠ : ٢٢] ولأنه سجل الحوار الذي دار بين التلاميذ أنفسهم في حادثة سوخار [٤ : ٣٣] ودوَّن ما قالوه بمناسبة خطاب المسيح الوداعي [١٦ : ١٧ و ٢٠ : ٢٥ و ٢١ : ٣ و ٧] ولأنه عرف المكان الذي لجأ إليه المسيح وتلاميذه «إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها افرايم» [١١ : ٤- ٥]

ولكنه عرف الأفكار المغلوطة التي كان يفكِّر بها التلاميذ أولاً ثم أصلحها لهم المسيح فيما بعد مثال ذلك: قول المسيح عن هيكل جسده [٢ : ٢١ و ٢٢] وعن نوم لعازر [١١ : ١١- ١٣] وعدم فهمهم كلام المسيح ليهوذا الأسخريوطي [١٣ : ٢٨] وعدم معرفة التلاميذ لشخص المسيح بعد القيامة [٢١ : ٤] ووصفه الدقيق لتأثيرات المسيح مما يدل على أنه كان على مقربة منه، فحدَّثنا عن انزعاج المسيح بالروح [١١ : ٣٣ و ١٣ : ٢١]

(٥) هذا الرسول اليهودي الفلسطيني الذي شهد الحوادث هو يوحنا.

تقرأ في خاتمة البشارة [٢١ : ٢٤] أن كاتبها هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، وقد ورد ذكر هذا التلميذ بهذا اللقب أربع مرات في البشارة [١٣ : ٣٣ و ١٩ : ٢٦ و ٢١ : ٧ و٢٠] ويظهر من [٢١ : ٢] إن الكاتب هو أحد اثنين إما أنه أحد ابني زبدي أو أحد التلميذين (الآخرين) الغير المعيَّنين في تلك الحادثة.

وإذا رجعنا إلى ما كتبه سائر البشيرين في هذه الحادثة وجدنا أن الثلاثة التلاميذ المقربين من المسيح بنوع خاص هم بطرس وابنا زبدي يعقوب ويوحنا، وبما أن يعقوب مات قتلاً بسيف هيرودس في وقت مبكر [أعمال: ١٢ : ٢] وبما أنه لا مجال للقول بكتابة بطرس لهذه البشارة إذ أنه مات مصلوباً في وقت مبكر أيضاً، وهو طبعاً غير (التلميذ الآخر) الذي

كان يسوع يحبه لأنهما ذكرا معاً في مكان واحد [٢١: ٢] فلا مناص إذاً من الإقرار بأن يوحنا هو كاتب هذه البشارة.

وبما أن يوحنا لم يذكر اسمه بالذات في البشارة، فمن المعقول أن وداعة (رسول المحبة) قد حملته على إخفاء اسمه الذي هو أشهر من نار على عَلَم في سائر الأسفار [أعمال ٣: ١ و ٤: ١٣] لأن المحبة لا تطلب ما لنفسها [١ كو ١٣: ٥] أ. هـ [١]

والمتأمل في البشارة يظهر له من خلال سطورها لقبان:

اللقب الأول: «التلميذ الذي كان يسوع يحبه»

وهذا اللقب يتردد وروده في البشارة أربع مرات:

فهو يتكأ على صدر يسوع في العشاء الأخير [٢] وهو الذي يستودعه (يسوع) العذراء المباركة، حينما كان على الصليب[٣] ومريم المجدلية في عودتها من القبر الفارغ في صباح القيامة، نراها تلتقي مع بطرس والتلميذ الذي كان يسوع يحبه.[٤] ومن ثم يصبح واحداً من الذين حضروا المشهد الأخير من مشاهد القيامة، بجوار بحيرة طبرية [٥].

والثاني: نستشفه من وراء لقب «الشاهد»

فحينما يطعن الجند الرومان «رب المجد» — أعوذ بالله - وهو على الصليب بالحربة في جنبه، فيتفجر الدم الطاهر مختلطاً بماء، نقرأ تعليق البشير: «والذي عاين، شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق، لتؤمنوا أنتم ..» [٦]

فمن يكون هذا الشاهد ؟

إننا نعرفه حينما نصل إلى نهاية البشارة. فيتضح لنا أنه هو كاتبها، وأن الشاهد هو

---

١ - شرح بشارة يوحنا الدكتور إبراهيم سعيد

٢ - يو ١٣ : ٢٣ — ٢٥

٣ - يو ١٩ : ٢٥ — ٢٧

٤ - يو ٢٠ : ٢

٥ - يوحنا ٢١ : ٢٠

٦ - يو ١٩ ٣٤

بعينه التلميذ الحبيب وليس إنسان آخر. وقد حاول بعض المفسرين أن يثبتوا أن التلميذ الذي كان يسوع يحبه ليس سوى لعازر، لأنه ورد القول أن يسوع كان يحب لعازر [١]

وقال آخرون إنه الشاب النبيل الثري الذي جاء إلى السيد، والذي نقرأ أن يسوع نظر إليه وأحبه [٢]

ولكن من المرجح أن هذه التأويلات لا تستند على الحق. وماذا يضيرنا إن كنا نستنتج أن هذا اللقب قد اختص به يوحنا، أقرب الكل إلى قلب السيد ؟ !

فالإنجيل إذاً بكل وضوح هو ذكريات شاهد عيان، ذكريات شخص كان موجوداً بنفسه في كل المشاهد التي يصفها، وإن كانت المصادر التي تتحدث عنه، تتركز في البشائر الثلاث الأولى، ترى هل أراد يوحنا أن يتحاشى ذكر اسمه صراحة اختفاءً منه وتواضعاً كما يرى الدكتور إبراهيم سعيد أم أن هذا اللقب قد خلعه عليه بقية التلاميذ، وأصبح معروفاً به فيما بينهم ؟ [٣]

الخلاصة أن الدليل الخارجي والداخلي علي التاريخ المبكر للإنجيل الرابع ونسبته إلي يوحنا الرسول، دليل قوي، سواء في مداه أو في تنوعه، لا يقل عن أي دليل لأي سفر آخر من أسفار العهد الجديد، وأعظم جداً من أي دليل علي أي عمل من الأعمال الكلاسيكية. ولهذا يعتقد بعضهم «أن الإدعاء بأن يوحنا هو كاتب الإنجيل الرابع هو أقوى من الإدعاءات الخاصة بكتابة الأناجيل الأخرى التي تستند فقط على التقليد المسيحي خارج النص نفسه» [٤]

---

١ – يو ١١ : ٣-٥

٢ – مرقص ١٠ : ٢١

٣ – باركلي جـ ١ صـ ٣٣، ٣٤

٤ – الخلفية الحضارية للكتاب المقدس (العهد الجديد) كريج س. كينر جـ١ صـ ٢٣١ مطبعة سيوبرس أوفي.

الفصل السادس
من كتب الإنجيل الرابع ؟

هناك تعبيرات مختلفة ألفها التقليديون يمكن أن تصادفك في شروحهم مؤداها الرفض التام لكل من يحاول طرح أية فكرة لا تؤدي إلى البرهنة على أن يوحنا الرسول هو كاتب الإنجيل الرابع، ويزعم التقليديون أن هذا لو فرض فسيكون برهاناً على أن الله ﷻ قد خدعهم، وحاشا لله أن يخدع أحداً من العالمين.

وقد تتبعنا آراء علماء اللاهوت حول هذه القضية بعناية واهتمام بالغين، تتبعنا أقوال التقليديين كما تأملنا آراء أتباع المدارس النقدية الحديثة، والفرق بين هؤلاء وأولئك كالفرق بين من يتنصل من الحقيقة ومن لا يكترث بها، لكننا لن نتوقف عند حد التردد بين المبالاة واللامبالاة، ذلك أن أتباع المدارس النقدية رغم عدم قناعتهم بفكرة أن يكون الكاتب هو يوحنا الرسول، لم يتجاوزا الحاجز النفسي، فما استطاعوا التنصل من عقيدة التجسد في أول الإنجيل، ولا الصلب في آخره، ولا يزالون يبنون عقيدتهم على أمور احتمالية في نظرهم، وإن ظلت يقينية في نظر غيرهم.

وأما التقليديون فهم حريصون على التقاليد حرصهم على قذف أتباع المدارس النقدية بالهرطقة. فإذا ما احتج عليهم هؤلاء بأن جماعات قديمة لم تؤمن بإنجيل يوحنا، وأن فرقة «كذا..» أنكرته في القرون الأولى. رأيت المقلدين يقدمون إجابة واحدة في كل الأحوال: «ليست هذه الفرقة من فرق المسيحيين، بل هي شيعة ابتدعت ضلالة كفرية. ولم تكن غاية يوحنا الرسول من كتابة هذا الإنجيل سوى استئصال هذه الضلالات» والراسخون في المعرفة منهم قد يسردون أسماء بعض فرق الضلال، مما يجعلهم في نظر مقلديهم أهلاً للتأسي والإقتداء.

لا شك أن الإنجيل الرابع هو أكثر الأناجيل إثارة للجدل. وأكثرها أيضاً اهتماماً من قبل آباء الكنيسة في القديم والحديث، فهو الإنجيل الذي يلي مباشرة اهتمام رجال اللاهوت برسائل بولس. يتساوى في هذا مع أهل التقليد أصحاب الفكر منهم، فقد وجد آباء الكنيسة ضالتهم المنشودة في سطوره الأولى، بينما أصبحت بقية الإنجيل في نظر كثيرين من قبيل

تحصيل الحاصل للأناجيل الأولى.

ونحن كمسلمين نؤمن بالمسيح لا نمانع من الالتزام بفكرة ثبت نسبتها إليه عليه السلام، غير أن التقليديين يصرون على الإيمان بما لا يجرؤ باحث أن يقطع بصحته. ويتجاهلون ما بين كنائسهم من خلافات حول بعض أسفار العهد القديم، ويتجاهلون كذلك الحيرة التي تلازمهم أحياناً حول التمييز بين حديث المتكلم وتعليق الكاتب، إنهم يتجاهلون كل ما يثير شكوكهم حول من كتب هذا السفر أو ذاك، وهكذا تظهر صعوبة مناقشتهم حول صحة إنجيل من أربعة أناجيل، فمسألة صحة أو عدم صحة إنجيل من هذه الأناجيل لا تبدو قابلة للنقاش، والسبب هو أنه قبل كتابة الأناجيل، وظهور ما يعرف بالعهد الجديد بأكثر من قرن كتب بولس عبارة تقول: «كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ» [١].

فأي كتاب كان يقصد بولس بهذه العبارة .؟

قلما تصادف مسيحياً يتردد في أن يجيبك بأن ما يقصده بولس هو الكتاب المقدس المعروف بعهديه القديم والجديد، بدليل أنه يقول: «كل الكتاب» وليس «بعض الكتاب» وأما أهل العلم منهم فيخصون بـ «الكتاب» أسفار العهد القديم دون الجديد.[٢] والنتيجة المنطقية لهذا الاستنتاج هي أن في إمكان النصارى الاقتصار على العهد القديم، طالما أن أسلافهم في عصر بولس وما قبله اقتصروا في الإيمان عليه. وتبقى عبارة «موحى به» فريدة في بابها، فلم يشر إليها أحد قبل بولس ولا بعده. مما يشكك في صحة العهد القديم ناهيك عن الجديد.

وعلى كل الأحوال قد لا نذهب بعيداً عن النتيجة التي توصل إليها باحثون تحرروا من أغلال التقليد، ولربما كانت هذه فرصة مواتية لتلبية رغبة داخلية لا زالت تدفعنا إلى شرح وتوضيح ما انتهوا إليه، فقد توصل كثيرون منهم إلى نتيجة مؤداها النفي المطلق لنسبة الإنجيل إلى أحد تلاميذ المسيح، والذين لا يزالون يشكون منهم في هذه الحقيقة هم في طريقهم إليها، فأمامنا اتجاهات متعددة، وآراء متباينة حول كاتب الإنجيل الرابع، وما سنعرضه عليك الآن هو صورة من الوجه غير التقليدي لهذه الآراء، ولن نخرج في عرضها

---

١ - ٢ تيموثاوس ٣: ١٧

٢ - الدخل إلى العهد القديم القس صموئيل يوسف صـ ١٧ دار الثقافة.

ومناقشتها عن قواعد وأصول البحث العلمي، ولك أيها القارئ أن تراقبنا فيما نقول. ولك أن تحكم علينا بالتحيز إن نقلنا عبارة أو ذكرنا إشارة غير صحيحة النسبة إلى قائلها. فتحت اسم (يوحنا) يقابلنا في العهد الجديد خمسة أسفار وهي:

- إنجيل واحد.
- وثلاث رسائل.
- بالإضافة إلى سفر الرؤيا.

ولعل أهم ما يواجهه اللاهوتيون من أسئلة حول هذه المجموعة هذا السؤال:

هل الكاتب شخص واحد؟

والسؤال الآخر: من كتب هذا السفر أو ذاك من هذه الأسفار الخمسة ؟

والذي يعنينا من هذا وذاك هو الإنجيل الرابع بالذات؟

وفي الإجابة على أول هذين السؤالين لا تكاد تجد عالماً بروتستانتياً يصدق بأن كاتب هذه المجموعة شخص واحد، ولهذا تتعدد الآراء وتتباين المواقف، بحيث تجد من يقول ومن لا يقول، ومن يؤكد ومن لا يؤكد، بل ربما تجد من يثبت تارة وينفي أخرى أن يكون كاتب سفر «كذا..» هو نفسه كاتب أو غير كاتب سفر «كذا..» وبإمكانك أن تفترض في مضمون «كذا..» الأولى والثانية ما شئت من أسماء، فالافتراضات هنا لا تسلك درباً واحداً، ولا تستوعبها ضوابط محددة، بل هي خارجة عن كل قاعدة، ووراء كل منها حكاية تختلف عن الأخرى. فالإنجيل يختلف عن الرسائل، والرسائل يختلف بعضها عن بعض، ثم سفر الرؤيا حكاية مستقلة بذاتها، ولهذا ينبغي أن يتفكك المجموع، وأن يُنْظَر كاتب كل سفر على حالة، وذلك نظراً لتعدد آراء رجال اللاهوت، واختلافهم حول المقبول وغير المقبول، فما قبله التقليديون رفضه المتحررون، وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي لم تكن كل كتابات يوحنا قد حازت القبول، ويحدثنا يوسابيوس عما قُبل وما لم يُقبل منها في عصره فيقول: «إن إنجيله ليس هو الوحيد الذي قبل الآن وفي العصور السابقة بدون نزاع، بل أيضاً رسالته الأولى، ولكن الرسالتين الأخريين متنازع عليهما»[1]

---

[1] - تاريخ الكنيسة (٣ : ٢٤ فقرة ١٧)

فبعد ثلاثة قرون كاملة كان النزاع لا يزال محتدماً حول صحة بعض الأسفار، وإن كان قد حسم لصالح بعضها، إلا أن العديد منها انقطعت أخبارها بسبب تردد الكنيسة في قبولها أولاً، ثم الإصرار على تحريمها وحرقها في النهاية. وحتى يومنا هذا لا يزال الإرباك يسيطر على دارسي اللاهوت كلما طرح سؤال عن «كاتب» سفر من الأسفار المقدسة، فما أحرزه الآباء في الماضي من براهين لم يعد مقنعاً لأبناء عصرنا. وما عاد في إمكان علماء اللاهوت انتزاع براهين جديدة تطمئن المرتابين، أو تقنع المتشككين، بل كلما حاولوا إقناع المترددين شككوا الموقنين، فالمبتدئ الذي تبهره لأول وهلة صورة النسر الذي يشق طريقه في العلاء، يتعثر حاله عندما يدخل معمعة النقاش حول أسقف ليون، وقد يلجأ التقليديون إلى التعسف في إسكاته، كما يضطرون إلى تكرار ما قيل في كل الأحوال.

- الرسائل

هناك ثلاث رسائل منسوبة إلى يوحنا، ونلاحظ أن الرسالة الأولى في ذاتها شيء يختلف عن الثانية والثالثة، وهذا الاختلاف لا يتوقف فقط عند حد طولها عن الرسالتين، ولكنه يتضمن أيضاً الشكل الخارجي لها، فبينما نجد الرسالتين مكتوبتين بالطريقة الكلاسيكية للرسائل المتبعة في ذلك الوقت، أي أن الكاتب يذكر اسمه واسم المكتوب إليه والتحيات، نجد الرسالة الأولى لا تظهر هكذا، فلا يوجد فيها اسم للكاتب ولا المكتوب إليهم، ولا توجد فيها خاتمة رسائل أيضاً، ولولا بضعة جمل تظهر فبها مثل: «أكتب..» أو «كتبت إليكم..» لما اعتقد أي دارس أنها رسالة أصلاً.[1] فمن يكون إذاً كاتب هذه الرسالة ؟

يقول الدكتور فهيم عزيز: «هذا هو السؤال الصعب في هذه الرسالة، لأنها لا تكشف لا تصريحاً ولا تلميحاً عن الكاتب بخلاف الرسالتين الأخريين».[2] واللتين بمجرد أن ننتقل إليهما نجد كاتبهما يعرفنا بنفسه بأنه «الشيخ».

في الرسالة الثانية «الشيخ إلى كيرية المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق ولست أنا فقط بل أيضا جميع الذين قد عرفوا الحق»

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد صـ ٥٧٥ ، ٥٧٦

٢ - السابق صـ ٥٧٧

وفي الرسالة الثالثة «الشيخ إلى غايس الحبيب الذي أنا أحبه بالحق»

وبصرف النظر عن المقصود بـ «الشيخ» في هاتين الرسالتين فإنهما يبدوان من الصغر بحيث لا تؤثران كثيراً في دراستنا، ويُرَجَّح أن يكون كاتبهما ليس هو نفسه كاتب الرسالة الأولى، فالرسالة الثانية كتبت إلى «كيرية المختارة» ومع أن الاسم هو اسم علم يطلق على سيدة، إلا أن القس فهيم عزيز يرى أن وصفه لها في الرسالة يوحي بأنها كنيسة وليست سيدة. والواقع يرجح الاحتمال الأول، إذ لم نسمع عن كنيسة بهذا الاسم، وليس عيباً أن يبعث أحد الآباء برسالة إلى امرأة لها أولاد، ولك أن تفترض أن ذلك يرجع إلى جهودها التبشيرية، وربما كانت بينها وبين الكاتب قرابة تسمح له بهذا الخطاب المترع بالمشاعر.

وأما الرسالة الثالثة فيراها القس فهيم عزيز على العكس من الرسالة الثانية مكتوبة إلى شخص اسمه (غايس) وكل الرسالة تنطق بأنه لا يمثل جماعة أو كنيسة. وهذه قرينة ترجح ما رجحناه في الرسالة الثانية، وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي كانت هاتان الرسالتان لا زالتا محل نزاع ما بين قبول ورفض، وقد سجل هذا التردد يوسابيوس في كتابه «تاريخ الكنيسة» كما سبق أن ذكرنا.

ويتضح من دراسة كافة الوثائق والكتب أنه مع بداية القرن الثاني من ميلاد المسيح عليه السلام لم تكن أسفار العهد الجديد جميعها قد كتبت، وحتى بداية القرن الرابع لم تكن هذه الأسفار قد جمعها كتاب واحد، فلم تكن الكنائس قد اتفقت على ما يسمى اليوم بالعهد الجديد بأسفاره السبع والعشرين، بل ربما عرفت بعض الكنائس في هذه الفترة المبكرة من التاريخ المسيحي أسفاراً لم تعد معروفة الآن، فمثلاً كان مضافاً على إحدى المخطوطات القديمة كتابان يوصفان باسم «رسائل القديس أكليمندس الروماني»

وتحتوي المخطوطة السينائية التي نسخت حوالي القرن الرابع الميلادي بالإضافة إلى أسفار العهد الجديد كتاب «الراعي» لمؤلفه هرماس و«رسالة برنابا»[1] والتي ظلت قانونية فترة طويلة، ويرجع إليها أوريجانوس كإحدى الرسائل الجامعة، ولكن يوسابيوس القيصري في كتابه «تاريخ الكنيسة» واعتبرها منحولة، ثم نعتها بعد ذلك بأنها مشكوك في

---

١ - دراسات في آباء الكنيسة تأليف أحد رهبان برية القديس مقاريوس صـ ٤٣

نسبتها إلى برنابا، والقديس جيروم في كتابه «حياة مشاهير الرجال» اعتبرها أبو كريفه. ولم يمنع هذا استخدامها من قِبَل الآباء العظام أمثال أكليمندس الإسكندري الذي يقتبس منها كثيراً[1] ولا يلزمك أن تعرف محتويات هذه الرسائل، ويكفي أن تعلم أنها كانت قانونية في وقت كانت هناك أسفار أخرى خارج دائرة الاعتراف، مثل سفر الرؤيا ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة، وبطرس الثانية. فسبحان مغير الأحوال!

وهكذا يتبين لك أنه حتى القرن الرابع كانت الكنيسة لا تزال تمارس دورها في تشكيل العهد الجديد، إضافة وحذفاً، تقديماً وتأخيراً.. ويتفق التقليديون على أن ذلك قد تم بإرشاد الروح القدس.

- سفر الرؤيا

وإذا فتشنا الأسفار الخمسة المنسوبة إلى يوحنا فلن يظهر اسم الكاتب إلا في هذا السفر وحده، ففي العدد الرابع من الإصحاح الأول «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا..»

ويأتي بعد ذلك العدد التاسع ليعرفنا الكاتب بنفسه بصورة أوضح فيقول: «أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح».

ومع ذلك فهناك اعتراضات تقوى يوماً بعد يوم من قبل اللاهوتيين ضد نسبة سفر الرؤيا إلى يوحنا الرسول، وضد صلته بالإنجيل الرابع ككتابين لكاتب واحد. وهذا أمر لم يبدأ بظهور المدارس النقدية الحديثة، ولا بظهور المتحررين من التقليد الكنسي، وإنما بدأ مع ظهور الآباء الأولين، فالكاهن الروماني «غايس» نسب هذا الكتاب إلى كيرنثيوس نظراً لما فيه من عقيدة الألف سنة، وكذلك فعل الجماعة المسماة «ألوجين» نظراً لما فيه من تناقض بينه وبين الكتب الأخرى في العهد الجديد.

ويأتي ديونسيوس أسقف الإسكندرية (٢٦٤م) فينكر بدوره نسبة هذا الكتاب إلى كيرنثيوس وينسبه إلى شخص تقي قديس يدعى يوحنا، ولكنه ليس يوحنا الرسول الذي

---

١ - السابق صـ ١٠٢

كتب الإنجيل والرسائل الثلاثة.[1] كما يعتقد.

فهذه شهادات متضاربة، وهي تضرب بالتقليد ألآبائي عرض الحائط، إذ تسبقه برفضها لما قبله من أسفار، ولا زال يُعْتَمد عليها في إنكار نسبة سفر الرؤيا إلى يوحنا وعدم صلته بالإنجيل الرابع.

والحق أن إنكار سفر الرؤيا يأتي بعد تردد حصل بينه وبين الإنجيل، وطبقاً للدراسات الجادة لا يمكن أن يكون السفران صادرين عن كاتب واحد، ولهذا فضل كثيرون التخلي عن سفر الرؤيا، وقلما تجد مثقفاً يمسك بالسفرين في يد واحدة، ويكاد الاتجاه العام ينحصر في قبول الإنجيل، وهو ما يمثله ديونيسيوس، الذي ساق عدداً من حجج الرافضين لسفر الرؤيا في العصور الأولى، ولم ينكر أن مؤلفه يدعى يوحنا، ولكنه يعتقد أنه ليس هو الرسول ابن زبدي أخو يعقوب كاتب إنجيل يوحنا والرسالة الجامعة. وأنقل إليك هنا ما حكاه يوسابيوس من كلامه بنصه:

فـ «بعد هذا تحدث ديونيسيوس هكذا عن رؤيا يوحنا:

«لقد رفض البعض ممن سبقونا السفر وتحاشوه كلية منتقدينه إصحاحاً إصحاحاً، ومدعين بأنه بلا معنى، وعديم البراهين، وقائلين بأن عنوانه مزور، لأنهم يقولون إنه ليس من تصنيف يوحنا، ولا هو رؤيا لأنه يحجبه حجاب كثيف من الغموض، ويؤكدون أنه لم يكتبه أي واحد من الرسل أو القديسين أو أي واحد من رجال الكنيسة، بل إن كيرنثيوس مؤلف الشيعة التي تدعى الكيرنثيون إذ أراد أن يدعم قصته الخيالية نسبها إلى يوحنا.

وهذا ما نادى به: إن ملكوت المسيح سوف يكون ملكوتاً أرضياً ولأنه كان منغمساً في ملذات الجسد وشهوانياً جداً، فقد علم بأن الملكوت سوف يكون قائماً على هذه التي أحبها، أي في شهوة البطون والشهوة الجنسية، أو بتعبير آخر في الأكل والشرب والتزوج والولائم والذبائح وذبح الضحايا ظناً منه بأنه تحت هذا الستار يستطيع إشباع شهواته بطريقة أكثر قبولاً.

على أنني لم أتجاسر أن أرفض السفر لأن الكثيرين من الأخوة كانوا يجلونه جداً،

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد صـ ٦٥٣

ولكنني أعتبر أنه فوق إدراكي، وأن في كل جزء معاني عجيبة جداً مختفية لأنني إن كنت لا أفهم الكلمات فأظن أن وراءها معنى أعمق.

وإنني لا أريد أن أقيسها أو أحكم عليها بعقلي، بل أعتبرها أعلى من أن أدركها، تاركاً مجالاً أوسع للإيمان، ولست أرفض ما لا أدركه، بل بالعكس أتعجب لأنني لا أفهمه

وبعد هذا يفحص كل سفر الرؤيا، وبعد أن يبرهن استحالة فهمه حرفياً يبدأ القول: «بعد أن أكمل النبي كل النبوة، كما دعيت يصرح بغبطة من يحفظونها وغبطة نفسه، إذ يقول: طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب، ولي أنا يوحنا الذي كان ينظر ويسمع هذا.

لأجل هذا لا أنكر أنه يدعى يوحنا، وأن هذا السفر من كتابة شخص يدعى يوحنا، وأوافق أيضاً أنه من تصنيف رجل قديس ملهم بالروح القدس، ولكنني لا أصدق بأنه هو الرسول ابن زبدي أخو يعقوب كاتب إنجيل يوحنا والرسالة الجامعة».

وبعد ذلك يضيف قائلاً: «ويوحنا لم يتحدث قط مشيراً إلى نفسه، أو إلى شخص آخر، أما كاتب سفر الرؤيا فيقدم نفسه في البداية، إعلان (رؤيا) يسوع المسيح الذي أعطاه له ليرى عبيده سريعا، وهو أرسله وَبَيَّنَهُ بيد ملاكه لعبده يوحنا الذي شهد بكلمة الله، وبشهادته بكل ما رآه.[١]

ثم كتب رسالة أيضاً: «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في أسيا نعمة لكم وسلام»[٢]

أما الإنجيلي فإنه لم يصدر حتى الرسالة الجامعة باسمه، بل يبدأ بسرد الرؤيا الإلهية نفسها دون أية مقدمة، الذي كان من البدء، الذي سمعناه ورأيناه بعيوننا، لأنه من أجل إعلان كهذا بارك الرب أيضاً بطرس قائلاً: «طوبى لك يا سمعان بن يونا لأن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي السماوي».

واسم يوحنا لم يظهر حتى في رسالتي يوحنا الثانية والثالثة المشهورتين رغم قصرهما، بل تبدآن بهذه الكلمة: «الشيخ» دون ذكر اسم، أما هذا المؤلف فإنه لم يكتف بذكر اسمه مرة ثم يبدأ مؤلفه، بل يكرره ثانية. «أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت

---

١ - رؤيا ١ : ١

٢ - رؤيا ١ : ٤

يسوع المسيح وصبره، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله وشهادة يسوع» وقبيل الختام يتحدث هكذا: «طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب، ولي أنا يوحنا الذي كان ينظر ويسمع هذا».

ولكن يجب التسليم بأن كاتب هذه الأمور يدعي يوحنا كما يقرر هو. ولو أنه غير واضح من هو يوحنا هذا، لأنه لم يقل كما قيل مراراً في الإنجيل، إنه هو التلميذ المحبوب من الرب، أو الذي اتكأ على صدره، أو أخ يعقوب أو الذي شهد وسمع الرب.

لأنه لو أراد أن يبين نفسه بوضوح لذكر هذه الأمور، ولكنه لم يذكر منها شيئاً، بل تحدث عن نفسه كأخينا وشريكنا وشاهد ليسوع ومغبوط لأنه رأى وسمع الرؤى. وفي اعتقادي أنه كان هنالك كثيرون بنفس اسم الرسول يوحنا، الذين بسبب محبتهم له وإعجابهم به وإقتدائهم به، ورغبتهم في أن يكونوا محبوبين من الرب مثله، اتخذوا نفس اللقب كما يسمى الكثيرون من أبناء المؤمنين بولس وبطرس.

فمثلاً يوجد أيضاً يوحنا آخر ملقب مرقص، ذكر اسمه في سفر أعمال الرسل، أخذه برنابا وبولس معهما، وقيل عنه أيضاً، وكان معهما يوحنا خادماً، ولكنني لا أقصد القول أنه هو الذي كتب هذا السفر لأنه لم يكتب أنه ذهب معهما إلى آسيا بل قيل: ولما أقلع من بافوس بولس ومن معه أتوا إلى برجة بمفيلية، وأما يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم».

ولكنني أعتقد أنه كان شخصاً آخر ممن كانوا في أسيا، إذ يقولون: إنه يوجد نصبان تذكريان في أفسس يحمل كل منهما اسم يوحنا.

ومن مجموعة الآراء، ومن الكلمات وترتيبها يستنتج أن هذا يختلف عن ذلك، لأن الإنجيلي والرسالة يتفقان مع بعضهما، ويبدآن بأسلوب واحد.

الأول يقول: «في البدء كان الكلمة».

والثاني يقول: الذي كان من البدء.

الأول يقول: والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب.

والثاني: يقرر نفس الأمر مع تغيير طفيف، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت، لأنه يبدأ بهذه متمسكاً بها احتجاجاً على من قالوا: إن الرب لم يأت في الجسد، ولذلك حرص أيضاً على أن يقول: وقد رأينا

ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عن الأب وأظهرت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به أيضاً.

ثم إنه يتمسك بهذا ولا يتحول عن موضوعه، بل يناقش كل شيء تحت نفس رؤوس المواضيع والأسماء، سوف نذكر بعضها بإيجاز.

والباحث المدقق يجد هذه التعابير تتردد مراراً في كليهما: الحياة النور، الانتقال من الظلمة، وبصفة مستمرة أيضاً ترد هذه العبارات، الحق، النعمة، الفرح، جسد ودم الرب، الدينونة، مغفرة الخطايا، محبة الله من نحونا، الوصية أن نحب بعضنا بعضاً، وأن نحفظ كل الوصايا، دينونة العالم وإبليس، وضد المسيح، وموعد الروح القدس، التبني لله، الإيمان المطلوب منا بصفة مستمرة، الأب والابن، هذه وردت في كل مكان، والواقع أنه يمكن بوضوح أن يرى نفس الطابع الواحد يحمله الإنجيل والرسالة.

أما سفر الرؤيا فيختلف عن هذه الكتابات وغريب عنها، ولا يمس موضوع السفرين من قريب أو بعيد، ويكاد يخلو من أي تعبير يوجد فيهما» أ. هـ [١]

هذا ما ينقله يوسابيوس من كلام ديونسيوس، وبه يقطع أن مؤلف سفر الرؤيا ليس هو نفسه مؤلف الإنجيل، ولكثرة من انضموا إلى هذا الرأي أصبح لدينا - كما يقول القس فهيم عزيز- شبه اتفاق بين علماء الكتاب المقدس على أن كاتب الإنجيل لا يمكن أن يكون هو نفسه كاتب سفر الرؤيا. بمعنى أن من كتب في سفر الرؤيا «أنا يوحنا أخوكم ..» ليس هو من كتب «في البدء كان الكلمة..» فكل منهما يعكس شخصية تختلف عن الأخرى، فبينما يستمر كاتب الإنجيل في إخفاء اسمه وشخصيته يتكلم كاتب سفر الرؤيا عن عمله كنبي، ويفصح عن اسمه (يوحنا) زد على ذلك الثراء الواسع في الاصطلاحات والمواضيع الذي يشتهر به الإنجيل مثل النور والحياة والحق والنعمة مما لا يظهر في سفر الرؤيا.

إن هذا الرأي ليس حديثاً، ولكنه يرجع كما أوضحنا بالنقل عن يوسابيوس إلى ديونسيوس، ويرجع كذلك إلى أوريجانوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، الذي بنى ذلك على الاختلاف الواضح بين لغة الكتابين، فبينما تظهر لغة الإنجيل وأسلوبه

---

١ - تاريخ الكنيسة ك: ٧ ف ٢٥

بسيطاً صحيحاً في تراكيبه وقواعده اللغوية، تأتي لغة سفر الرؤيا وأسلوبه على النقيض من ذلك، فالأسلوب قوي وحي ولكنه لا يلتزم بالقواعد اللغوية.

- كاتب الإنجيل.

وإذا تأكد للأقدمين أن كاتب سفر الرؤيا ليس هو الإنجيلي، فهل تأكد لديهم أن الإنجيلي هو نفسه يوحنا بن زبدي الصياد ؟

كثيرون حاولوا التثبت من هذا التقليد، وكان الفشل مصير كل محاولة حتى الآن، فبعد دراسات واسعة انتهى الدارسون إلى أنه: «لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل»

وهذه النتيجة صحيحة أو غير صحيحة يقيم الله ﷻ بها الحجة على أهل الإنجيل، ونحن في دراستنا نأمل أن نقاوح في رأي تكشف لنا خطؤه، وأن لا نقع في ما وقع فيه إخواننا من حيرة ويأس، بل ننتهي سريعاً إلى ما يريح صدورنا، ويوفر لنا الوقت والطاقة، فلنجمل بداية ما انتهى إليه السابقون من آراء حول كاتب الإنجيل الرابع، فبصرف النظر عن أية تفاصيل انتهى السابقون إلى اتجاهين مختلفين:

الاتجاه الأول: ويقطع بأن يوحنا الرسول هو الذي كتب هذا الإنجيل.

الاتجاه الثاني: ويذهب إلى أن يوحنا الرسول لم يكتب الإنجيل.

وقد سار هذان الاتجاهان المتناقضان متوازيان جنباً إلى جنب منذ ظهور الإنجيل وإلى يومنا هذا، وتوالى المدافعون والمعارضون للإنجيل، فلا يكاد يخلو عصر إلا وتجد فيه من يتبنى أحد هذين الاتجاهين، وقد سبق وعرضنا للاتجاه الأول في الفصل السابق، والآن جاء دور الكشف عن تفاصيل الثاني، والذي يرفض أتباعه ما تمسك به التقليديون من أدلة خارجية وداخلية. ويقدم العديد من الردود والحجج المنطقية، وعلى رأس هذا الاتجاه تأتي المدرسة الألمانية التي وضع بولتمان بصمته عليها. «فهي لا تزال تحت تأثير شرحه لإنجيل يوحنا الذي أرجع أصوله إلى التعاليم الغنوسية، وقدم تحليله ببراعة العقل الذي أخذ بالعقول، وبحسب رأي الأب متى المسكين فإنه قد أحلَّ حذق النقد بدل قناعة النعمة، ويحسبه العلماء المفتونون به قد بلغ القمة في أسلوب الشرح اللاهوتي التقدمي.

أما رأي المتحفظين والكنسيين من زملائه الألمان فهو أنه قد أصاب الذين يتتبعونه بالغثيان بسبب تعقيداته في إرجاع أصول الإنجيل إلى عديد من الجذور اليونانية والغنوسية

وحتى الإيرانية والوثنية !! مما جعل النقد الذي طال زمنه في هذا المجال فوق الاحتمال»[١]

ورغم محاولات القساوسة والوعاظ التقليديين للتقليل من الوزن الروحي لأتباع المدارس النقدية الحديثة إلا أن من أفكارهم ما هو جديرٌ بالاهتمام والدراسة، ومن خلال عرضنا لمذهبهم سوف نقتصر على التدقيق في الرأي ونقيضه، وسوف نتخلى عن عبارات المدح والثناء، كي لا تأخذ علينا ما نأخذه نحن دائماً على التقليديين من المبالغة في وصف إيمان وتقوى المدافعين عن الإنجيل تارة، والتهوين من شأن مناوئيهم تارة أخرى.

لقد اعتاد بعض اللاهوتيين أن يلمزوا العصور الحديثة بالإلحاد نظراً لما جادت به من دراسات وأفكار تقلل من قيمة الأسفار المقدسة، وشاع في مؤلفات التقليديين وصف العصور الماضية بـ «عصور الإيمان» مع أن إنكار هذه الكتب كان أسبق من الإيمان بها، فهناك جماعات قبل مجمع نقيه أنكرت نسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول ومنها طائفة «ألوجين» أي الذين ينكرون «الكلمة» وقد وسمتهم الكنيسة بالهرطقة، وكتب ضدهم هيبوليتس مدافعاً عن الإنجيل وعن نسبته إلى الرسول.

وقد رسم مجمع «نقيه» للكنيسة طريقها بعد أن كادت تسبح في كل اتجاه، وحدد لها المقبول وغير المقبول من العقائد، وعلى أساس ذلك تحدد المقبول وغير المقبول من الأسفار، فأصبحت العقيدة التي حسمتها المجامع هي الأساس للحكم على صحة هذا السفر أو ذاك.

وعندما جاء الإصلاح الكنسي فتح أبواب النقاش حول المجامع، وفي البداية حسب المصلحون أن العصمة للكتاب المقدس وحده، لكن سرعان ما انتقل النقد من عصمة المجامع إلى عصمة الكتاب المقدس. وإلى الإنجيل الرابع بالذات، مع أن رجال الإصلاح كانوا قد سبقوا وجعلوا هذا الإنجيل في أعلى درجات الأهمية «فكل أجزاء الكتاب المقدس — عندهم – موحىً بها ولها السلطان. ولكن ليس لكل الأجزاء أهمية متساوية، فالتشريع الموسوي في سفر اللاويين ليست له القيمة اللاهوتية الروحية التي لإنجيل يوحنا، أو حتى الوصايا

---

١ – المدخل إلى إنجيل يوحنا الأب متى المسكين صـــ ٣٧٧ ، ٣٧٨.

العشر»[١] فمقدمة إنجيل يوحنا بدت للوهلة الأولى في عين البروتستانت أصح ما في الكتاب المقدس، ولكن سرعان ما دب النقاش حول الإنجيل من مقدمته إلى خاتمته، وسرعان ما «بدأ النقاش في التباين بين الأناجيل الثلاثة والإنجيل الرابع، هذا النقاش افتتحه العالم (لُكْلِرْك ١٦٥٧ – ١٧٣٦م) مع العالم لامب، واستمر على مدى قرن من الزمان حتى بلغ حد الصراع. ثم هدأت حدته إلى أن أشعله مرة ثانية العالم الإنجليزي (إيفانسون) وذلك سنة ١٧٩٢م ويأسف التقليديون لأنه بالرغم من تفاهة وزنه الروحي فقد كان أثره مسموما في أوربا كلها.[٢]!

ثم اتسعت دائرة الاعتراض على الإنجيل في نهاية القرن التاسع عشر، واعترض كثيرون على الشهادتين الداخلية والخارجية، وقدموا حججهم التي عجزت كافة الجهود الكنسية عن وضع حد لها. ولا زال القساوسة التقليديون يجدون صعوبة في إقناع تلامذتهم بفكرة إيرينيُوس، إذ يظهر أن عقول هؤلاء التلاميذ أقل من أن تقبل ما قبله الأساتذة، والإجابة على من كتب أو من لم يكتب لا تحتاج إلى هذه التعقيدات التي أعياهم تحصيلها، كما شق عليهم استيعاب الأدلة الداخلية والخارجية. ولم يعد يردع عقول الطلاب مبالغة الأساتذة في وصف إيمان وتقوى المدافعين عن الإنجيل تارة، والتهوين من شأن مناوئيهم تارة أخرى.

ومع كل ذلك فلا مناص من المناقشة..

ولا مفر من الجدال.. لكن بالتي هي أحسن !

– مناقشة الأدلة الخارجية

لقد اعتاد أتباع التقليد سرد أقوال الآباء حول الإنجيليين الأربعة بطريقة لا تمكن الدارسين من فصل الحقيقة عن الخيال، وقد لوحظ اختلافهم في تحديد الزمن الذي عاش فيه هؤلاء الآباء، وقد يعزى ذلك إلى غموض هذه المرحلة من تاريخ المسيحية، ولكن من الضروري أن يتفق الباحثون على تواريخ محددة، تمكنهم من معرفة ما إذا كان كاتب هذا الإنجيل أو ذاك هو أحد الرسل أم أحد الآباء !

---

١ – تفسير الكتاب المقدس تأليف جماعة من اللاهوتيين حـ ١ صـ ١٦ ط / ثالثة ١٩٨٦ بيروت

٢ – وهو ضد الثالوث ولا يؤمن بلاهوت المسيح ، ويُعتبر أول من أشعل الهجوم ضد إنجيل يوحنا ، منكراً أن يكون القديس يوحنا هو كاتبه ، ولا يؤمن إلا بإنجيل القديس لوقا.

وقد يعزى إلى الأب قولاً يشيع في أغلب المصادر عدا كتاباته، وهناك من آباء القرن الأول مَنْ يستخدم عبارات وردت في الإنجيل، وقد تنتاب الحيرة الباحثين: هل استخدم الآباء الإنجيل الرابع أم أن كاتب الإنجيل هو الذي جمع ما كتبه هؤلاء الآباء واستخدمه في الإنجيل؟ فيأتي تحديد «الزمن» ليؤكد أحد الاحتمالين.

ونظراً لما بين النتيجتين من تباين فقد استوقفتني مسألة «الزمن» لبعض الوقت، ذلك أن ما كنت قد جمعته من مادة علمية تتعلق بشهادة الآباء لا يلبي ما أنشده من دقة، فتواريخ حياة الآباء متضاربة، ولا يكاد يتفق مصدران على تاريخ واحد، وهكذا لا نعرف مَنْ تأثر بمَنْ، فمثلاً إيرينْيُوس الذي اعتبر حلقة وصل بين الغرب والشرق، واعتمد عليه التقليد وبشكل أساسي في الدليل الخارجي، لا نعرف بالتحديد متى ولا أين ولد، ولقد ظن المؤرخون أنه ولد بين سنتي ١٣٠، ١٥٠م.[1] والنتيجة التي يمكن للباحث أن يبنيها على هذا الاحتمال المفتوح لن تكون واحدة بين أقل وأعلى تقدير، وتبقى هذه وتلك مجرد احتمالات.

ونفس المشكلة نواجهها في تحديد تاريخ كتابة الإنجيل، حيث تتنوع الاجتهادات:

رأي يقول: إن الإنجيل كتب قبل عام ٧٠ م.

وآخر يقول: إنه كتب ما بين ٩٠ — ١١٥م

وثالث يرى: أن كتب بعد عام ١٧٥ م.

وبين هذه الآراء الكثير من التفاصيل قد لا يكون من المفيد الدخول فيها. وعلى هذا لا يمكن ضبط تاريخ كتابة الإنجيل مع تاريخ الآباء، فلا يمكن القول: إن إنجيل يوحنا كتب قبل أو بعد بوليكاربوس، لأننا لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاد أو وفاة بوليكاربوس، كما لا نعرف تاريخ كتابة الإنجيل، وكل محاولة لربط هذا بذاك إنما هي محاولة لربط الوهم بالخيال.

وهكذا اتضح، ومن خلال ما توفر لدي من معلومات أن العودة إلى التواريخ ومحاولة التدقيق فيها لن تأتي بجديد، فتواريخ الآباء مهما قلبت في مصادرها متضاربة بين مرجع

---

١ - تاريخ الفكر المسيحي الدكتور / حنا جرجس الخضري المجلد الأول : صـ ٤٣١ ط/ دار الثقافة

وآخر، وكلها تقريبية: «بداية القرن أو منتصفه أو نهايته»، وإن أردت التحقق واستبعاد غير الواضح منها، فلن يبقى أمامك شيء، فمع كثرة الكتب تبقى المعلومات كما هي، ومن المستحيل أن تقف على مؤلف إنجيل من خلال مطالعة كتب يختلط فيها تاريخ الميلاد بتاريخ الوفاة. والذين قالوا إن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا اعتمدوا على التقليد. والرافضون احتجوا بعدم وضوح البداية الزمنية أو المكانية لهذا التقليد. وهكذا أصبحت كتب الآباء لا تثبت الرأي ولا تنفي نقيضه، وهي مع ذلك مشحونة بأخبار تفصيلية لا قيمة لها، وهدفها الأساسي إظهار الآباء بمظهر المدافع عن الدين، فلم يكن التيقن العلمي مرامها، وليس أمامنا اليوم من خيار سوى الرجوع إليها، والأخذ عنها، ولكن مع محاولة استخدامها في السياق الصحيح.

ليست القضية أني راغب في الطعن في المسيحية، فلا والله ما هذا بقصدي، ولا ودت يوماً أن يكون هدف البحث العلمي بمثل هذه الصورة من التفاهة. وسنعرض الآن مواقف آباء الكنيسة، ليظهر لك كم يغالط التقليديون أنفسهم بسرد قوائم طويلة من أسماء ليس لأصحابها من الأمر سوى أنهم سمعوا عن كاتب الإنجيل الرابع مثلما تسمع أنت عنه الآن. وأنت خبير بأنه لا فرق بين أن تسمع عن أحد رسل المسيح في القرن الرابع أو الأربعين.

إننا نعتقد أن شهادة هؤلاء الآباء وإن بدت لبعض التقليديين البسطاء في صف الإنجيل إلا أنها في الحقيقة ضده، فإن مدوني الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ مثلاً كانوا يشترطون بالإضافة إلى المعاصرة التلاقي الفعلي، بين الناقل والمنقول عنه، وهؤلاء الآباء رغم سعة الإمبراطورية وتعدد لغاتها لم يشترطوا حتى المعاصرة، فبإمكان الميت أن يسمع من حي لم يمت، ومع ذلك لا تعثر على ما يشير إلى أن أحد الآباء قد تعرف على يوحنا وجهاً لوجه. ومهما قلبت في ما وصلنا من كتابات تلك الفترة، في الدين أو في التاريخ فلن تجد كاتباً تشجع على ادعاء معرفته بيوحنا تلميذ المسيح عليه السلام.

ورغم ذلك كثيراً ما يحشر التقليديون أسماء لا نعرف الزمان ولا المكان الذي ولدوا أو ماتوا فيه، وربما حققت وفرة الأسماء أمنية كثيراً ما داعبت خواطرهم، فكتبهم لم يتوقف نقلها على عدد محدد من الشهود، وما كانت المشكلة في عدد الشهود بقدر ما تمثله شهادتهم من أهمية، ونحن الآن ومع بعض الأسماء التي وضعت على قائمة الشاهدين نصل

إلى حد الاقتناع الكامل بأن الإنجيل الرابع لم يكتبه أحد رسل المسيح ﷺ، فاختراع الأسماء ليس عسيراً ولكنه لن يحل المشكلة، إذ تبقى الأسماء أسماءً حتى تظهر الحلقة التي تربط الآباء في أعماق الإمبراطورية بالرسل في أورشليم.

وبينما التاريخ الكنسي لا يقدم معلومات دقيقة عن آباء القرن الأول، يخترع رجال اللاهوت في الكنائس التقليدية عدداً من الأسماء، ويجعلون لكل اسم قصة وحكاية تدور حول صباه ومعجزاته، وكثرة المعلومات من هذا النوع مثل قلتها، فلم يتحدث أحد أو حتى يشر إلى كاتب الإنجيل الرابع حتى نهاية القرن الثاني.

ولئن استشهد أحدهم - كما يقولون - ببعض نصوص الأناجيل في كتاباته فإن هذا لا يدل على أنه قد عرفها، وربما يدل على أن الإنجيليين هم الذين عرفوا كتاباته. ومنها كتاب «الراعي»[1] الذي ظلت الكنيسة تقدسه أكثر من قرنين ثم لما رأت حذفه حذفته في هدوء!

ومن الأسماء التي يطرحها التقليديون كشهداء على كاتب الإنجيل «إغناطيوس» أسقف إنطاكية، وقد كتب جملة رسائل لا تزال موجودة، فيها عبارات من الأناجيل ورسائل الرسل. ولكنه لا يحدد كاتب الإنجيل، لا بالاسم ولا بالصفة، فليس في هذا حجة، لا لصالح الأناجيل ولا ضده، فكتابة فقرة أو أكثر تصادف وجودها في إنجيل من الأناجيل ليست بدليل على أن كاتبها قد عرف هذا الإنجيل، أو عاش قبل أو بعد كتابة الإنجيل، ولك أن تقول إن كاتب الإنجيل الرابع قد عرف كتابات هؤلاء الآباء، ولك أن تقول إن متى عرف إنجيل مرقص والعكس، ومثل هذا مع لوقا ومتى، ومع مرقص ولوقا، لأن كلاً من هؤلاء كتب أعداداً كتبها الآخر، وقد يكون ثمة مصادر مشتركة أخذوا عنها دون أن يعرف أحدهم ما عند الآخر. فشجرة النسب والخلاف في تفاصيلها بين متى ولوقا وعدم وجودها أصلاً في مرقص ويوحنا لهو دليل على أن الإنجيليين الأربعة لم يعرف أحدهم ما كتبه الآخر. وقد يكون هرماس وأكْلِيمَنْدُس وإغناطيوس عرفوا أو كتبوا بعض الوثائق التي وقعت في يد الإنجيليِّ الرابع، وربما ساهموا في صياغة وتأليف هذا الإنجيل بطريق مباشر، وربما

---

١ - ومؤلفه هرماس، كان معاصراً لبولس، ورد اسمه ضمن مجموعة أرسل إليهم بولس بتحياته وهم «اسينكريتس فليغون هرماس بتروباس وهرميس وعلى الأخوة الذين معهم». رومية ١٦: ١٤.

نقل عنهم كاتب الإنجيل، أو اشترك معهم في بعض المصادر، وفي كل الأحوال لن يكون هو يوحنا الرسول.

وأما آباء القرن الثالث فقد وجدنا علماء اللاهوت يقدمونهم في بداية القائمة تارة وفي وسطها تارة أخرى، وسوق الأدلة بهذه الطريقة لهو دليل على عدم قناعتهم بها، ودليل على الفشل في البرهنة على اسم كاتب الإنجيل.

وعلى كل الأحوال جاء موقف آباء القرنين الثالث والرابع مردداً لعبارة إِيرِينْيُوس، ومنهم أوريجانوس الذي وُلد في مصر، سنة ١٨٤ وتوفي سنة ٢٥٣ م حسب بعض المصادر، واشتهر بالعلم حتى كان فلاسفة الوثنية يعرضون مؤلفاتهم عليه لتنقيحها وتهذيبها، وفسر الكتب المقدسة، وله مواعظ، وقِسْ عليه ديونيسيوس أسقف قيصرية وغيرهم، فإن هؤلاء هم أساتذة الوثنية ابتداءً، وقديسو المسيحية انتهاءً، وهم الذين صححوا تعاليم المسيحية على الفلسفة تارة، وصححوا قواعد الفلسفة على تعاليم الإنجيل تارة أخرى، فإذا ما استشهدوا بنصوص من الإنجيل فلا قيمة لذلك في إثبات أن كاتبه هو يوحنا، أو غيره، لأن قصة المسيح عليه السلام في هذه الفترة تفرقت عناصرها في الأناجيل وغير الأناجيل، وصارت بين مجموع في قصص ومفرق في رسائل وتفاسير.

وفي القرن الرابع يكرر الآباء كذلك عبارة إِيرِينْيُوس، وأبرزهم على الإطلاق هو يوسابيوس أسقف قيصرية وقد مات سنة ٣٤٠م، ويتهمه القمص مرقص داود في مقدمة ترجمته لكتابه «تاريخ الكنيسة» بالانحراف عن المنهج المستقيم، والتأثر إلى حد كبير بالآراء الأريوسية التي كانت شائعة في عصره. ولكن الفضل يرجع إليه في كل ما جرى بعده من بحوث. فقد جمع في كتابه كل ما كان قبله، ورجع إليه كل من جاء بعده، وحاول باعتباره مسيحيا قبل كل شيء أن يبرهن على سلامة الأسفار التي يؤمن بأنها مقدسة. وإذ أحس بالعجز عن الخروج بما يقطع بصحة إيمانه تحصن بالتقليد، وجعل من الاحتمالات براهين، ولا ننسى أن تاريخه كُتب قبل مجمع نقيه مما لا يضع لوماً عليه بجنوحه إلى الأريوسية، وإن لم يتضح لنا هذا من كتاباته.

○ آباء القرن الثاني:

في القرن الثاني الميلادي يظهر الإنجيل الرابع على خلاف بين العلماء في تحديد الفترة

التي ظهر فيها، ويمكننا تقسيم شهادة الآباء في هذا القرن إلى نوعين:

الأول: وهو يختص بأولئك الذين ذكروا عبارات في رسائلهم أو مؤلفاتهم مثل تلك التي جاءت في الإنجيل، وقد اعتبر هؤلاء مستشهدين بالإنجيل على أساس أنهم قد جاءوا بعد كاتبه، وبالتالي فهم مقرون بصحة الإنجيل وبصحة نسبته إلى يوحنا، ويواصل أهل التقليد سرد قوائم طويلة من أسماء هذه الفئة حاسبين أنها تدعم التقليد، ولكن بعض هؤلاء لا علاقة لهم بالإنجيليين لا من قريب ولا من بعيد، كـ «جستن الشهيد».[1] الذي يخبرنا بأن المسيحيين كانوا يتعبدون بتلاوة الأناجيل في معابدهم، ولكنه عندما يتكلم عن يوحنا الرسول لا يشير إلى الإنجيل نفسه مع أنه ينسب إليه سفر الرؤيا، كذلك يقتبس فيلمو (١٦٥م) الذي من ساردس «عن آلام المسح» من الإنجيل في عظاته، ولكنه لا يشير إلى اسم كاتبه.

وثاوفيلس أسقف إنطاكية. الذي يقال إنه وضع كتاباً في «اتفاق الأناجيل الأربعة». وتاتيان الذي ألف «الدياطسرون». وهو يبدأ بالعدد الأول من إنجيل يوحنا، وينتهي بالعدد الأخير في خاتمة هذا الإنجيل. وإغناطيوس وبوليكراتس أسقف أفسس وإكليمندس السكندري وأبو ليناريوس. وكذلك أيضاً ميليتوس من ساريس.

فهؤلاء يعمد التقليد إلى تحريف أقوالهم، وأحيانا ينسب إليهم ما لم يعرفوه، فلو حدث أن ذكر أحدهم اسم «يوحنا» أُعتبر أن المراد هو الرسول، ولو تصادف وكتب أحدهم عبارة شبيهة بعبارة وردت في يوحنا أُعتبر مطلعاً على الإنجيل عارفاً بكاتبه، ومن لم يقع في هذا ولا ذاك، يسجل له دفاعه عن المسيحية، والمدافع عن المسيحية لا بد أن يتمسك بالأناجيل وخاصة الإنجيل الرابع.

والحق أن أمنية هؤلاء في مصادرهم دفعتهم إلى إسنادها إلي الرسل، ولو كانت نسبة إنجيل يوحنا ثابتة لما واجهوا من يعترض عليهم. إذ لا يعترض الناس على خبر هم حديثي عهد به إلا وهم يرون ما يبطله من الواقع.

---

١ - وُلد في إحدى مدن السامرة في فلسطين سنة ٨٩م وآمن بالمسيحية سنة ١٣٣م واشتهر في سنة ١٤٠م إلى أن استُشهد سنة ١٦٨م

وأما القسم الثاني فهم الذين ذكروا يوحنا بالاسم، فللمرة الأولى بدأنا نسمع أن «بوليكاربوس» أحد تلاميذ يوحنا الرسول. ويأتي إيرِينِيُوس بقصة طويلة عن أيام طفولته، يصف فيها المكان الذي كان يجلس فيه «بوليكاربوس» المبارك، وقصصه عن مقابلاته مع يوحنا الرسول وغيره ممن رأوا «الرب». وتقوم الكنائس التقليدية على حكاية هذا الطفل، وما أوسع خيال الأطفال!

ولو ترك التقليديون الأطفال وحاولوا التمسك بما قاله الكبار لعادوا إلى المربع الأول، فبوليكاربوس هو أهم شخصية يقوم عليه التقليد الكنسي، ولكن معرفته بيوحنا تأتي بالإخبار عنه وليس منه، إذ «يخبرنا إيرِينْيُوس أنه جلس عند أقدام بوليكاربوس، وأن بوليكاربوس كان معروفاً شخصيا لدي القديس يوحنا» [١]

ومثل ذلك يحدثنا إيرِينْيُوس في كتابه «ضد الهراطقة» أن بابياس سمع عظات القديس يوحنا الرسول.[٢]

ولا يخبرنا بوليكاربوس ولا بابياس مباشرة بشيء من ذلك، وقد قرأ يوسابيوس كتب بابياس الخمسة فما وجد فيها ما يؤكد دعوى إيرِينْيُوس، وقد سبق وتحدثنا عن «بابياس»، الذي يفترض التقليديون أنه اجتمع ببوليكاربوس، وأن الأخير اجتمع بيوحنا الرسول، ولم يحاول التقليديون التدقيق والبحث في حال الكنيسة شرقاً وغرباً، وربط المعلومات بعضها ببعض، وكل معلوماتهم في أحسن أحوالها احتمالية، وفي النهاية لا تقطع بأن أحداً من هؤلاء عرف الرسل معرفة مباشرة، وبإمكاننا أن نضيف أسماء هؤلاء الثلاثة إلى قائمة مؤسسي المسيحية، فليسوا نقالين لها، فالذي ينقل لا بد أن يكون واضحاً في إبراز من ينقل عنه، وهم في الحقيقة تابعين لرسل بولس، وليس المسيح عليه السلام.

ولكن إيرِينْيُوس يفاجئنا بحكاية طويلة عن أيام الطفولة، يصف فيها المصطبة التي كان يجلس عليها «بوليكاربوس» المبارك، ومقابلاته مع يوحنا الرسول وغيره ممن رأوا الرب — حسب تعبيره- ومع ذلك فبوليكاربوس لا يسجل شيئاً عن أعمال يوحنا كما سجل لوقا

---

١ - دراسات في آباء الكنيسة تأليف أحد رهبان برية القديس مقاريوس صـ ٧٤.؟

٢ - السابق صـ ٨٣

رحلات بولس. وقد أطلق على بولس وتلاميذه «رسل»، والذين كان منهم يونياس المشهور بين الرسل، وربما كان يونياس المعدود ضمن رسل بولس هو الذي قابله بوليكاربوس المبارك، فقد ذكر بولس من بين تلاميذه الناشطين: بريسكلا واكيلا العاملين معه في المسيح يسوع. وابينتوس حبيبه، ومريم التي تعبت لأجله كثيراً. وأندرونكوس ويونياس المشهورين بين الرسل[١]

فبعد مقتل بولس انتشرت تعاليمه في كافة قرى ومدن أسيا الصغرى وأوربا الشرقية، وعلى أكتاف هؤلاء التلاميذ قامت المسيحية، وقد عاش يونياس إلى بداية القرن الثاني، وتعرف عليه بوليكاربوس كأحد الرسل المحترمين، ولا ضير إن قلنا إن هذا الطفل الصغير كان يلهو على مقربة منهما، ولكن لا مفر من القول بأنه قد خلط بين يوحنا ويونياس، وأما بابياس فلم يكن صغيراً، بل كان من الوعي بدرجة جعلته يذكر أن هناك أكثر من يوحنا، وكان هذا سبباً لإثارة أكثر من سؤال حول حقيقة شخصية «يوحنا القس» المذكور في وثيقة بابياس الشهيرة، والتي يحتفظ لنا بها يوسابيوس ويقتبس منها أن بابياس «في مقدمة أبحاثه لا يصرح بأي حال من الأحوال بأنه كان مستمعاً أو معايناً للرسل المباركين، ولكنه يبين في كلماته أنه تلقى تعليم الإيمان من أصدقائهم، فهو يقول: ولكني لا أتردد أيضاً عن أن أضع أمامكم من تفسيري كل ما تعلمته بحرص من المشايخ، وكل ما أتذكره بحرص ضامناً صحته، لأنني لم ألتذ - كالكثيرين - بمن يتكلمون كثيراً، بل بمن يعلمون الحق، لم ألتذ بمن يقدمون وصايا غريبة بل بمن يقدمون وصايا الرب للإيمان، الصادر من الحق نفسه. وكلما أتى أحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم، عما قاله أندراوس أو بطرس، عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أي أحد آخر من تلاميذ الرب، أو عما قاله أريستيون أو القس يوحنا أو تلاميذ الرب، لأنني لا أعتقد أن ما نحصل عليه من الكتب يفيدني بقدر ما يصل إلى من الصوت الحي الدائم»[٢]

فالواضح أن بابياس يذكر اثنين اسمهما يوحنا: الأول الرسول وقد مات.

---

١ - والاسمان ليسا من الرسل أصلاً فضلاً عن أن يكونا مشهورين.

٢ - المدخل إلى العهد الجديد موريس تاوضروس صـ ١٤٩

والثاني القس وهو حي، ويلوح لكثيرين أنه هو الذي كتب الإنجيل[١] فالاسم الأول يذكره مع بطرس ويعقوب ومتى وسائر الرسل، أما يوحنا الآخر فإنه يذكره بعد فترة معينة، ويضعه ضمن أشخاص آخرين ليسوا من عداد الرسل، واضعاً أريستيون قبله وبكل وضوح يدعوه قساً.

هذا يبين صحة ما يقرره من يقولون إنه كان هنالك شخصان في آسيا يحملان نفس الاسم، وكان هنالك قبران في أفسس لا يزالان إلى الآن كل منهما يدعى قبر يوحنا، هذه ملاحظة جديرة بالأهمية لأنه يحتمل أن يكون يوحنا الثاني هو الذي رأي الرؤيا المنسوبة إلى يوحنا إن كان أحد لا يميل أن يصدق بأن يوحنا الأول هو الذي رآها.[٢]

هذا هو ما فهمه يوسابيوس من وثيقة بابياس، وقد توالى التقليديون يرفضون هذا الفهم على أساس أنهم لا يعرفون يوحنا الآخر، يقول موريس تاوضروس: «ونحن لا نستطيع أن نقبل هذا الرأي الذي يزعم بأن هناك شخصاً آخر غير يوحنا الرسول كتب سفر الرؤيا، ولسنا نعرف يوحنا الآخر هذا الذي كتب سفر الرؤيا، ويوحنا الشيخ الذي يشير إليه بابياس ليس هو في حقيقة الأمر غير يوحنا الرسول، ولقد أخطأ يوسابيوس إذ ظن أن بابياس يشير إلى يوحنا آخر» [٣]

وهكذا أخطأ يوسابيوس، ولو قال غير ذلك لأصاب.

وبعض الكتاب يقترح أن يكون يوحنا الشيخ هو الكاتب عند الرسول، ولكن أقوال الألوجيين وهم جماعة لا يؤمنون أن المسيح هو «الكلمة الأزلي» تُقدم أيضاً كدليل على أن الرسول يوحنا لم يكن الكاتب.[٤]

والبعض يبحث تفصيلات الموضوع بجدية وإصرار ولكن دون أن يتطرق إلى الصلة المزعومة بين الرسل والآباء، فإيرينيُوس وبوليكاربوس لا صلة من قريب ولا من بعيد تربطهما

---

١ - السابق صـ ٥٤٩ ، ٥٥٠، ٥٥١

٢ - تاريخ الكنيسة يوسابيوس ك ٣ ف ٣٩ فقرات ٢ ، ٣، ٤ ، ٤، ٥ ، ٦.

٣ - المدخل إلى العهد الجديد صـ ١٥٢

٤ - تفسير الكتاب المقدس جـ ٥ صـ ٢٢٨ والألوجوي جماعة قديمة رفضت أن تقبل بفكرة أن الإنجيل كان بقلم يوحنا الرسول

برسل المسيح، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن كاتب سفر الأعمال لم يلتق يوحنا الرسول، مع أنه تنقل في بلاد أسيا في وقت كان يوحنا على قيد الحياة، وكتب عنه في الإنجيل وسفر الأعمال معاً، فيوحنا موجود قبل لوقا وبعده، ولكن لوقا لا يعلم بوجوده، ولا يصل حتى إلى ما سيصل إليه طفل بعد قرن من الزمان، وربما جهل إيرينْيُوس أن الذي رآه إنما هو يونياس، وتردد بابياس لضعف أو رجاحة عقله، ولكن ترتب على هذا أخطر النتائج في التاريخ، إذ تحول بوليكاربوس في عيون الأطفال من تلميذ لرسل بولس، إلى تلميذ لرسل المسيح، وبهذا التحول تم ربط المسيحية اليونانية بالمسيحية اليهودية، ولم يعد في المسيحية الجديدة من يفرق بين تلاميذ بولس وتلاميذ المسيح، وأصبح «يونياس» أحد رسل بولس المشهورين، أحد أعمدة الكنيسة الجديدة، وربما استقر في أفسس، ونالت منه الشيخوخة مبتغاها، وتحدث عنه إيرينيوس قائلاً: إنه هو الذي كتب الإنجيل، فاستلهمت الكنيسة كلام هذا الطفل سنداً زعمت من خلاله أن يوحنا الرسول هو كاتب الإنجيل، وبنت هذا الزعم على التشابه في الاسم والصفة، ولكن الزمن قد فصل الحقيقة عن الخيال.

ويؤيدنا في هذا تفاصيل حياة إيرينْيُوس، فقد فر بجماعته أو بدونها من مواجهة من وصفهم بالهراطقة، وشرع يضرب على غير هدى في أعماق أوربا، وأخيراً وصل فرنسا، ومن «ليون»، وحيث لا هرطقة ولا هراطقة ذهب يكشف عن ذكريات الطفولة، وما إن سمعت المجموعات الشرقية بذلك حتى تلقته بالبهجة والسرور، إذا أتاها في أعنف الأوقات جدلاً مع الألوجيين، ومن ثم راحوا يكيلون عبارات التمجيد لإيرينْيُوس، معتبرين إياه حلقة الوصل بين الغرب والشرق، وأبا للتقليد الغربي والشرقي، وأصبح الدليل الخارجي يعتمد عليه، إذ تتوارد علينا أسماء كثيرة، ولكنها تستند بالأساس على هذا الرجل، وقد جاءت شهادته وبهذه الصورة عند نهاية القرن الثاني الميلادي

وتستوقفنا الخلفية الفكرية لتلاميذه في ليون، فخلفيتهم عن المسيحية لا تبدو شيئاً، وهذا يعني أنه لا مجال لتمحيص تعاليم الأستاذ القادم إليهم من إزمير، فإذا زعم أن يوحنا هو مؤلف كتاب ما فمن يختلف معه في مجتمع قدر له أن يتعلم المسيحية من ألفها إلى يائها على حكايات الأطفال، ولم يكن إيرينيوس ليدع أنه رأي يوحنا الرسول بنفسه، إذ التاريخ

والجغرافيا واللغة لا تسمح بذلك، فنسب هذا الدور إلى أستاذه بوليكاربوس، وهذا لا يعطي لشهادته قيمة، إذ لا نرى الأستاذ يقر بما نسبه إليه التلميذ، فهل عرف إيرينِيُوس بولكاربوس؟ وهل التقى معه كما يقول التقليد في مدينة إزمير ؟

لا شك أن كثيرين يقاومون الشك والإرباك الناجم عن تنقل الشاهد الوحيد من إزمير إلى ليون، قد يرى بعضهم أنه شرع يضرب في الأرض لهداية الناس بعقيدة الخلاص، ولا اعتراض على رحلاته ولا على عمله، وإنما على كون الفكرة الأصلية للمسيحية تخرج بعيداً عن مركزها، وتأتينا عقيدة التجسد بعيدة عن الأناجيل الأخرى.؟

لقد كان ماركيون على خلاف مع المجموعات المسيحية حول مضمون إنجيل لوقا كما سبق أن ذكر، كما أنه حاول نشر أفكاره بخصوص القانوني وغير القانوني من الكتب المقدسة، فتصدى له إيرينِيُوس بما أوتي من قوة، وبرهن على الحاجة الملحة لكل الأناجيل الأربعة.[1] ولكن يبدو أن خصمه كان من العناد وقوة الحجة ما جعل إيرينِيُوس يفر أمامه من بلد إلى أخر، حيث كون في ليون مجموعة من الأتباع، وتحسبه المصادر المسيحية أول «أسقف» لمنطقة أوربا الغربية، فهو الذي أدخل المسيحية إلى هناك، وطبقاً لتعاليمه فإن المسيح هو الكلمة المتجسد، ولم يكن ثمة من دليل على فكرته سوى رسائل بولس، وقد أشعره الجدل بالحاجة إلى ما هو أكثر من الرسائل، فلعنة الله على الجدل والمتجادلين، ففي كل مرة يحاول أحد المتجادلين إثبات رأيه فلا يفرق بين المشروع وغير المشروع، ولا نعرف هل دفع الجدل إيرينِيُوس إلى البحث عن الإنجيل الرابع، أم إلى تأليفه، وإن كنا متأكدين بأن المسيحية الحالية لم تنتشر إلا في ظل إنجيل يوحنا، فلا مفر من الآخذ بعبارة «في البدء كان الكلمة..» وبما أن قيمة الكتاب ستكون على قدر قيمة كاتبه، فقد بدا لإيرينِيُوس أن يلصق المقدمة بالإنجيل، وأن يلحق الإنجيل من مقدمته إلى نهايته بأحد رسل المسيح، لكن مَنْ مِن الرسل يمكن أن يكون ؟

وبترتيب أو دون ترتيب للأحداث يظهر سفر الرؤيا ليعلن كاتبه أنه كان منفياً في جزيرة «بطمس» وأنه نبي اسمه «يوحنا» فتلتقي فكرته مع ذكريات طفولة إيرينيوس، وتسري

---

١ - تاريخ الكنيسة جون لوريمر جـ ١ صـ ١٣٧ دار الثقافة

الفكرتان على الإنجيل، وبعد قرنين تمضيان على الرسالة الأولى، ثم على رسالتين أخريين، فتدخل الأسفار الخمسة دائرة التقديس تحت اسم يوحنا، ويبدأ العقل مرحلة الحيرة، إذ يستحيل نسبة هذه الأسفار مع ما بينها من اختلاف في الأسلوب والفكر إلى كاتب واحد، وتتوالى الأسئلة وتتعدد الإجابات، فالجزر أكثر الأماكن انعزالية في العالم، وفكرة نفي يوحنا إلى إحدى الجزر هي فكرة أراد واضعوها الحصول على سبب يبررون به عدم معرفتهم بالإنجيل وبكاتبه طوال تلك الفترة، ولكنها لا تأخذ بأيدهم إلى بر اليقين، فالأباطرة الرومان لم يعتادوا نفي المعارضين، وتطبيق القانون الروماني كفيلٌ بإسكات المشاغبين، وأي داع يمكن أن يكون وراء نفي عجوز مسالم يحمل على أذرع تلاميذه، فما اختيرت جزيرة «بطمس» إلا لغرض التمويه، وما اختير اسم يوحنا إلا للارتقاء بالإنجيل، وإن كان ما أثير من اعتراض يدلنا بوضوح على أن هناك من كان يرفض فكرة أن يكون الكاتب هو يوحنا الرسول، فجاء سفر الرؤيا ليعلل عدم المعرفة بأنه كان منفياً في جزيرة بطمس، فهل يعقل كل هذا ؟

وهكذا انبعثت فكرة «الكاتب» من الغرب، بعد أن تصدى لها ماركيون في الشرق، ولا نستطيع أن نقول كم كان عمر إيرينيوس لا في وقت تحمل الشهادة ولا عندما حان الوقت لأدائها، ولكن لا يعقل أن يتجاهل بوليكاربوس في كتبه ما ارتسم في عقل هذا الطفل الصغير، وتبرير ذلك بأن الصغير ترسخ التصورات في عقله إلى الأبد هو دفاع ما كان ليكون لو لم يظهر من اعترض على حكايات الأطفال. فما بالنا وقد كتب بوليكاربوس رسالته إلى فيلبي دون أن يشير إلى هذا الإنجيل، ودون أن يقتبس منه، فهل يعني هذا أنه لم يكن يعرفه ؟ إن عدم الاقتباس أو الإشارة أي شهادة الصمت لا يمكن أن تكون قاطعة في النفي، ولكن أيضاً شهادة إيرينيُوس صغيراً أم كبيراً لا يمكن أن تكون قاطعة في الإثبات.

ولكن في مقابل هذه الشهادة الصامتة يأتي أقوى برهان ضد كتابة يوحنا للإنجيل وهو بطء الكنيسة في قبوله، فلماذا تردد الآباء في قبوله، أما كانوا يعرفون قصة إيرينيوس التي يحفظها اليوم طلبة اللاهوت، وإذا كان بعضهم يرجع الشكوك إلى القرن الثامن عشر عندما قدم العالم الإنجليزي إيفنسن كتابه عن الاختلاف بين البشائر الأربعة، فإن كلام يوسابيوس الذي طالما مجده الباحثون التقليديون يعكس ذلك، فلقد حاول هذا الكاتب أن

يبرهن على صحة الإنجيل ونسبته إلى يوحنا، ولو كان الأمر بالسهولة التي يفكر بها التقليديون لما كان في حاجة إلى إطالة الشرح والتفصيل حول كتب بابياس. لكن علينا أن نفرق بين كلامه الذي ينبع من رجل متدين، وعمله كمؤرخ يذكر آراء المخالفين ويحللها بطريقة تظهر أنه كان يحاول إلى حد ما التمسك بالمنهجية العلمية.

هذا كلام يوسابيوس القيصري كتبه منذ ما يقرب من سبع عشر قرناً من الزمان. وقد جاءت الأبحاث والدراسات الحديثة لتبرهن على أن شكه قد وقع في محله. فقد حولت الأبحاث العلمية شكه إلى يقين. وتوالت الدراسات الحديثة تعلن في وضوح أن نسبة الإنجيل إلى يوحنا مقطوع بعدم صحتها. ولهذا يربط الدكتور علي عبد الواحد وافي بين العلماء قديماً وحديثاً في هذا الاتجاه: فـ «مع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل واعتباره مقدساً موحى به واعتماد صحة نسبته إلى يوحنا بن زبدي الصياد أحد الحواريين ألاثني عشر، فإن بعض القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون هذا الإنجيل، وينكرون كذلك جميع ما أسند إلى يوحنا من بقية أسفار العهد الجديد، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين، بل لقد كانت بعض الفرق المسيحية القديمة نفسها في أواخر القرن الثاني الميلادي تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار.

ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا. بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه، ومن هؤلاء جماعة من العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف البريطانية، فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل أنه «لا مرية في أن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدي الحواري المشهور، وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو يوحنا الحبيب[1] إلى المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، وإن الذين يحاولون أن يربطوا ولو برابطة واهية بين ذلك الفيلسوف الذي ألف هذا الكتاب في القرن الثاني من الميلاد وبين الحواري

---

١ - ليس في متن الإنجيل هذا الادعاء.

يوحنا الصياد الجليل لن يجدوا لمحاولتهم هذا أي سند وستذهب جهودهم أدراج الرياح»

ومن هؤلاء كذلك مؤلفو دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم «لاروس القرن العشرين» فقد ذكروا أنه «ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة» [١]

ويعترف القس فيهم عزيز بأنه «لا يمكن أن نزيل بجرة قلم تلك الاعتراضات التي جعلت أكثر العلماء في العصر الحاضر يرفضون أن يكون الكاتب الفعلي للإنجيل هو يوحنا ابن زبدي، وعلى ذلك يعرض عدداً من الاحتمالات:

الأمر الأول: هو أن الرسول يوحنا قد كتب هذا الكتاب بمعونة أحد تلاميذه الذين كانوا معه. وهذا التلميذ لم يذكر اسمه، وتحت ضغط الرسول لم يضع اسم الرسول واضحاً في طيات الكتاب.

أما الأمر الثاني: فهو أن واحداً من تلاميذ يوحنا قد استخدم المذكرات أو المواعظ التي سمعها من أستاذه وكتب هذا الكتاب.

أما الأمر الأخير: وهو الذي قد يكتسب أنصاراً كثيرين فهو أن هناك مدرسة اسمها «مدرسة يوحنا» انتشرت فيها الأفكار والمواعظ وذكريات الرسول عن سيده، وأن هذه المدرسة هي المسئولة، ليس فقط عن إنجيل يوحنا بل عن الرسائل أيضاً.

وبعد أن يذكر القس اقتراحاته يذكرنا بما قاله سيرادون هوسكنر عن هذا الكاتب في كتابه عن إنجيل يوحنا: إنه قد أحرق نفسه حتى إننا لا نعرف عنه أي شيء في التاريخ المقدس، وفي نهاية دراستنا لا نستطيع أن نعرف عنه إلا أنه صوت شاهد لمجد الله، لقد ترك كتابه بدون اسمه حتى لا نجد فيه غير اسم يسوع ابن الله» [٢]

والحق أن تَرْكَ اسم المؤلف تحت أية ذريعة يدل على أنه لا قيمة لكتابه، ولهذا فبعض قدامي الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون إنجيل يوحنا، وينكرون كذلك جميع ما أسند إلى يوحنا من أسفار، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين. بل لقد كانت بعض الفرق

---

١ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام د / على عبد الواحد وافي صـ ٨٩ط / نهضة مصر

٢ - انظر المدخل إلى العهد الجديد د / فهيم عزيز صـ ٥٤٦ - ٥٥٤

المسيحية القديمة نفسها في أواخر القرن الثاني الميلادي تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار، ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا، بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه.

- المخطوطات

ليست العبرة في وجود ولا في عدد هذه المخطوطات، وليس السؤال عن كونها كاملة أو غير كاملة ؟ إنما كان يعنينا فقط معرفة الزمن الذي نُسخت فيه هذه النسخة أو تلك، فعند فحص هذه النسخ وجد أن أقدمها لا يتجاوز القرن الرابع الميلادي، وكافة المخطوطات الموجودة اليوم في المكتبات والكنائس ليست أصلية، ولم تظهر في اللغة التي تكلم بها المسيح، وعدم ظهورها في اللسان الآرامي المبين أو غير المبين دليل على أنها وُلدت بعيداً عن أحضان الرسل والتلاميذ.

ومع ذلك فهذه المخطوطات ليست هي النسخ التي كتبها الإنجيليون بأيدهم، يقول القس فهيم عزيز: «من الأمور البديهية التي لا ينكرها أي إنسان أن النسخ الأصلية التي خرجت من يد كتاب العهد الجديد غير موجودة، وأن أقدم مخطوطة وصلت إلى أيدينا تصل إلى النصف الأول من القرن الثاني، أي بعد الانتهاء من كتابة كل أسفار العهد الجديد ببضع عشرات من السنين».[١] وهي نفسها البردية التي حملت رقم ٥٢، وهي لا تحوي سوى خمسة أعداد من إنجيل يوحنا [١٨ : ٣١ — ٣٣، ٣٧، ٣٨] وقد أخذها أحد العلماء من مصر سنة ١٩٢٠م ولكنها لم تنشر إلا في سنة ١٩٣٤م.[٢]

ويستدل القس فهيم عزيز من هذه البردية على أن إنجيل يوحنا كان متداولاً في مصر في الربع الثاني من القرن الثاني.[٣] إذ بحسب بحوث العلماء تأكد أن يكون تاريخ هذه البردية ليس بعد عام ١١٠م ولا يعرف على أي أساس وُضعَ هذا التاريخ. والمعروف أن التقدير الزمني للوثائق القديمة إنما هو تقريبي يتردد بين حد أعلى وأدنى، فهو تاريخ مفترض أن يكون قد تم خلاله كتابة الوثيقة، ولا يعني بالضرورة أن هذا هو التاريخ الفعلي بل

---

١ - السابق صـ ١١٢

٢ - السابق صـ ١١٩

٣ - السابق صـ ١٥٠

المحتمل للوثيقة، وهناك أشياء قد تساعد في تحديد عمر المخطوطة مثل: «مادتها – حجم حرف الكتابة وشكله – علامات الترقيم – أقسام النص – الزخرفة – لون الحبر – نسيج الورق»[1] وغير ذلك، وكل هذه قرائن تحدد تحديداً عاماً العصر الذي تنتمي إليه هذه الوثيقة أو تلك.

وقد يصل العلماء بعد عدة محاولات بمقارنة طريقة الكتابة ببعض القرائن كالإشارة إلى أحداث مشهورة في التاريخ أو استخدام طريقة معينة أو وسائل محددة في الكتابة تنتمي إلى عصر معين، قد يصلون إلى تحديد العصر الذي كتبت فيه الوثيقة. وقد تمكن العلماء في هذا العصر من تحديد العمر المفترض لبعض الآثار والوثائق القديمة ببعض الطرق العلمية[2]

وعلى كل الأحوال لو ثبت التقدير العمري لهذه الوثيقة ببراهين قاطعة، فلن يكون هذا دليلاً على أن إنجيل يوحنا كان متداولاً في الربع الثاني من القرن الثاني، فهناك احتمال أن هذه الورقة كانت ضمن مصدر استعان به كاتب الإنجيل، إذ يبدو أنه استعان بأكثر من مرجع آرامي مما جعله يتخبط في رحلات المسيح بين الجليل وأورشليم، ومرجع فلسفي واحد على الأقل. إن لم نقل إن الكاتب نفسه كان متقناً للفلسفة، مما جعله يشذ عن الإنجيليين الثلاثة بفكرة «تجسد الكلمة» وعندما نعيد النظر في ما تحمله هذه البردية من مضامين نجدها تتكلم عن محاكمة يسوع أمام بيلاطس، وقد وجد على الوجه الأول منها: «فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً. ليتمّ قول يسوع الذي قاله مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت، ثم دخل بيلاطس أيضا إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني».

وعلى الوجه الثاني: «فقال له بيلاطس أفأنت إذا ملك. أجاب يسوع أنت تقول إني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي.

---

١ – كتاب .. وقرار جوش ماكدويل صـ ٤٧

٢ – وهي التجربة المعروفة باسم كربون ١٤ (وهو نظير مشع لعنصر الكربون) ويوجد في الكائنات الحية، ولكنه بعد موتها وبفعل الإشعاع المستمر يفقد جزئياته بطء ليتحول إلى كربون ١٢ (وهو الكربون العادي) وهناك جهاز يعرف بمقياس جيجر يستخدمونه في إجراء هذا الاختبار الذي يمكن بواسطته تحديد عمر الأشياء.

قال له بيلاطس ما هو الحق. ولما قال هذا خرج أيضا إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة».

ومما يثير السخرية أننا لو أخذنا برأي القس فهيم عزيز فإن وجود هذه النسخة في وقت مبكر في مصر يعطي ودون حاجة إلى البحث والاستقراء احتمال أن هذا الجزء من العددين ٣٥، ٣٦ من الإصحاح ١٨ غير موجود في أقدم النسخ الخطية، وإنما أضيف بعد ذلك، والمفاجأة الأخرى أن ما بقي في الوثيقة بعد ذلك لا يجيبنا على السؤال: من كتب الإنجيل أو من كتب الوثيقة نفسها ؟

ولكن لماذا لا تكون الفقرة الساقطة من الوثيقة قد أضيفت إلى الإنجيل من وثيقة أخرى غير معروفة؟ ألا يؤيد ذلك أن الفقرة بجملتها تتحدث عن محاكمة يسوع أمام بيلاطس، وهي المحاكمة التي نجدها باختصار في الإصحاح السابع والعشرين من متى، والخامس عشر من مرقص، وأما لوقا فتأتي في الإصحاح الثالث والعشرين وينفرد فيها بالحديث عن منع يسوع للجزية عن قيصر، بينما ينفرد يوحنا بدعوة بيلاطس لليهود أن يحاكموا يسوع بشريعتهم، والزيادة المحذوفة من الوثيقة تحكي أن يسوع قال لبيلاطس: «مملكتي ليست من هذا العالم» فهذه العبارة في الإنجيل لا ندري لماذا تركتها الوثيقة إن قلنا إنها صورة من الإنجيل الرابع؟

ومهما يكن من أمر فلا يمكن القطع بأن إنجيل يوحنا وصل إلى صعيد مصر سنة ١٣٠ م كما يرى الحالمون، فتاريخ كتابة الوثيقة شيء، ووصولها إلى أي مكان في العالم شيء آخر، فربما استعان كاتب الإنجيل ببعض المصادر التي وصلت إلى مصر قبل كتابة الإنجيل. وهذا قد يدعم حجج من يرون أن الإنجيل كتب في مصر بإيعاز أو على يد فيلو السكندري نفسه. وهو الفرض الذي قد يقدم مصر على أفسس في قائمة الأماكن المقترحة لكتابة الإنجيل. وإثبات كتابة أو عدم كتابة فيلو للإنجيل لن يكون أسهل ولا أصعب من إثبات ذلك ليوحنا، ولكن المشكلة فيما يترتب على ذلك من قطع أو وصل الإنجيل برسل المسيح عليه السلام.

الترجمان:

ومن جهة لغة الكاتب ولغة الكتاب نلحظ الاختلاف بين اللغتين، فقد كتب الإنجيل باليونانية التي لم يثبت أن صياداً من أهل الجليل قد تعلمها، فلا يعقل أن يكون الكاتب هو

نفسه يوحنا الصياد العامي الذي لا يقدر على كتابة كلمات من لغته الأصلية.

وترجع اللغتين العبرية والآرامية إلى عائلة اللغات السامية، وتأتي السريانية كإحدى لهجات المجموعة الشرقية من الآرامية، وقد كان المسيح عليه السلام يتحدث الآرامية الأصلية في فلسطين. وقد ترك عليه السلام إنجيله بتلك اللغة، التي كان بإمكان سكان بلاد الشام أن يفهموها بسهولة. وقد سمح انتشار هذه اللغة في بلاد الشام للحواريين أن ينشروا تعاليم المسيح عليه السلام.

وأما خارج بلاد الشام فقد واجهت دعوتهم أكبر العقبات وعلى رأسها محاولة بولس التخلي عن الآرامية، وجعل التبشير بلغة اليونان كي يضمن انتشاراً واسعاً للمسيحية، ولم تكن مسألة اللغة العائق الوحيد بل كانت هناك مسألة الختان الذي أصر بطرس على التمسك به، وقد دار نزاع بين بطرس وبولس في إنطاكية، انطلق بعدها بولس إلى أفسس وكورنثوس وتسالونيكي وغيرها من بلاد اليونان، كان بولس في هذه الفترة يحمل فكرة مختلفة عن شخصية المسيح، ولكنه في حاجة إلى الكتب الداعمة لهذه الفكرة، فشرع في كتابة رسائل يشرح فيها لأتباعه تصوره عن المسيح، ثم ظهرت وقائع من أحداث قصة المسيح على صورة رزم من الأوراق، وفي مرحلة تالية بدأ يظهر أول صور الأناجيل، فظهرت أناجيل تحكي القصة كاملة، وليس مقتطفات منها كما كان في السابق، ومن هذه الأناجيل برز مرقص، ثم توالت الكتابات وبدأت القصة تتسع لتشمل أحداثاً لم يقف عليها مرقص ولا المصدر (Q)، حتى ظهر إنجيل لوقا يحتوي خلاصة العديد من المراجع، وفي هذا الوقت كان متى يكتب إنجيله متقاطعاً مع لوقا في بعض المصادر ومختلفاً معه في أخرى، وبعد عشرات السنين وأخيراً ظهر إنجيل يوحنا يعتمد على مصادر لم تكن رائجة في عصر كتابة الأناجيل الأولى، ولكن تحليل الكاتب وتصرفه فيما تحت يديه من معلومات كاد أن يحول قصة المسيح إلى قصة أخرى مختلفة عن تلك التي جاءت في الأناجيل الأولى، وفي سبيل البرهنة على إسناد هذه الأناجيل إلى رسل المسيح يحلو للمسيحيين سرد العديد من الترجمات ما بين سريانية وقبطية وحبشية ولاتينية، والغريب أن من بين هذه الترجمات ما هو أسبق في ظهوره من العهد الجديد، وهذا يعني أنها أماني تداعب أحلام التقليديين. فالترجمة السريانية (البشيتو) يرجعونها إلى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني.

وأنت خبير بأنه لا يجوز أن نقول بوجود ترجمة للعهد الجديد قبل أن نتأكد أولاً من وجود العهد الجديد نفسه. والمدهش في الأمر أن السريانية هي إحدى لهجات الآرامية التي نطق بها المسيح.

وماذا نستفيد اليوم إن قلنا إنه قد ظهرت الترجمة الحبشية في منتصف القرن الثاني دون أن نملك معلومات دقيقة عن الأسفار التي شملتها، ودون أن نعرف عن أي لغة نقلت هذه الترجمة ؟ ودون أن نتأكد من إنجاز كافة أسفار العهد الجديد حتى هذا التاريخ.

ومثل ذلك قله عن الترجمة القبطية والتي يرجعونها إلى نحو منتصف القرن الثاني الميلادي، لم يذكر أحدٌ عن أي أصل أخذت، وهل كان فيها إنجيل يوحنا أم لا؟ وبالتالي يحق لمن يبرهن على تأخر كتابة الإنجيل عن منتصف القرن الثاني، أن يفترض أن الإنجيل اليوناني قد نقل عن تلك الترجمة القبطية لا إليها.

وأما الترجمة اللاتينية المعروفة بـ (الفولجاتا) فقد تأخر ظهورها إلى القرن الخامس الميلادي على يد القديس إيرونيموس (جيروم)، وهناك من يعتقد بوجود ترجمات لاتينية قبلها، غير أنها بكل أسف لم تكن عن الآرامية، فقد «ظهرت ترجمات لاتينية متعددة في القرن الثالث الميلادي في كل من شمال إفريقيا وأوربا، وقد كان الاختلاف بين هذه الترجمات كثيراً ومتعدداً حتى أن جيروم قال إن هناك اختلافات في الترجمات بقدر ما هناك من مخطوطات، أي أن كل مخطوطة تختلف عن الأخرى في الترجمة، ولم يتبق كتاب واحد لاتيني يحتوي على كل أسفار الكتاب المقدس» [1]

وماذا يفعل علماء اللاهوت وقد عجزوا عن العثور على نسخة آرامية لأناجيلهم؟ وماذا يفعل مسيحي يخاف الله ويرغب في التحقق من نص خطاب الله إليه؟ ماذا يفعل وقد لمس بنفسه كيف أن ترجمات كتابه المقدس تختلف من لغة إلى أخرى ؟ ففي كل الأحوال تجد العهد القديم يترجم عن العبرانية، وأما العهد الجديد فلن تعرف له أصلاً لغوياً ينقل عنه. وإنما تتحول اليونانية من لغة منقول إليها إلى لغة أصلية منقول عنها، ويموت الإنجيل بموت لغته الأصلية. فقبل أن يختفي تلاميذ المسيح الإسرائيليون يظهر الآباء اليونانيون،

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد صـ ١٣٨

وهم في الأصل مجموعات ارتبطت ببولس في أسيا الصغرى، ويبرز منهم بوليكاربوس هنا، وينمو إيرينيُوس هناك، ويبقى العهد القديم كما كان دائماً في العبرانية، وتبقى ترجمته منذ أن ظهرت كما هي باليونانية، ولكن الإنجيل الذي كتب بالآرامية لا يظهر مرة ثانية في تلك اللغة.

ألا يحق للآباء أن يصابوا بالدهشة ؟ لماذا لم تظهر نسخة واحدة على الإطلاق إلى يومنا هذا بالآرامية.؟ ومن علماء اللاهوت من هم في صراع دائم مع أنفسهم، فما من ترجمة تظهر إلا وتجد من المسيحيين من يؤيدها ومن يعارضها، ولا تجد ترجمة واحدة تحظى بإجماع كافة الطوائف، فالترجمة الحديثة التي يقوم بنشرها جمعيات الكتاب المقدس ببيروت وصدرت ١٩٧٨م يتهمها كتاب مسيحيون كبار بأنها جاملت البشر على حساب الحق، كما أنها تحاول النيل من لاهوت المسيح، وهو كما يعرف القارئ أقدس مقدسات المسيحية.[١]

وهكذا يتضح أن أية ترجمة جديدة لا تقدم لقضية اللاهوت حقها تعتبر مجاملة للخلق على حساب الخالق، وقد لا يسعف المسيحي وقته للبحث في مصداقية دعوى مجاملة هذه الترجمة أو تلك للاهوت أو للناسوت. وهي قضية – رغم أهميتها العقائدية – قد تستمع إلى قسيس فيحدثك بكلامٍ لو استمعت إلى غيره اختلف الكلام، فعلى أي أساس يكون الإيمان؟. رجال اللاهوت مختلفون، والمسيحي البسيط بل وغير البسيط لا يعرف حقيقة الترجمات. ومدى دقتها، والسبب في كل هذا هو ضياع الإنجيل الآرامي. !

وإذا لم يصلنا الكتاب في لغته الأصلية فقد لا ينفعنا أن نمتلك آلاف الترجمات، فترجمة الكتابات العادية شيء وترجمة المصطلحات اللاهوتية والفلْسفية شيء آخر، ففي أغلب الأحوال يكون للكلمات معان دقيقة في لغتها الأصلية لا يسهل نقلها إلى اللغات الأخرى. ولذا فغالباً ما يضع المترجم الكلمة في لغتها الأصلية بجوار ترجمته لمعني هذه الكلمة. وتصير الكلمة التي اختارها المترجم لنقل معنى الكلمة الأصلية هي الكلمة الأصلية بالنسبة للقارئ الذي لا يستطيع قراءة النص الأصلي، وبالتالي فإن أية ترجمات في المستقبل لهذه الكلمة لن تكون سهلة، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في بدايات القرن الخامس عندما

---

١ – وحي الكتاب المقدس يوسف رياض صـ ٨٨ ، ٨٩ ط / ثالثة ١٩٩٨م مطبعة الأخوة – جزيرة بدران

استخدمت كنائس إفريقيا الترجمة اللاتينية التي قام بها القديس جيروم، فثار شعب هذه الكنيسة رافضين هذه الترجمة، وكان القديس أوغسطينوس قد سبق وحذر القديس جيروم أن لا يتوقع أن الناس سوف تترك الترجمة التي اعتادوا عليها.

وبالتالي عندما ندرس كتاباً وضع أصلاً باللغة اليونانية ولكنه وصلنا باللغة اللاتينية «مثل أعمال القديس إيرينِيُوس» فلا بد أن نتساءل عن مدى دقة الترجمة، وكيف يمكن أن تكون قد تأثرت بالوسط اللاتيني الذي ترجمت فيه. [١]

إن موضوع ترجمة المصطلحات الدينية هو من أصعب ما يمكن أن يتعرض لها دارسو الأديان، وعدم وجود نسخة أصلية للأناجيل قد أوقع العلماء وطلابهم في حيرة يسلمها السابق للاحق، فالذي يتعرض للنصوص لا بد أن يثير اهتمامه كيفية نقل هذه النصوص من لغتها الأصلية، لقد أثار المشركون شبهتهم بأن محمداً ﷺ تعلم القرآن الكريم من أهل الكتاب فرد عليهم القرآن الكريم بمنطق اختلاف اللغة:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل ١٠٣

فالقرآن يلفت الأنظار إلى أهمية وحدة اللسان في نقل الأفكار، فإذا اختلفت اللغة فلا بد من وجود وسيط يتقن اللغتين. فلو قيل: إن الإنجيليين تعلموا مباشرة من المسيح، فإن الجواب: لسان الأستاذ آرامي ولسان هؤلاء الإنجيليين يوناني مبين.

ولك أن تتخيل لو أن القرآن الكريم فُقِد في لغته الأصلية، أو اندثرت العربية التي نزل بها، فهل كان يكفي أن يمتلك المسلمون ملايين الترجمات؟ فكيف وهذا حال الأناجيل الأربعة، لسانها يختلف عن اللسان الذي تكلم به المسيح. فبأي منطق نعتقد أن تلك هي أناجيل المسيح؟ فبينما كان المسيح يتكلم الآرامية لم تعرف الأناجيل الأربعة والرسائل وسفر الرؤيا وأعمال الرسل إلا في اللغة اليونانية، ولم يبعث المسيح في أثينا حتى نزعم إن تلاميذه هم الذين كتبوا تلك الأناجيل، ولكن آباء الكنيسة أرادوا لديانتهم أن تكون يونانية لا آرامية. وحسبنا أن إكليمندس السكندري كان يمتاز بين الآباء بتضلعه في الفلسفة

١- حياة وفكر كنيسة الآباء صـ ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

اليونانية ومحبته لها، وكان يعتبر الفلسفة علماً إلهياً، وعمل على ربطها باللاهوت، وهو يقول: «إذا أرادت المسيحية أن تنتشر في العالم اليوناني فيجب عليها أن تخلع لباسها السامي وتلبس لباساً يونانياً وتتكلم لغة أفلاطون وهوميروس».[١]

هناك بكل يقين مسيحية فلسفية لا يعرفها أهل الشرق، وهناك بكل يقين كذلك — ديانة سماوية شرقية لا يعرفها مسيحيو الغرب، وكان لا بد للأناجيل التابعة والنابعة من الغرب أن تتخبط في معلومات أساسية عن رسول الديانة الشرقية، فهي لم تنجز تحت إشراف تلاميذه، ولهذا نراها لا تعرف اسمه ﷺ، فاسم عيسى لا يمكن أن ينقل من الآرامية إلى لغة أخرى تحت اسم «يسوع» ثم هي أي الأناجيل لا تتفق على أسماء وعدد الرسل، إنها لم تعرف أين كان يعيش المسيح، فبينما رأت الأناجيل الثلاثة الأولى أن موطنه الناصرة[٢] ظن كاتب الإنجيل الرابع أنه أورشليم[٣] وببساطة تختلف الشخصيتان، فمسيح الناصرة يختلف اختلافاً كاد أن يكون تاماً عن مسيح أورشليم، وحتى المعجزات التي صنعها مسيح أورشليم تختلف إلا في واحدة عن معجزات مسيح الناصرة. ومع ذلك يصر الآباء على أن كاتب الإنجيل الرابع هو نفسه يوحنا الذي ذكره مرقص ١ : ٢٠،١٩ وهو ذاته الذي ذكره لوقا ٥ : ١٠ والذي كان صياداً في بحر الجليل.

ولكن عدم تعرض الإنجيل الرابع إلى أي عمل قام به صيادو الجليل قد أربك الباحثين فجعلهم يبحثون عن إشارة يمكن أن تكون هي هذا الـ (يوحنا) وقد تضع البحوث الجديدة حداً للنزاع لو حذف عبارات من نحو «على ما يبدو..» «ربما..» و«لعل..» الخ. فبسبب هذه العبارات لم يفرغ علم اللاهوت إلى يومنا هذا من بحث مسألة الإنجيلي الرابع، وإلى يومنا هذا يعمل التقليديون على رد ما يثيره النقاد من شبهات، حتى أصبحت تلك وظيفة دائمة يخصص لها بعض دارسي اللاهوت، فهناك العديد من الاعتراضات على نفي يوحنا إلى جزيرة بطمس، وهناك اعتراضات أكثر على افتراض إقامته في أفسس، وقد دأب أساتذة اللاهوت على تلقين تلامذتهم الاعتراض، ثم الرد عليه، ومن هذه الاعتراضات يذكر

---

١ - تاريخ الكنيسة لورتمر جـ ٢ صـ ٥٠

٢ - مت ٣ : ٥٤ مر ١ : ١ ، ٤

٣ - يو ٤ : ٤٤

موريس تاوضروس ما يأتي:

- أن سفر الأعمال لا يذكر شيئاً عن إقامة يوحنا في أفسس.

- أن رسائل بولس لا تشير إلى هذا.

- كذلك فإن إغناطيوس في رسالته إلى أهل أفسس أو بوليكاربوس في رسالته إلى أهل فيلبي لم يشر أحدهما إلى يوحنا على الرغم من أن كلاً منهما قد أشار إلى بولس الرسول.

- وبابياس أسقف هيرابوليس بآسيا الصغرى أيضاً لا يشير إلى يوحنا الرسول ويبدو أن التقليد قد خلط - في نظرهم - بين يوحنا الرسول وبين يوحنا آخر كان يقيم في أسيا الصغرى. وهو المعروف بيوحنا.

هذا هو الاعتراض، وأما الجواب الذي يتلقاه هؤلاء التلاميذ فهو: إن يوحنا ذهب إلى أفسس بعد تواريخ هذه الرسائل.[١]

ولك أن تفترض ذلك، ولك أن تترك الدنيا ومعك هذا الفرض لملاقاة الله ﷻ. لكن ينبغي أن تعلم أن ذهاب يوحنا إلى أفسس إذا جاز أن يكون بعد رسالة أو تاريخ من هذه التواريخ، فلا يعقل أن يكون بعد كل هذا. وسواء أذهب يوحنا إلى أفسس أم ظل مختفياً في جزيرة «بطمس» فقد كان على هؤلاء الكتاب أن يشيروا إليه. ولو على سبيل التلميح وخاصة أن له دوراً في الدفاع عن المسيحية.

ثم يدعم الدكتور موريس تاوضروس[٢] فكرة إقامة يوحنا في أفسس بشهادة يوسابيوس الذي يدلل بدوره على ذلك بالاستشهاد بإيرينئيُوس واكليمندس الاسكندري، يقول إيرينئيُوس «إن كنيسة أفسس أيضاً التي أسسها بولس الرسول والتي ظل فيها يوحنا حتى عصر ترجان خير شاهد على التقليد الرسولي» فصحة التقليد الرسولي حتمت أن يعيش يوحنا بعد موته. وأن يترك أورشليم ليتدرج في سلم الكهنوت الذي صاغه بولس في أفسس.

وواضح من هذا أن يوحنا الذي يتحدث عنه ليس هو رسول المسيح، بل يوحنا آخر محسوب على رسل بولس، حيث كان يطلق لقب «الرسول» على تلاميذ بولس في الغرب،

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد موريس تاوضروس صـ ١٤٨، ١٤٩ دار يوحنا الحبيب للنشر

٢- السابق صـ ١٤٦

كما أطلق على الحواريين في الشرق. ولأجل هذا ظهر كثيرون لم يقتنعوا بذهاب يوحنا إلى أفسس، وبدءوا يفترضون أمكنة أخرى لكتابة الإنجيل، كان أولهم الأب افرايم السرياني الذي كتب تفسيراً على «الدياطسرون» وذكر في أحد الملاحق أن إنجيل يوحنا كتب في إنطاكية، وقد تمسك بعض علماء العصر الحاضر بهذه النظرية لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة إغناطيوس والإنجيل، واغناطيوس هذا إنطاكي.

واقترح آخرون أنه كتب في الإسكندرية نظراً لوجود أوراق البردي في مصر، ولأن فيلو الفيلسوف الذي تكلم بإفاضة عن «اللوغوس» أي الكلمة سكندري.

وأخيراً ظن آخرون أن الإنجيل كتب في جنوب اليهودية في فلسطين نظراً لما في الإنجيل من عناصر يهودية بارزة.[١]

هذه بعض الآراء ونحن لا نرى وجهاً واحداً يحملنا على التعصب لأحدها، وعموماً هي مسألة لن يترتب عليها أكثر من معرفة مكان الكتابة، ولن نصل من خلالها إلى معرفة الكاتب، والواقع يقول: إن الكنيسة ظلت تعترف بإنجيل وترفض آخر، حتى أتاها الإنجيل الرابع، فما اعترفت بإنجيل بعده، ولا رأت فيما كتب قبله ما يغني عنه، وأشاعت أن هذا الإنجيل ألفه «يوحنا الحبيب». فمن يكون يوحنا الحبيب ؟

للأسف الشديد المصدر الذي يعرفنا بأصحاب المسيح هو الأناجيل الأربعة. وسواء أبدأنا بأولها أم بآخرها فسننتهي إلى نتيجة واحدة تقول:

«إن يوحنا موجود في الأناجيل الثلاثة الأولى. ولا وجود له في الإنجيل الرابع».

فلو كان يوحنا هو الكاتب فلماذا لم يصرح باسمه، وخاصة في عصر عمت فيه الفرق الضالة.؟ فهل الكاتب رسول بولس أم رسول المسيح عليه السلام ؟

وبينما أصابنا يوسابيوس بالصداع وهو يحاول إثبات أن الكاتب هو يوحنا الرسول لم يفطن وهو يسجل إمضاءه على كتابه أن يفسر سر ترك يوحنا لهذا التوقيع البسيط، إن عدم ذكر اسم الكاتب في أي عمل من الأعمال الفكرية هو سمة دائمة للأعمال المزورة، فماذا لو اقترح أحد على يوسابيوس أن لا يذكر اسمه على «تاريخ الكنيسة» ؟ وأي قيمة يمكن أن

---

١ - السابق صـ٥٦٢

تتخيلها لـ «تاريخ الكنيسة» لو نسب إلى مجهول؟

لعلك تتفق معي على أن الحكماء لا يتركون أتباعهم يتخبطون على نحو ما نحن فيه الآن، وإذا لم يفصح الرسول عن نفسه فلا نلام إذ لم نقر برسالته، فهل يقيم الله الحجة على عباده بكتاب مجهول الكاتب؟ أو برسول بذل كل جهده حتى لا يعرف القارئ من هو، وددت لو حسبت المسألة بالعقل والمنطق، لماذا أخفى الكاتب اسمه وتركنا نضرب أخماس في أسداس؟ لماذا تركنا هكذا في وقت انتشرت فيه الأناجيل المزورة ؟

لقد جاءت الأناجيل الأربعة ثمرة للصراع بين مجموعات مسيحية مختلفة في الفكر والعقيدة، فظهرت الأناجيل عدا لوقا أولاً بلا مؤلفين، ثم ألحقت بمؤلفيها الوهميين، ثم حذف اسم «لوقا» في محاولة من قِبَل الآباء لجعل الأناجيل الأربعة على قانون واحد. وربما حذفت كل المقدمات بما فيها من أسماء، فالكتب التي أولفت تصل إلينا وعلى غلافها أسماء مؤلفيها منذ عهد أفلاطون وأرسطو، فلماذا لم يذكر الإنجيلي اسمه.؟ هل يكون سبب ذلك أنه كان يود أن لا يتعرف عليه القراء، هذا لا يعدو أن يكون سبباً من الأسباب ويصبح أهمها على الإطلاق إن قلنا إن الأناجيل الأربعة وليس يوحنا فقط اتخذت منحى شاذاً عن الخط المعهود في الكتابة، إن هذا السبب يذهب بنا إلى أن الإنجيليين كانوا يحاولون انتحال شخصية كتاب آخرين، لكنهم في هذا الحالة سوف يذكرون اسم الكاتب المنحول إليه، لكن كاتب الإنجيل الرابع لا يذكر أن أحداً كتب، فشخصية الكاتب طبقاً للإنجيل مجهولة، وهذا يدفعنا إلى التخمين غير المستساغ.

- مناقشة الأدلة الداخلية

لو حاولت التعرف على كاتب الإنجيل الرابع فستجد علماء اللاهوت يقدمون إليك الكثير من المعلومات، وتشعر أن المؤلف كان شخصية على درجة من الشهرة، ولكن لو حاولت الرجوع إلى المصادر التي يعتمدون عليها أو تفكيك الرموز التي يشيرون بها إليه، فستجد الحقيقة على خلاف ما يظهرون. ففي ظل تضارب الأناجيل وعدم وجود نص صريح يجتهد كلٌ على قدر طاقته العقيلة، وعلى قدر التفاوت العقلي تأتينا الافتراضات التي تؤدي حتماً رغم تعارضها إلى ربط الإنجيل بيوحنا الصياد، ورغم أن علم المنطق الحديث والذي قامت عليه النهضة الأوربية الحديثة قد اعتمد على فرض الفروض وغربلتها لمعرفة الصحيح منها

من غير الصحيح، إلا أن علم اللاهوت القديم والحديث يعتمد غربلة الفروض لاعتماد ما يوافق منها النتيجة. فالباحثون ينمقون فرضاً على آخر، ويؤسسون الافتراض الأول والأخير وما بينهما على النتيجة، وكأنهم يحلون نماذج مختلفة من الكلمات المتقاطعة، فـ «يوحنا الصياد» نتيجة ثابتة، ثم تتغير الفروض وتتحرك بين مربع وآخر، وباحث وآخر، ولئن احتاج الناس إلى نص صريح لتحقيق المعرفة الدينية، فإن خصوصية المسيحيين في الإشارة تغنيهم عن العبارة، وعندما تفحص الأناجيل وتفسيرات آباء الكنيسة لها تراهم يعتمدون على العديد من الإشارات، فالكاتب هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، وهو التلميذ الآخر، وهو كذلك الشاهد الذي عاين وشهد وشهادته حق، كل هذا نراه في الإنجيل الرابع. وهاك التوضيح.

○ «التلميذ الذي كان يسوع يحبه».

يتمسك التقليديون بأن كاتب الإنجيل الرابع هو نفسه يوحنا الذي ذكره مرقص في الإصحاح الأول، ولوقا في الإصحاح الخامس، والذي كان صياداً في بحر الجليل. ولكن إنجيل يوحنا يترك الجليل بصياديها ليركز على أورشليم بجوها الديني العتيق، وفي أورشليم يؤكد على وجود شخص كان يسوع يحبه لدرجة أنه كان معروفاً لدى التلاميذ بهذه الصفة، «فالتفت بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه ويتبعه، وهو أيضاً الذي اتكأ على صدره وقت العشاء، وقال يا سيد من هو الذي يسلمك؟» (١)

فهذا لغز يعتقد التقليديون أن الكشف عنه يفضي إلى معرفة كاتب الإنجيل، ولكن وكالعادة يختلف اللاهوتيون وغير اللاهوتيين في تحديد اسم هذا الشخص، وهنا يغتنم التقليديون الفرصة ليفترضوا أنه يوحنا، فتتطابق المقدمة مع النتيجة، ويتحول يوحنا من إنسان محروم من الجلوس بجوار المسيح في الآخرة، إلى التلميذ الحبيب إلى قلب المسيح. ويصبح هذا الاحتمال هو الوحيد لمعرفة هذا الحبيب، مع أن إشارة الكاتب إلى هذا التلميذ بهذه الطريقة تدل على أنه لم يكن بالأساس شاهد عيان. وهذا ما يدل عليه إشارته إلى أحد التلاميذ بأنه «التلميذ الأخر».

---

١ - يو ٢١ : ٢٠ - ٢٢

وربما مُحِيَ الاسم أو سقط من الوثيقة الأصلية التي ينقل عنها. ولم يجد الكاتب ضيراً في أن يتصرف في ملأ الفراغ تصرف المؤلفين في مؤلفاتهم. فعبر عن الاسم الذي تآكلت أو محيت حروفه بـ «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» أو «التلميذ الآخر» ويأتي التقليد ليفترض تعمد الكاتب إخفاء اسمه. وأنه لم يكن سوى يوحنا الحبيب. وهي نظرية يزعم باركلي أنه لا يمكن رفضها بسهولة. ونعتقد أنه لا يمكن قبولها بحال من الأحوال. إذ يحكي باركلي بعد ذلك تضارب الآراء فيما أجمع عليه التقليد. وتتكاثر الآراء حتى تشمل الرسل جميعاً. بل «قال البعض: إنه تلميذ خارج دائرة التلاميذ المعروفين.

وقال آخرون إنه لا بد أن يكون إما «نقوديموس» أو «يوسف الرامي» وكل من الاثنين كان عضواً في مجمع السنهدريم. وكان معروفاً لدى رئيس الكهنة.

ووصل البعض إلى حد الظن أن ذلك التلميذ قد يكون يهوذا الأسخريوطي !! نفسه. ويهوذا من كثرة تردده على دار الرئيس لا بد أنه كان معروفاً بين دائرة الخدم وأهل البيت. وهكذا وجد طريقه إلى داخل بيت رئيس الكهنة بكل سهولة.[1]

ولقد اعترض البعض أيضاً على أن يوحنا كان لا بد وأن يذكر نفسه بلقب «الرسول» مثل كل الرسل. وليس «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» وهذا اللقب يجب أن ينسب إلى لعازر وليس إلى يوحنا[2] فهل لعازر هو الذي كتب الإنجيل؟

هناك برهان آخر هو أن يوحنا لا يستطيع أن يكتب مثل هذا الكتاب لأنه بحسب العدد ١٣ من الإصحاح السادس من سفر الأعمال عامي. والكتاب مملوء بالاصطلاحات الهلينية التي تجعل هناك تشابهاً كبيراً بينه وبين فيلو الفيلسوف الإسكندري: مثل «الكلمة. الحق. النور. الحياة الأبدية» وغير ذلك..

ويرد التقليديون بأن هذا البرهان ليس قاطعاً فإن مخطوطات القمران أيضاً تحمل تشابهاً للثقافة الهلينية. ومن يقرأ أجزاء منها يشعر كأن الكاتب يقتبس من الفلاسفة الهليين. ولكن جماعة الآسينيين لا يقطع بأنهم كانوا عوام. فمن المؤكد أن من بينهم من كان يعرف

---

١ - المدخل الآب متى المسكين صـ ٣١

٢ - [يوحنا ١١ : ٣، ٣٦]

الفلسفة. بينما الأسلوب القوي الواضح للإنجيل لا يتلاءم وفكر صياد أمي.

- الإشارة الثانية: «الشاهد»

حيث يفجر الإصحاح الأخير من الإنجيل مفاجأة فيما يتعلق بالكاتب، ففي آخره، نقرأ: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق»

وقد فهم التقليديون أن الشاهد هنا هو نفسه الكاتب، مع أن الذي يشهد ذكر بضمير الغائب، فكيف يكتب إنسان عن نفسه بضمير الغائب، وكيف يستخدم ضمير «هو» مكان ضمير «أنا» ومن هم الذين يعلمون أن شهادته حق؟ ولهذا لم يكن ثمة مفر من أن يحتار كتاب المسيحية ومفكروها في هذا التذييل «أن شهادته حق» فبعضهم يخمن بأنه ربما كان إضافة من تلميذ يوحنا، بينما لا يستبعد بعضهم أن يكون يوحنا هو كاتب هذه الكلمات بنفسه. [١]

ولكن الواضحُ من الصياغة أن الكاتب لم يكن يكتب من ذاته، بل كان يُمْلَى عليه. «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق» «والذي عاين شهد وشهادته حق» ولم يكن الذي يُمْلِي ولا الذي يُمْلَى عليه يعرفان من هو الذي شهادته حق، ولهذا استخدموا الاسم الموصول، ولا يستخدم هذا في تعبير الإنسان عن نفسه، والمعلقون إذ لم يجدوا تفسيراً لذلك اعتبروا أن تلك فقرة مضافة، ويعتقد أ. كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة في هذا الإنجيل، مثل الإصحاح ٢١، ويعتقد أنه من عمل أحد التلاميذ وقد أضاف أيضاً بعض اللمسات إلى متن الإنجيل. ويقر كثيرون من الشراح بهذا، إذاً لمن تنسب هذه الشهادة الإضافية ؟

«كثيرون ينسبونها إلى التلاميذ المقربين.وآخرون ينسبونها إلى شيوخ أفسس الذين اشتركوا مع يوحنا في عمله. ويقول آخرون إن يوحنا نفسه يتكلم عن الجميع، يُذَكِّر القراء بطبيعة الإنجيل الانتقائية» [٢] وإذا كان هناك من يعتقد أن العددين الآخرين ملحقان بالإنجيل، فكثيرون لا يشكون في كون الإصحاح الأخير ملحق برمته، ويمثل العدد ٣٠ و

---

١ - الخلفية الحضارية للكتاب المقدس (العهد الجديد) جـ ١ صـ

٢ - تفسير الكتاب المقدس جـ ٥ صـ ٢٩٨ أ . ج. ماكلاود

٣١ من الإصحاح العشرين النهاية الطبيعية للإنجيل. يقول باركلي: «هذه الفقرة تشكل خاتمة طبيعية للبشارة. ويبدو أن الإصحاح الحادي والعشرين هو ملحق لها»[١] وهناك الكثير من التفاسير والشروح التي تؤكد إضافة الإصحاح الأخير إلى الإنجيل. ويبقى إثبات أن هذا الإصحاح من الإنجيل أصعب من إثبات اسم كاتبه.

إن دراسة كتابات يوحنا بصفة عامة، والإنجيل الرابع بصفة خاصة، قد طرقت بسبل متعددة، ومن وجهات نظر متنوعة. وإحدى أكثر هذه الطرق شيوعاً – في المؤلفات الحديثة – هي التي تذهب إلى أن إنجيل يوحنا هو نتاج الفكر المسيحي حول الحقائق المذكورة في الأناجيل الأخرى، وأن هذه الحقائق قد طورتها خبرة الكنيسة، فهي إذاً تعكس فكر الكنيسة في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني – فيفترضون أنه في ذلك الوقت – وقد أصبحت الكنيسة بصفة رئيسية كنيسة من الأمم – قد تأثرت كثيراً بالثقافة اليونانية الرومانية، حتى انعكس هذا علي تاريخها، وهكذا تحول تراثها الأصيل ليتلاءم مع البيئة الجديدة، ويعتقدون أننا نرى في الإنجيل الرابع أبلغ عرض لنتائج هذه العملية. ويبدأ (بيكون) الموضوع بالرسول بولس وتأثيره، ويتابع ذلك حتى يصل إلي القول بقيام مدرسة من اللاهوتيين في أفسس هي التي أخرجت كتابات يوحنا، وأن فكر الكنيسة قد استراح لهذا العرض الجديد للمسيحية.[٢]

وقد لجأ كثيرون إلى هذا الرأي بعد أن أصبح السؤال الخاص بكاتب الإنجيل يربك الكبير والصغير من دارسي اللاهوت، فضلاً عن أن تقاليد الكنيسة تذكر اثنين باسم يوحنا: الرسول، ويوحنا الذي يطلقون عليه «القس» ثم هناك حقيقة أن «التلميذ المحبوب» يبدو أنه صوّر في الإنجيل نفسه كمصدر لبعض المعلومات، وهنا أيضاً نجد أن الأمر أبعد ما يكون عن الوضوح بالنسبة لمن كان هذا الشخص. يعرِّف إيرينيُوس التلميذ المحبوب بأنه يوحنا الرسول، غير أن باحثين كثيرين يعتقدون بأنه ربما كان شخصية مثالية ترمز إلى المؤمن الحقيقي بيسوع، بل إنه عُرِّف بأنه لعازر، والذي على أية حال كان الشخص الوحيد الذي

---

١ – تفسير العهد الجديد وليم باركلي (شرح بشارة يوحنا) جـ ٢ صـ ٥٥٢

٢ – دائرة المعارف الكتابية مادة (إنجيل يوحنا)

قيل عنه دائماً: «إن يسوع كان يحبه».

وهناك نظرية قد تشرح الحقائق الجديدة التي ظهرت الآن عن يوحنا، وهي أن الإنجيل كانت له نسختان، وسبق أن رأينا إذا استثنينا المقدمة يظهر السفر أكثر ملاءمة للعالم اليوناني. ولذلك من المحتمل أن تكون المقدمة قد أضيفت بعد إتمام العمل الأصلي حتى يروق لنوعية جديدة من القراء.

وهذا الاحتمال تدعمه أيضاً العلاقة الغريبة بين الإصحاحين ٢٠، ٢١ فالعدد الأخير من الإصحاح العشرين يبدو أنه الخاتمة المنطقية للسفر، ولكن هذه الخاتمة اتُّبعت بعد ذلك بالتعليمات التي وجهها المسيح لبطرس بعد القيامة في الإصحاح الأخير، ومن المحتمل أن هذا الإصحاح قد أضيف حين أرسل السفر لخدمة احتجاجات مجموعة جديدة من الناس على الرغم من أن أسلوبه ولغته يتشابهان تماماً مع أسلوب بقية الإنجيل ولغته. ولذلك فلا بد وأنه أضيف بواسطة نفس الشخص.

من المحتمل أن الإنجيل كُتب أولاً في فلسطين ليبين أن يسوع هو المسيح، وربما كان في ذهن الكاتب طوائف اليهود الذين تأثروا بأفكار كتلك التي كانت عند جماعة قمران، وعلى ذلك حينما يبدو أن نفس التعليم يصلح للناس في أي مكان من الإمبراطورية الرومانية هنا أعيد تنقيح الإنجيل، وتم شرح العادات والتعبيرات اليهودية، وأضيف إليه المقدمة والخاتمة، والنصيحة التي وجهت إلى قادة الكنيسة في الإصحاح الأخير توحي بأن الصيغة النهائية للإنجيل ربما وجهت إلى كنيسة مسيحية من اليهود في مكان ما في العالم اللاتيني ربما في أفسس» [1]

ونحن نتفق مع هذا الاحتمال في بعض تصوراته للطريقة التي خرج بها الإنجيل، ولكن لا نتفق على تلك التفاصيل. وهناك العديد من السيناريوهات أبعدها على الإطلاق ما تتمسك به الكنائس التقليدية.

- طريق الافتراضات لم ينته!

ولقد وضع الدكتور إبراهيم سعيد العديد من الفروض التي تصف شخصية مؤلف

---

١ - يسوع والأناجيل الأربعة صـ ٢٧١، ٢٧٢

الإنجيل، وأخيراً برهن على أن هذه الأوصاف لا تنطبق على أحد من العالمين سوى يوحنا الصياد. فكأن يوحنا هو اليهودي الوحيد، وهو الفلسطيني الوحيد، وهو التلميذ الوحيد، كأنه هو شاهد العيان الوحيد.

وطبقاً لترتيب دكتور إبراهيم سعيد تأتي هذه الفروض على النحو الآتي :

يهودي - فلسطيني - شاهد عيان - أحد تلاميذ المسيح - وأخيراً يطبق كافة هذه الفروض على يوحنا بن زبدي الصياد

وبإمكانك أن تمط في سلسلة الفروض أو الصفات كيفما تشاء، فتأمل كيف يتوقف تحديد اسم مؤلف على إثبات سلسلة طويلة من الفروض، أرأيت لو أن الدعوى صواب في ذاتها أكانت تحتاج إلى هذا التكلف.؟

لقد تخلى الباحثون عن شمائلهم وراحوا يتعاملون مع قضية المصير وكأنهم يلعبون الكوتشينة. فلجئوا إلى إظهار أشكالاً من براعتهم العقلية، وبلباقة قفزوا فوق كل الفروض وأعلنوا أنهم قبلوا الإيمان بالإله الذي تجسد في يسوع وتأنس من مريم العذراء. فأصبح الإنجيل الرابع صحيحاً لاحتوائه أو بالأحرى لعدم تعارضه مع هذا التعليم عن الله ﷻ.

ولم نجد الأمر بهذه السهولة، وسوف نناقش الفرض الأول كما لن ندع الأخير

الفرض الأول: كاتب الإنجيل الرابع يهودي. لماذا؟

لأن أسلوب الكتابة يدل على أنه كان يتحدث العبرية. ولم يعرف القس إبراهيم سعيد أن أهل فلسطين في هذا العصر كانوا يتحدثون الآرامية، لا العبرية، وأن العبرية ماتت من التاريخ والجغرافيا قبل المسيح عليه السلام وأن اليهود عندما أحسوا بأن لغتهم على وشك الانقراض عمدوا إلى الترجمة السبعينية. وسواء أكانت هذه أم تلك فإن ما يؤكد عليه المفسرون أن الإنجيل قد صيغ بعبارات يونانية أصيلة في التراكيب اليونانية، ولكن إذا أراد القس إبراهيم سعيد أن يقول إن كاتبه يهودي فبوسعه أن يبرهن على أن هذه التعبيرات اليونانية مفرغة في قالب عبري، ولا حرج عليه لو عجز عن معرفة الأساليب العبرية إن أخذ برأي اثنين أو أكثر من العلماء مثل (كايم) و(إوالد). فهذان الناقدان توصلا إلى نتيجة كانت نقطة انطلاق لمن يعرف ومن لا يعرف العبرية ليقول بما قالاه، وتنتهي مسألة بحث صحة الإنجيل على رؤية ما رأياه.

عموماً هذا هو أحد الأدلة التي يقدمها علماء اللاهوت، ولن تتحقق منه طالما أنك لست دارساً وبإتقان اللغتين، اليونانية التي تطورت عن أصولها، والعبرية التي ماتت أصلاً وفرعاً، فأي عبرية يمكنك أن تدرسها الآن، أهي العبرية المصطنعة من قِبَل حاخامات اليهود، أم العبرية التي انقرضت بعد تشتت اليهود، فقد تحدث اليهود بلغات الشتات بعد السبي، وفي فلسطين تحدثوا الآرامية وتناسوا عبريتهم، وبهذا يستحيل الآن على عالم أن يدرس العبرية المزعومة، ويبقى التأكد من حكم العالمين (كايم) و(إوالد) ضرباً من المحال. ويحتاج الدليل إلى دليل.

وسواءً أاعتبرنا الكاتب ملماً أو غير ملم بالآراء والعادات اليهودية. فإن هذا لن يحدد هويته، فربما ألم غير اليهودي بعادات اليهود. وقد يجهل يهودي عادات قومه الدينية، فانتظار اليهود للمسيا يعرفه اليهود وأحياناً غير اليهود، وهل يخفي على أحد الذريعة التي جاءت باليهود إلى فلسطين، فبعد أن طال انتظارهم واستبطئوا ظهور المسيا جاءوا يرقبون خروجه من فلسطين.

ومع ذلك فالكثير من الفقرات التي يستشهد بها التقليديون على أن الكاتب يعرف عادات اليهود تجد لها ما يماثلها في الأناجيل التي لم يكتبها يهود، والمثال على ذلك ما يقدمه لنا القس إبراهيم سعيد من الإصحاح الأول «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت. فاعترف ولم ينكر وأقرّ أني لست أنا المسيح. فسألوه إذا ماذا. ايليا أنت. فقال لست أنا. النبي أنت. فأجاب لا. فقالوا له من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك. قال أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي. وكان المرسلون من الفريسيين. فسألوه وقالوا له فما بالك تعمّد إن كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي. أجابهم يوحنا قائلا أنا أعمد بماء. ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه. هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه. هذا كان في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد» [١]

مثل هذه الفقرة نجدها في الإصحاح الثالث من لوقا «وإذ كان الشعب ينتظر والجميع

---

١ - يوحنا ١ : ١٩ - ٢٨

يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلا أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم».

فبهذه الأشياء الكثيرة وبهذه الفكرة المشتركة بين يوحنا ولوقا، كان المسيح يعظ الشعب. وبالإمكان أن يكتب هذه المواعظ اليهودي وغير اليهودي، والأمثلة أكثر من أن نحصيها. وقصة إطعام خمسة آلاف خير دليل على ما نقول، فقد اتفق عليها الإنجيليون الأربعة، وسجلت بطريقة واحدة بخط اليهودي وغير اليهودي، وأنت خبير بأن معرفة الإنسان بعادات وتقاليد قوم لا تدل على أنه بالضرورة منهم. بل إن يوحنا يشذ عن الإنجيليين الثلاثة بتركيزه على أن المسيح كان يحضر الفصح في أورشليم. ومعجزة الطعام تلك تقع في الجليل.

ومعرفة الكاتب بالأعياد اليهودية لا تقطع كذلك بأنه يهودي، وحتى لو اتخذها أساساً تاريخياً لتدوين الحوادث الجارية، فالأعياد يعرفها اليهودي عن آبائه، وغير اليهودي عن طريق احتكاكه باليهود. ولهذا انصرف الإنجيليُّ الرابع عن أمور استحوذت على اهتمام الأناجيل الأولى، فلم يذكر كلمة واحدة عن ميلاد أو نسب المسيح، كما رفض فكرة تعميد المسيح على يد يوحنا المعمدان، ومن ثم حاول جاهداً أن يبرز أهمية الشهادة التي قدمها يوحنا للمسيح. ظناً منه أن هذه الشهادة تؤكد جدارة المسيح بالتجسد الإلهي.

الفرض الثاني: كاتب الإنجيل فلسطيني.

ويأتي هذا الفرض ليضعنا أمام حقيقة غريبة وهي أن الكاتب فلسطيني لأنه يعرف تفصيلات الأمكنة الجغرافية المقدسة، كـ «بيت عبرة» و«عين نون» و«مكان الصلب». وطبقاً لهذا المنطق لا يصح أن يكتب لوقا إنجيلاً، لأن المفترض أنه لا يعرف تلك الأماكن. وهذا يعني أن الأديب لا يستطيع أن يكتب قصة جرت أحداثها بعيداً عنه، فلا يكفي أن يحصل على المصادر التي تعرفه بالأمكنة. وكأنه لا ينقش اسم البلد في مؤلفه، بل يرسم شوارعه ودروبه!

وبينما تحدثنا الأناجيل الأولى عن بلدة يوحنا بأنها الجليل نلاحظ أن الإنجيل الرابع

يطرح علينا مسألة علاقة هذا التلميذ الذي كان يسوع يحبه برئيس الكهنة في أورشليم، فكيف يمكن أن يكون الصياد ألجليلي معروفاً، ومعروفاً بصداقة ودلال لدى أعلى دوائر الكهنوت اليهودي؟ وبأي حق يصل إلى هذا الشرف.؟

وينكب الباحثون على التأمل والتدقيق بحثاً عن سر لهذه العلاقة، يقول شاف: «إنه يبدو أن القديس يوحنا كان يمتلك بيتاً خاصاً في أورشليم»[1] ويطرح باركلي حلين لتفسير هذه العلاقة.

الأول: أن يوحنا كان من سلالة الكهنوت، فبعيد العصر الرسولي ظهر كاتب يدعى «بوليكراتس» قام بكتابة تعليق على بشارة يوحنا، وعلى كاتبها التلميذ الحبيب — هذا الكاتب لا يشك لحظة في أن كاتب البشارة الرابعة هو يوحنا وليس سواه، ثم يضيف شيئاً غاية في الغرابة عن يوحنا فيقول : إنه كان بمولده من سلالة الكهنوت، وكان يلبس الشعار الكهنوتي، وهو شريط من ذهب نقشت عليه هذه الكلمات «قدس للرب» فوق جبهته. وعلى ذلك ليس مستغرباً أن يكون يوحنا معروفاً في دار رئيس الكهنة..

ويعلق باركلي على ذلك بقوله: ولكن من الصعب علينا تصديق هذا الخبر لأن البشائر تخبرنا صراحة أن يوحنا كان صياداً جليلياً، وكانت له تجارته الناجحة في هذا المجال .

الثاني: يرجح أن الصلة بين يوحنا وبين بيت رئيس الكهنة جاءت عن طريق التجارة. ومن الجائز أن والد يوحنا كان يوالي إرسال احتياجات بيت رئيس الكهنة من السمك مع ابنه من حين لآخر. ويكاد باركلي يقتنع بهذا الرأي، فينقل عن هـ. ف. مورتون «إنه حتى يومنا الحاضر توجد في أورشليم بناية قديمة تستخدم كمقهى يديره العرب، وقد استخدمت في إقامته أحجار من كنيسة أثرية ويعتقد الأخوة الفرنسيسكان أنه كانت تقوم في موقع هذه الدار، كنيسة في نفس البقعة التي يظن أن (زبدي) والد يوحنا كان يمتلكها، وكان يقيم عليها بيته، وقد كان هذا البيت يضم فرعا من التجارة الرائجة». [2]

غير من يتأمل هذه القصة يجدها تدعم الرأي الأول الذي اعترض عليه باركلي، أكثر من

---

١ - المدخل إلى إنجيل يوحنا / الآب متى المسكين صـ ٣١

٢ - تفسير العهد الجديد وليم باركلي (شرح بشارة يوحنا) جـ ٢ صـ ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

الثاني الذي بمقتضاه يسير يوحنا ما يقرب من مئة كيلو متر، والسمك على رأسه تلفحه الشمس حتى يصل إلى أورشليم حيث يقدمه إلى رئيس الكهنة. ويبدو أن بوليكراتس كان يستند إلى ما جاء في الإصحاح الرابع من سفر الأعمال من حديث عارض عن (يوحنا والاسكندر) ولم تدخل تلك الإشارة ضمن حسابات أهل التقليد. فاستعمال هذه الإشارة قد يدخل الباحث في متاهات التعارض والترجيح، مما يجعل نهاية بحثه مثل بدايته، ولهذا أخذ كثيرون بكناية الإنجيل، وتركوا صريح سفر الأعمال، الذي يقول: «وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والاسكندر، وجميع الذين كانوا من عشيرة الكهنة» فالواضح هنا أن يوحنا والاسكندر كانا من عشيرة الكهنة، وهو ما يتفق مع الرأي الذي استبعده باركلي، والغريب أن جميع الشراح الذين يبحثون مسألة يوحنا يمرون على تلك العبارة دون تعليق، وبعض الذين لا يبحثون عن يوحنا قد يعلقون عليها بتعليقات مختصرة جداً، كما فعل ف. ف. بروس عندما علق عليها بقوله: «لا هذا ولا ذاك يمكن إثبات شخصيته بالتأكيد»[1] لماذا؟ ذلك أنه لا حرج على المؤلفين في ابتكار أسماء، فصناعة الأحداث أحيانا تفرض اختراع شخصيات، والأحداث تحتاج إلى محدثين، ثم إلى ظروف مكانية وزمنية تقع فيها، وهكذا تكتمل الدائرة بتفاعل العناصر الأساسية للقصة.

هذا هو موقف رجال اللاهوت في التلميذ الآخر، فالمسألة لا تعدو أن تكون تخميناً يلجأ إليه الباحث عندما يعجز عن قراءة الحوادث بصورة واضحة ودقيقة، وعلى كل الأحوال بأي رأي أخذت من هذه الآراء لا يمكنك أن تصل إلى علاقة تربط التلميذ الآخر بالإنجيل الأخير.

الفرض الثالث: كاتب الإنجيل شاهد عيان.

وهذا ظاهر للتقليديين دون غيرهم من تدقيقه في ذكر الأشخاص والأزمنة والأمكنة والأعداد. أما الأشخاص فالأمر على خلاف ظنهم، فهو الإنجيلي الوحيد الذي لا يعرف أسماء الرسل ألاثني عشر، فالأشخاص الذين عرفهم هم: يوحنا المعمدان، وأندراوس

---

١ - تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتين جـ ٥ ص ٣١٨ منشورات النفير بيروت ثانية ١٩٩٠

وسمعان بطرس وفيلبس، ونثنائيل ونقيوديموس. فالمؤلف لا يعرف في إنجيله سوى ثلاثة من الرسل، ونثنائيل ونقيوديموس لم يردا ضمن الرسل في الأناجيل الأولى، ولم يذكر حادثة التجلي، والتي كان هو نفسه أحد أبطالها مع «يعقوب أخيه وبطرس» [1]. كما يجمع الشراح التقليديون

إن جهل الكاتب بالأسماء حتم عليه أن يلجأ إلى طريقة غريبة في التعريف بأعلامه الذين يتحدث عنهم، فبدلاً من أن يقول «يهوذا أخو يعقوب» قال «ليس الأسخريوطي» مما يدلل على أنه لم يكن يعرف كيف يميز بين اثنين من الحواريين يحملون نفس الاسم.

والكاتب هو الإنجيلي الوحيد الذين يعرفنا بأحد التلاميذ بأنه «التلميذ الأخر» وكثيرون يزعمون أن «التلميذ الآخر» هو يوحنا نفسه، ويحكي باركلي تضارب الآراء في ذلك. إلا أنه من غير اللائق أن يكتب الرسول عن نفسه أو عن شخص معروف له بأنه «التلميذ الآخر» وهكذا يتضح لنا أن الكاتب كان يجهل أسماء الرسل، ويتحدث عن يوحنا المعمدان كأنه لا يعرف غيره، ففي الإصحاح الأول: «وفي الغد كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه» ومرة أخرى يخمن كثيرون سبب عدم ذكر اسمي هذين التلميذين، بأن الكاتب كان واحداً منهما ولا يريد أبداً أن يذكر اسمه، وأما اسم الثاني فيذكره بعد ذلك وهو اندراوس أخو سمعان بطرس.[2]

فما قيمة هذا التخمين؟ إذا كان الكاتب يعجز عن تحديد اسم اثنين من تلاميذ يوحنا وفيما بعد من حواري المسيح، فهل كان هو نفسه من هؤلاء الحواريين فضلاً عن أن يكون من الدائرة الضيقة المقربة من المسيح كما يقولون.؟

فالأناجيل الثلاثة تتفق على عدد حواري المسيح عليه السلام، وإن اختلفت في بعض تفاصيل أسمائهم، غير أن الخلاف بين الأناجيل الثلاثة الأولى وبين الإنجيل الرابع ليس سطحياً، ويأتي ترتيب يوحنا الرابع في قائمة الرسل عند كل من متى ولوقا، أما في يوحنا فلا تجد لاسمه أثراً، كما يطرح الإنجيل أسماءً لا تجدها في الأناجيل الثلاثة الأولى، ومنهم:

---

١ - مرقص ١٣: ١-٤

٢ - شرح إنجيل القديس يوحنا الأب متى المسكين جـ ١ صـ ١٥٠

نثنائيل: وقد تحدث عنه في الإصحاح الحادي والعشرين كواحد من الرسل.[١] أما من هو نثنائيل هذا ؟ فهنا يختلف أهل الإنجيل، البعض يعتقد أنه ليس إنساناً فعلياً على الإطلاق، وأنه لا يعدو أن يكون صورة مثالية لكل إسرائيلي غيور القلب. وعلى هذا الأساس يخلط البعض بين شخصية هذا الإنسان وبين صورة بولس، أو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، والذي تردد ذكره في بشارة يوحنا دون أن يذكر صراحة اسمه ولقبه.

وقال البعض: إن بولس هو أصدق مثال تنطبق عليه صورة الرجل الغيور نقي القلب، الذي سقطت عن عينيه قشور الكبرياء والعمى العنصري، فأبصر حقيقة المسيح، واتخذه رباً ومخلصاً.

وظن البعض أن نثنائيل هو متى، لأن الاسمين معناهما «هبة الله» ولقد عرفنا أن العادة جرت في تلك الأزمنة أن يكون لكل إنسان اسمان. ولكننا قلنا إن واحداً من الاسمين لا بد وأن يكون يونانياً والآخر يهودياً، وهنا متى ونثنائيل اسمان يهوديان.

وهناك حل أخير يعتقد باركلي صوابه وهو أن اسم نثنائيل يقترن دائماً باسم فيلبس، فهو الواسطة التي أتت به إلى المسيح، واسم نثنائيل تنفرد به البشارة الرابعة ولا يرد في البشائر الأخرى، ولكننا نجد اسماً آخر يقترن باسم فيلبس في البشائر الثلاث هو اسم برثولماوس، وهذا الاسم يختفي من بشارة يوحنا»[٢] وهنا يكتشف شراح الأناجيل أن التصاق اسم فيليبس مع نثنائيل في البداية قد تحول إلى التصاق فيلبس مع برثلماوس في تعداد الرسل.[٣] فيطرحون فرضاً يجعل نثنائيل هو نفسه برثلماوس.

يا لها من حيرة، لا يرى التقليديون من خلالها سوى دقة المعلومات. ولم يفرقوا بين دقة النقل ودقة الوصف وصدق الوحي، وهناك عبارات ترجع إلى المهارة الأدبية، فإذا ما قال عن يهوذا «لما خرج كان ليلاً» وإذا ما قال عن رائحة الطيب إنها «ملأت البيت» كان هذا من قبيل حسن الصناعة الأدبية، وتفاعل الكاتب يعبر في جانبه الأدبي عن مهارة اليونانيين وشغفهم المعهود بالآداب.

١- الإنجيل بحسب يوحنا القمص تادرس يعقوب ملطي جـ ١ صـ ١٧٤

٢ - باركلي جـ ١ صـ ١٣١ -١٣٢

٣ - شرح إنجيل القديس يوحنا / الأب متى المسكين جـ ١ صـ ١٥٧

فهذا لوقا لم يكن شاهد عيان ومع ذلك فإن عبارته - فيما عدا المقدمة - لا تبدو مختلفة عن عبارات كاتب الإنجيل الرابع، بل هي أقوى منها في الدلالة على أنه شاهد عيان، ومن ذلك نقرأ في إنجيل لوقا: «وأعد لنا الفصح لنأكل..» فمن يقرأ هذا النص ماذا يقول ؟

إنه وطبقاً لمنهج القس إبراهيم سعيد لا بد أن يقول: إن الكاتب شاهد عيان بكل تأكيد، ولا يوجد مسيحي إلا ويرى عكس هذا الاستنتاج، ولا يوجد لاهوتي في دائرة التقليد الكنسي إلا ويصر على أن يوحنا كان شاهد عيان. وبهذا النزاع تبطل القاعدة التي تثبت الفرض ونقيضه.

والذين يزعمون أن يوحنا الحواري هو كاتب الإنجيل لا يقدمون أكثر من قرائن سرعان ما تتحول إلى سراب، فمن القرائن (أن الكاتب كان يعرف الأعياد اليهودية والأماكن في فلسطين، فكان يعرف قانا الجليل، ويعرف بركة حسدا ويعرف أن بيت عنيا قريبة من أورشليم ١٥ غلوة، وأن بحر الجليل هو بحر طبرية). لكن هذا كله يتحول إلى سراب إذا تخيلنا أن أي إنسان يمكن أن ينقل أية معلومات جغرافية وغير جغرافية، وقد وجدنا الكتاب المتفق على أنهم لم يروا المسيح ولم يعاصروه يذكرون مثل تلك الأوصاف، ولهذا فأصحاب النظرية المقابلة يرون في إنجيل يوحنا كثرة المصطلحات التي لا يستطيع كتابتها سوى فيلسوف، وأما أسماء الأماكن والأشخاص فيمكن لمن يعرف ولمن لا يعرف الفلسفة أن يكتبها.

والحق أن كاتب الإنجيل ظهر بعد أن أمضت الكنيسة قرناً كاملاً تحكى ما فعل المسيح، دون أن تعرف هدفاً ولا غاية لهذه الأفعال، فالسؤال الذي تجيب عليها الأناجيل الثلاثة المتشابهة هو: ماذا عمل يسوع؟ فكتب الإنجيل الرابع في وقت كانت الحاجة إلى معرفة من هو يسوع؟ وفي سبيل هذا لم يهتم بالحقائق، وأصبح الكاتب هو الشخص الوحيد من بين كتبة الأسفار المقدسة الذي يؤمن بإباحة الخمر، ويتجاهل النصوص التي يخطئها الحصر في الكتاب المقدس والتي تقضي بتحريم الخمر، وأقدم لك جانباً من نصوص الرسائل التي كتبت قبل الأناجيل، وخاصة الإنجيل الرابع، إنجيل الخمر، وإنجيل لاهوت المسيح:

- (ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح) [١]

- (لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد)[٢]

- (وأما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعوٌ أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا)[٣]

- (لأن زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة) [٤]

هذه النصوص تقرن الخمر بالعهر والزنا وعبادة الأوثان والبطر والطمع والحسد والخصام وهي أقبح ما يمكن للإنسان أن يقع فيه من أفعال، وهذه النصوص ما رآها ولا سمع عنها كاتب الإنجيل الرابع، وقد جاء ليكشف القناع عن معجزة فاتت الإنجيليين الثلاثة وكاتبي الرسائل، ومن يومها تواترت الحجج التي تقول: إن ما كان صالحاً وشرب منه المسيح، إنما هو صالح ليعب منه المسيحيون، وهناك أناجيل (غير قانونية) تقول: إن العذراء كانت خالة العريس، وبعضها يظن إن العريس كان يوحنا الحبيب نفسه، وأن أمه سالومة أخت العذراء، ولا يقيم باركلى لهذه التفاصيل وزناً، والسبب هو أننا لو سلمنا أن العريس هو يوحنا الحبيب فإن النتيجة هي أن كاتب إنجيل يوحنا شخص آخر غيره.

لقد تحدث الكاتب عن (الكلمة) وهو المصطلح الفلسفي الذي لم يستخدمه أحد غيره في الكتاب المقدس، ثم تحدث عن معجزة الخمر، فنسج لها قصة على منوال القصة اليونانية التي (تدور حول ديونسيوس إله الخمر، إنه في حفلات الأعياد التي تقام لذكرى هذا الإله يحضر الكهنة ثلاث أواني فارغة، ويضعونها في قلب المعبد في حضور المعَيِّدين وكل غريب يتصادف وجوده هنا، ثم تغلق الأبواب وتختم بخاتم الكهنة وعلية القوم، وفي صباح اليوم التالي يحضرون إلى المعبد ليقوموا أولاً بفحص الأختام والتأكد من سلامتها، ثم يقومون

---

١ - أفسس ٥ : ١٨

٢ - رو ١٣ : ١٣

٣ - كورنثوس الأولى ٥ : ١١

٤ - ١ بطر ٤ : ٣

بأنفسهم بفتح الأبواب ويسرعون إلى الداخل، فإذا الأواني الفارغة قد امتلأت لحافتها بالخمر)[1] هذه الحكاية وإن كانت من خرافات الوثنية إلا أن كاتب الإنجيل كان يفهمها ويفهم ما لها من مغزى ديني عند اليونان، ولما أراد أن يقنع كهنة الوثنية اخترع لهم معجزة مماثلة، ومسألة من هو الذي اخترع أعقد مما يخيل إلى كثيرين من النصارى، وبينما المبشرون منهمكون في وعظ الناس بالإنجيل نجد رجال اللاهوت غارقين إلى أذقانهم في محاولة الكشف عن كاتب فكرة التجسد ومعجزة الخمر، هل هو حواري أم غير حواري؟ وإذا كان حوارياً فهل هو يوحنا بن زبدي أم غيره؟ ولهذا يقول الدكتور القس فهيم عزيز: هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة، وغالباً ما تنتهي بالعبارة: (لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل)

الفرض الرابع: كاتب الإنجيل هو أحد تلاميذ المسيح.

والدليل على هذا هو إلمامه بدعوة المسيح، وذكره أن القيامة ثبّتت إيمان تلاميذه، وتدوين خطابه الوداعي وغير ذلك، وكل هذا يصبح بلا قيمة إذا علمنا أن لوقا دون أمثال المسيح، وأنه لا فرق بين لوقا وبين يوحنا في معرفته بدعوة المسيح، فلربما وقع في اعتقاد كثيرين اليوم أن إثناسيوس كان عالماً بالمسيحية أكثر من الرسل جميعاً، والأقدمون والمحدثون فُتِنوا بهذا الرجل وبالغوا في تقديره حتى ألحقوه بالرسل، مع أن الزمن يفصله عنهم بثلاثة قرون كاملة.

والكاتب يسجل عبارات فظيعة عن المسيح دون أن يقدم مبرراً لذلك، «الحق. الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأت بثمر كثير»[2] فكأن بقاء المسيح هو حرمان من الثمر، فليمت المسيح ليكثر الثمر، فكيف يستطيع إنسان محب أن يسجل هذا المشهد عن محبوبة دون أن نحس الألم في عبارته ؟

ومع كل هذه المقدمات يخرج القس إبراهيم سعيد بنتيجة أن: «كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا بن زبدي الصياد».

---

[1] - شرح بشارة يوحنا وليم باركلي

٢ - يو ١٢ : ١٩ - ٢٤

وعند هذه النتيجة يتقهقر العالمون إلى الوراء. لأن الفروض السابقة جميعها ولو كانت صحيحة لا تبلغنا إلى هذه النتيجة، فالتلميذ الآخر وغير الآخر غير معروفين. فيمكن أن يقال عن كل تلميذ بأنه الآخر، وبأنه كان يحب أو يحبه يسوع، ولا يصح حصر مثل هذه الوصاف في أحد رسل المسيح.

ولكن يمكن عزل تلاميذ المسيح عن غيرهم بوصف الرسولية، ويحرص كاتب الإنجيل على أن لا يدعي لنفسه ذلك، فلم يذكر أنه رسول مثلما فعل بولس، ولم يجرؤ أن يتبنى دعوى رؤية المسيح بين السماء والأرض مثلما أعلن بولس. فماذا لو كتب «أنا يوحنا الرسول كاتب هذا ..» ألم يكن يتوقع عدم تسليم الناس بكتاب لا كاتب له ؟

لقد كان عليه إذا كان هو يوحنا أن يذكر نفسه بلقب (الرسول) وليس التلميذ الآخر ولا الذي كان يسوع يحبه، واللقب الأخير ينبغي أن ينسب إلى لعازر أكثر من أي شخص آخر، فلو قال التقليد إن لعازر هو الذي كتب الإنجيل بعد أن عاد أو عادت إليه الحياة لما صار الاعتراض أقوى مما هو الآن.

ومن الغرابة أن فكرة التجسد – وهي الفكرة الأساسية في المسيحية – ينفرد بها كاتب الإنجيل الرابع، وقد أسهب في وصف التجسد الذي أصبح التعبير البديل عن الميلاد من عذراء في الأناجيل الأولى. ولأجل هذا أطلقوا على الكاتب «يوحنا اللاهوتي» ولم يعد هو ابن زبدي الصياد. أو الأمي مثلما ورد وصفه في سفر الأعمال بأنه كان عديم العلم وعامي: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا ..» [١]

هذا هو وصف «يوحنا» وبطرس يوم أن قابلهما الكهنة وعلى رأسهم حنان وقيافا في أورشليم.[٢] ولكن ها نحن نرى رسالتي بطرس تفوقان كافة الكتابات اليونانية، وإنجيل يوحنا – بشهادة الشراح – يفوق ما عداه من أناجيل. وقد كتب باليونانية التي لم يثبت أن صياداً من الجليل تعلمها.

ولو فُرض أن لوقا كاتب سفر الأعمال، فإنه لا يبدو من خلال تجاهله لفكرة التجسد أثراً

---

١ – أعمال ٤ : ١٣

٢ – والقصة في سفر الأعمال تؤكد بأن لا يوحنا ولا بطرس كان معروفاً في أورشليم.

لمعلومات قد يُظن أنه نقلها عن هؤلاء الكهنة اليهود الذين التقوا ببطرس ويوحنا.. فعندما نقارن الإنجيلين الثالث والرابع لا نلمس هذا التأثير، فقد اختار لوقا أوصافاً تمعن في إظهار بشرية المسيح، فعلى سبيل المثال أظهر صورته وهو طفل رضيع ملفوف بأقمطة في مزود البقر. ولم يعرف كيف ينقلنا إلى مشهد «التجسد» الذي حل بينهم، واختار له يوسف بن هالى أباً وأعرض عن معجزة ولادته دون أب، بينما كاتب الإنجيل الأول كان قد سبق وحدد له يوسف بن يعقوب أباً، ومن ثم قبل ببراءة مريم بحلم يراه من توهموا أنه خطيبها. ولم يقبل بكلام الطفل في المهد كوسيلة تبرأت بها مريم عليها السلام. ولا شك أن رؤية الحلم من قبل يوسف دون غيره يقوي الشكوك حوله أكثر من أن ينفيها عنه.

وبينما يبدأ الإنجيل الرابع بفكرة التجسد يبدأ الإنجيل الأول بميلاد المسيح من عذراء مخطوبة، وفي صفحة واحدة يسرد آباء المسيح بدءاً من خطيب مريم حتى يصل إلى آدم عليه السلام. ولا يُعرف تفسير لذلك.

ويبدو أن هذه فكرة الأبوة البشرية بدت سخيفة لدى كاتب الإنجيل الرابع، فاستهل إنجيله بفكرة التجسد مخالفاً متى ولوقا حول النسب، ولسنا بصدد الانتصار لمتى ولا للوقا في هذا الموضوع، لأن لوقا في النهاية لم يسمع من «المسيح» كما لم يرد عن كاتب متى ادعاءٌ ذلك. مع أن مثل هذا الادعاء كان سيوفر شهادة قوية لصحة ما يكتب.

فلماذا إذاً لم يظهر المسيح للوقا كما ظهر لبولس؟ ولماذا لم يكتب بولس إنجيلاً مثلما فعل لوقا؟ ولماذا تأخر يوحنا في كتابة إنجيله حتى سبقه التلاميذ وغير التلاميذ؟ ألم يكن أجدر به أن يسارع بإنجاز هذه المهمة قبل غيره؟ هل تذكر التلاميذ عقب القيامة ما كان قد قاله لهم المسيح من قبل، وتذكر الكاتب ذلك بعدما فاتهم أن يسجلوا ما تذكروه في أناجيلهم ؟

المعروف أن بولس هو الذي أنشأ كنيسة أفسس قبل ظهور الأناجيل، وهذا يعني أن كنيسة أفسس وجدت أولاً بلا إنجيل، وظلت تتقاذفها الأمواج حتى ظهرت الأناجيل الأولى كمحاولة أولية لربط أفسس بأورشليم، ثم تعززت أفسس على أورشليم بظهور الإنجيل الرابع، ولئن انتصر تيطس قبل ذلك فقد أصبح هذا النصر مؤشراً على من سيحرز النصر النهائي في الصراع بين المسيحية الشرقية والغربية.

وبعد أن أصبحت الأناجيل في يد الكنيسة بعدد الجهات الأصلية، وفي سبيل الرد على

محاولة صياغة الأناجيل الأربعة في إنجيل واحد بحث الآباء عن أوجه الحكمة، فأصبح كل إنجيلي من الأربعة يقابله مدلول حيوان من الحيوانات التي أشار إليها سفر الرؤيا فالإنجيل للقديس متى يقابل الحيوان الذي له وجه كوجه إنسان، لأن القديس متى يتحدث عن المسيح كإنسان تناسل من النبي داود، والإنجيل للقديس مرقص يقابل الأسد لأن القديس مرقص تحدث عن صوت صارخ في البرية، والإنجيل للقديس لوقا يقابل العجل لأن القديس لوقا تحدث عن الذبائح التي تقدم حسب الشريعة الموسوية، والإنجيل للقديس يوحنا يقابل النسر الطائر لأن القديس يوحنا تحدث في سمو وعمق عن لاهوت السيد المسيح [١]

فهذه الأناجيل التي ترمز إلى الحيوانات الأربعة لا يمكن أن تكون هي ما عناه المسيح في الإصحاح الأول من مرقص «وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»

فأي إنجيل يدعو المسيح أتباعه إليه؟ أهو الإنجيل الذي يمثل الأسد أم ذاك الذي يمثل العجل ؟ إن لكل كاتب أن يدعي أن إنجيله هو المقصود،

وقبل ظهور الأناجيل الأربعة قسم بولس الإنجيل إلى نوعين: إنجيل الغرلة وإنجيل الختان[٢] والغريب أنه زعم أن إنجيل الغرلة هو إنجيل المسيح، ومن ثم يشير إلى إنجيل بعينه واصفاً إياه بأنه ليس إنجيل المسيح، ويدعوه إنجيل آخر [٣]

فهل هذه الأناجيل الأربعة جاءت تابعة لإنجيل الغرلة أم الختان، إن لوقا وهو تلميذ بولس يتحدث صراحة ودون تعليق عن ختان يسوع، فلماذا قبلت الكنيسة إنجيله بهذه الصورة؟ ولماذا لم يقدم بولس إلى الكنيسة الإنجيل الحقيقي الذي يشير إليه، أو لماذا لا يدلهم عليه، ولماذا اقتصر دوره على الرسائل؟

لا شك أنه كان لرسل المسيح عليه السلام الاثني عشر جهود في التبشير بالإنجيل والدفاع عنه، إلا أن العهد الجديد لا يسجل لنا بالتفصيل سوى رحلات وجهود بولس، وكأن باقي الرسل تقاعسوا عن القيام بواجبهم التبشيري، أو كانوا يبشرون بـ «الإنجيل» الذي أطلق عليه

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد موريس تاوضروس صـ ١٤

٢ - أفسس ١: ١٣

٣ - غلاطية ١: ٦

بولس اسم الإنجيل الآخر. وللخروج من هذا يزعم بعضهم أن المسيح عليه السلام لم يترك شيئاً مكتوباً، ولم يعثر إنسان ما على أية وثيقة أو وسيلة تكشف عن أية كتابات قام بها.[1] غير أن كاتب البشارة الرابعة يشير إلى كتاب آمن به المسيحيون قبل أن تُكتَب بشارته بعشرات السنين، فبعد حديثه المتكلف عن نقض جسد يسوع عاد ليقول: «فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع» فأي كتاب يقصد ؟

إن الإنجيل الذي يسجل هذه العبارة لم يكن قد رأى النور بعد، فكيف آمنوا بالكتاب قبل أن يكون ؟ لَمْ يكن لوقا في وقت تذكرهم قد كتب إنجيله. ولا مرقص ولا متى.. فبأي كتاب آمنوا..؟ وما معنى أن يقول الكاتب «تذكر تلاميذه» ؟ ألا يُحْسَبُ من زمرتهم ؟ فلماذا لم يقل: تذكرنا.؟

ومهما قيل عن وجود أو عدم وجود (كتاب) قبل الأناجيل الأربعة تبقى الكنيسة متمسكة بقانونية الأربعة دون سواها، وبدلاً من الإجابة أو حتى مجرد التفكير في ما يثيره حال هذه الأناجيل من علامات استفهام يطمئن أساتذة اللاهوت أتباعهم بأنه لا خشية على الكتاب المقدس من النقد، وهكذا يرفع القس فهيم عزيز صوته عالياً في وجه أولئك الذين أزعجهم النقد الحديث «لا تخشوا على الكتاب المقدس، ولا تخافوا من أي هجوم، فنحن لا نعبد كتاباً، ولكننا نعبد السيد الموجود بين دفتي هذا الكتاب، هو الذي يعطي للكلمات تأثيرها، وعملها فيصبح إنجيلاً»[2]

وعليه فمهما قيل عن صحة أو عدم صحة الإنجيل الرابع فإن المسألة بالنسبة للمسيحيين لا تبدو قابلة للنقاش، وليس عليهم من حرج، فهم لا يعبدون الكتاب، وإنما يعبدون المسيح القابع داخل صفحات هذا الكتاب، ولهذا لا تعجب عندما تصادف بروتستانتياً لا يشك في عدم نسبة الإنجيل إلى يوحنا في وقت يتمسك فيه بأن المسيح هو «الكلمة» المتجسد. وكثيرون يعتقدون أن معرفة أو عدم معرفة اسم الكاتب من الأمور الثانوية، والبعض يشعر بحيرة وذهول قرائه من عدم الوقوف على اسم الكاتب بصورة يقينية، فيطمئنهم بأن

---

١ - المدخل إلى العهد الجديد صــ ٧٦، ١٠٦

٢ - مقدمة المدخل إلى العهد الجديد

القديس (فلاناً) فحص الأناجيل الأربعة، وأنه خرج منها بعبارة تقول: «إنني أسمع صوت يسوع الحقيقي فيها»

علينا أن نعلم أن الذي فحص والذي سمع صوت يسوع في هذه الأناجيل، ليس بأحد الرسل ولا هو أحد تلاميذ الرسل، إنما هو أحد رجالات الفكر اليوناني، الذين بمجرد أن تخلوا عن وثنيتهم غدوا أساقفة وقديسين. ومعلوم أن الأناجيل التي يسمعون صوت المسيح فيها لا تقنعنا بأنها تعرف اسمه ﷺ، فهي ليست سوى قصص ضبابية للسنوات الأخيرة من حياته، لا فرق فيها بين إنجيل وآخر، إنها سيرة غير واضحة الهدف لحياة المسيح، وربما بدت للقارئ «لحياة أكثر من مسيح» تبدأ وسرعان ما تنتهي، وكان ينبغي تبعاً لمفهوم التجسد أن لا تبدأ وأن لا تنتهي، وهذا ما يلحظه كاتب الإنجيل الرابع عندما يؤكد على أن المسيح هو الكلمة الأزلية. وهي فكرة لم تختمر في عقل بولس، ولم يعرف الإنجيليون الثلاثة طريقة لفهمها ولا للتعبير عنها.

وكان إنجيل يوحنا قد عرف في الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي، بعد فترة كان المسيحيون يشكلون مجموعات صغيرة، ولم يكونوا قد توحدوا على عقائد محددة، فكانت هذه الجماعات تحكى أفعال المسيح، دون أن تعرف هدفاً ولا غاية لما تحكيه، فظهرت أناجيل تحاول الإجابة على السؤال: ماذا عمل يسوع؟

وفي مرحلة تالية ازدادت المجموعات المسيحية وتطور فكرها، وبدأ الناس يتباحثون عن مغزى كل هذه الأفعال، فأراد كاتب الإنجيل الرابع أن يبين من خلال ما يحكيه من هو يسوع ؟ وفي سبيل الإجابة على هذا السؤال لم يهتم بالحقائق التي سردها الإنجيليون الثلاثة، فأعاد صياغة القصة على هدم هيكل جسد المسيح، يقول أكليمندس: إن يوحنا لم يهتم كثيراً بالحقائق بقدر اهتمامه بالمعاني المستترة وراء الحقائق.. ويعلق باركلي: «فيوحنا لم يكتب بشارة تاريخية بل سجل إنجيلاً روحياً».

وهكذا ظلت الكنيسة تعترف بإنجيل وترفض آخر، حتى أتاها الإنجيل الذي يقول بالتجسد، فما اعترفت بإنجيل بعده، ولا رأت فيما كتب قبله ما يغني عنه، فأشاع هذا الإنجيل جو الارتياح في أوساط مترددة في حقيقة المسيح، ومن مدينة ليون الفرنسية راجت شائعة أن هذا الإنجيل ألفه يوحنا، وشيئاً فشيئاً سرت الشائعات إلى الأقاليم الشرقية، ولم

تلج فلسطين ذات الأسوار العالية، فمن هو يوحنا الذي ألف الإنجيل؟

لكون الكاتب شخصية افتراضية فقد ظهر من يذكر أنه كان في أفسس أكثر من يوحنا، ويبقى الفرق بين يوحنا ويوحنا لغزاً تعجز الدراسات والأبحاث عن أن تفصل فيه، فلو كان رسولاً حقيقياً فلماذا لم يصرح باسمه وخاصة في عصر دبت فيه الفوضى الفكرية، وانتشرت الهرطقة في كل مكان.؟

وإذا لم يكن رسولاً فلماذا إصرار الكنيسة على حشره في قائمة الرسل طوال هذه القرون؟ هل يوحنا شخصية حقيقية لحماً ودماً ؟ وهل عاش فعلاً في الجليل صياد بهذا الاسم انضم إلى أتباع المسيح؟ والسؤال بصيغة أخرى: هل تقابل المسيح على بحر الجليل بشخصية يوحنا وتعرف عليه ؟

إن تضارب الأناجيل بشأن هذه الواقعة يسقطها من باب الاحتجاج، فالإنجيل الرابع لا يذكر المواقف التي بدا لنا أن كاتبه كان حاضراً وفعالاً فيها في الأناجيل الأولى.

إن القصة التي تتحدث عن لقاء المسيح بابني زبدي في الجليل لا تجدها في إنجيل يوحنا، وعلى كل الأحوال لو أخذنا بالأناجيل الأخرى يبقى علينا أن نضع فروضاً كثيرة حتى نصل إلى الحلقة التي تثبت وجود ابني زبدي، وإذا تمكنا من إثبات شخصية يوحنا بن زبدي الصياد، تبقى الخطوة الأخيرة وهي: هل عاش يوحنا بن زبدي إلى أن كتب الإنجيل بعد المسيح بسبعين سنة؟

لم يخبرنا كاتب سفر الأعمال بأنه التقى به مرة واحدة في حياته، والدلائل وسياق الأحداث لا يمنع ذلك إلا إذا قلنا أن كليهما كان يتحاشى أن يصادف الآخر، ولم يقدم لوقا تعليلاً لهذا التجاهل، وتفترض الكنيسة أن يوحنا الرسول أقام في أفسس، ومن ثم تدعم هذا الفرض بعدد من العبارات التي وردت في الكتب القديمة، ولا يمكنك أن تفتح كتاباً يعالج هذا الموضوع إلا وتجد فيه اسم يوسابيوس القيصري، ورغم أن هذا الرجل ألف كتابه «تاريخ الكنيسة» في مطلع القرن الرابع إلا أن النصارى يتمسكون بعباراته تارة، وينبذونها أخرى، وتارة يبدو وكأنه قديس وأخرى يظهر وكأنه يدعم الهرطقة.

لم نلحظ في التاريخ البشري كتباً تختفي أسماء مؤلفيها في عصر كتابتها كما هو شأن الأناجيل، وقد يبقى الكتاب بعد مؤلفه قروناً قبل أن يختفي اسم مؤلفه، أو ينحل إلى

شخص آخر، ولكن مشكلة الأناجيل تبدأ مع ظهورها، فكلما ظهر إنجيل ظهر بلا كاتب، بينما كتب أرسطو ظهرت ومعها اسم أرسطو، وحتى الإلياذة التي كتبت قبل أرسطو أو قبل الأناجيل بقرون[1] لا خلاف علي أن شاعر اليونان هومير هو الذي كتبها.[2] ولم يعز تاريخ يوسيفوس الذي عاش في الجيل التالي لعصر الرسل.[3] إلى مجهول، وحتى كتب بابياس الخمسة لم يشك يوسابيوس بمجرد أن قرأ اسمه عليها أنه له، وقد أوجز الحديث عنه في وقت أسهب الشرح عن الإنجيليين محاولاً رفع الغبار عنهم، ولك أن تتعجب كيف أن التاريخ احتفظ باسم حمورابي مؤلفاً لأقدم شريعة في الدنيا، ولم يحفظ لنا اسم كاتب واحد من الأناجيل الأربعة، فبأي منطق يختلف علماء اللاهوت حول كاتب هذا الإنجيل أو ذلك؟

يقول التقليد إن أناجيل كثيرة مزورة ظهرت في هذه الفترة، فلماذا لم تسع الكنيسة إلى تحديد أسماء مؤلفي أناجيلها كي لا يختلط المزور بغير المزور؟.

لهذا لا بد من البحث عن أسباب لمعرفة لماذا لم يذكر كاتب الإنجيل الرابع اسمه.؟ هل يكون ذلك لأنه كان يود أن لا يعرفه القراء، هذا لا يعدو أن يكون سبباً من الأسباب ويصبح هو أول الأسباب وأخرها إن قلنا إن الأناجيل الأربعة سلكت نفس الطريق، فهل الإنجيليون كانوا يحاولون انتحال شخصية كتاب آخرين؟

لو كان كذلك والحالة هذه فسوف تذكر شخصية المنحول إليه. لكن كاتب الإنجيل لا يذكر أن أحداً كتب، فالإنجيل مفعولٌ لا فاعل له، وهذا يدفع بنا مرة أخرى إلى التخمين غير المستساغ، ونلاحظ أن لكل عصر طريقته في التخمين، والواقع أن العصر الذي صدرت فيه الأناجيل هو الذي أدى إلى ظهورها على هذه الحال، فلقد كانت الطريقة المتبعة هي أن الكاتب يذكر اسمه واسم المكتوب إليه، وهذه الطريقة تظهر بوضوح في مطلع إنجيل لوقا،

---

١ - وهناك من يظن أنها قد كتبت أيام إشعياء النبي. انظر: كتابنا المقدس ويصا الإنطوائي صـ ١٤٣.

٢ - هناك ملحمتان من أقدم الملاحم وأضخمهما في تاريخ الأدب الإغريقي تحملان اسم هوميروس، وهما الإلياذة والأوديسة التي تتناولان أساطير حرب طروادة المشهورة في التاريخ. وفيما يخص هذا الشاعر من حيث الوجود التاريخي لدينا معلومات غير موثوق بها، والكثير منها حول هذا الشاعر وقصائده، ارجع إلى (الإلياذة) لشاعر اليونان القديم هوميروس ترجمة أمين سلامة ط/ ثانية ١٩٨١م دار الفكر العربي.

٣ - يرجح أنه عاش ما بين عام ٣٠ إلى ١٠٠م

إذ يقول: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به»

ويبدو أن هذه المقدمة كانت موجودة بصيغة أو بأخرى في بقية الأناجيل، فحذفت من الأناجيل الأخرى فيما بقيت في لوقا بعد أن حذف منها اسم الكاتب لأغراض مجهولة لنا الآن، ويظهر أنها كانت على هذا النحو: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا لوكانوس أيضاً إذ قد تتبعت كل شيءٍ بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به»

وعلى هذا حذفت مقدمة إنجيل يوحنا ومعها اسم كاتبها، وقد أبقي لنا التقليد مقدمة لإنجيل مرقص، كانت تهاجم ماركيون الهرطوقي، وقد وصل منها وصف لإنجيل مرقص ضائع منه بعض سطوره الأولى ولكنه يستمر قائلاً: «مرقص أعلن ... وكان يسمى ذا الإصبع الصغير، لأنه كان له إصبع قصير، وكان مترجماً ومفسراً لبطرس، وبعد موت بطرس كتب إنجيله في أماكن بإيطاليا» وبفحص هذه المقدمة ظهر أنها مأخوذة من قول بابياس[١]

فهل وضعت هذه المقدمة تعديلاً أو بديلاً عن مقدمة أخرى انتهى دورها ؟

وهل حذفت المقدمة الثانية هي الأخرى بعد أن أدت دورها في مرحلة لاحقة ؟

قد يكون حدث هذا وذاك. ونتيجة لهذا وذاك بدأ الباحثون يخبطون أخماساً في أسداس دون أن يعرفوا لخبطهم نهاية.

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص دراسة وتفسير وشرح أول وأقدم الأناجيل الأب متى المسكين صـ ٣٢

أهم المراجع

١. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام د / على عبد الواحد وافي نهضة مصر
٢. التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) تأليف ر. ألان كول ترجمة نجيب إلياس برسوم
٣. الخلفية الحضارية للكتاب المقدس (العهد الجديد) كريج س. كينر مطبعة يوبرس أولى.
٤. المدخل إلى العهد القديم القس صموئيل يوسف دار الثقافة.
٥. الصحاح في اللغة والعلوم. نديم مرْعشلي وأسامة مرْعشلي مادة «قلد» دار الحضارة العربية بيروت.
٦. اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة / يوحنا سلامة ط/ مطبعة عين شمس.
٧. المدخل إلى العهد الجديد الدكتور / فهيم عزيز / دار الجيل صدر عن دار الثقافة
٨. المدخل إلى العهد الجديد موريس تاوضروس دار يوحنا الحبيب للنشر
٩. النصرانية / الشيخ أبو زهرة ط/ دار الفكر العربي
١٠. إنجيل يوحنا (قراءة وتعليق) تعريب / رهبنة دير مار جرجس الحرف مطبعة النور / بيروت ١٩٨٦م.
١١. تاريخ الفكر المسيحي تأليف الدكتور القس / حنا جرجس الخضري المجلد الأول دار الثقافة
١٢. تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر أديب نجيب سلامة ط / دار الثقافة.
١٣. تاريخ الكنيسة تأليف يوسابيوس القيصري ترجمة القمص : مرقص داود ط/ مكتبة المحبة
١٤. تاريخ الكنيسة جون لوريمر ط/ دار الثقافة
١٥. تفسير العهد الجديد وليم باركلي (شرح بشارة يوحنا)
١٦. تفسير الكتاب المقدس جماعة من اللاهوتيين منشورات النفير بيروت ثانية ١٩٩٠
١٧. تفسير إنجيل مرقص هلال أمين موسى ط/ أوتوبرنت

١٨. حياة وفكر كنيسة الآباء. القس إثناسيوس فهمي جورج نشر دار الكتاب المقدس.

١٩. خلاصة تاريخ المسيحية في مصر تأليف لجنة التاريخ القبطي ط/ ثانية ١٩٩٦م مدارس الأحد.

٢٠. دائرة المعارف الكتابية وليم وهبة بباوي وآخرون ط/ دار الثقافة

٢١. دراسات في آباء الكنيسة تأليف أحد رهبان برية القديس مقاريوس ط / مطبعة دار نوبار للطباعة. نشر دار مجلة مرقص

٢٢. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ط/ دار المعارف

٢٣. شرح إنجيل متى للقديس يوحنا الذهبي الفم ط / أولى دار نوبار سنة ٢٠٠٠م

٢٤. شرح بشارة يوحنا الدكتور القس إبراهيم سعيد ط / دار الثقافة

٢٥. فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية الكتابات اليونانية تأليف إثناسيوس راهب من الكنيسة القبطية. الطبعة الأولى مطبعة دار نوبار شبرا

٢٦. كتاب.. وقرار تأليف جوش ماكدويل ترجمة دكتور القس منيس عبد النور ط / أولى دار الثقافة

٢٧. كتابنا المقدس» تأليف ويصا الإنطواني نشر مكتبة مار جرجس

٢٨. لاهوت التحرر د/ صموئيل حبيب مطبعة سيوبرس الطبعة الثانية.

٢٩. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون مادة «قلد» مصطفى الحلبي ثانية ١٩٧٢م

٣٠. موجز تاريخ المسيحية الأنبا ديوسقورس ط / مكتبة المحبة.

٣١. وحي الكتاب المقدس يوسف رياض ط / ثالثة ١٩٩٨م مطبعة الأخوة - جزيرة بدران

٣٢. يسوع والأناجيل الأربعة تأليف جون و. درين ترجمة نكلس نسيم سلامة ط/ أولى عن دار الثقافة

فهرس